

للشيخ العارف محمد بن سليمان المستَغانمي

تقديم و تحقيق

حمداد بن عمر

يقول ابن عطاء الله:

" سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه" .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعتقد الكثيرون من النخب المثقفة أن اهتمام المثقف الجزائري وعنايته بتراثه الثقافي والفكري، الذي هو في الحقيقة نبض الحياة الثقافية بالجزائر خصوصا الخمس القرون الأخيرة منها، التي عرفت بعض الاضطرابات السياسية وتفاوت في الحالة الاجتماعية، ممّا اثر سلبا على الحياة الفكرية، وهو أمر لا مناص منه في ظل تركيبة اجتماعية قانتة تحت سلطة حاكمة لا تميز بين القاص والدان.

وعليه لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نتخلى عن حقيقة التراث التاريخية، لأنها حقيقة بائنة ومنفصلة بحكم ارتباطها بالزمان الماضي. وما يقرر ذلك هو وجود حيّز لا بأس به من هؤلاء الأعلام الذين أغنوا التراث الجزائري بمدوناتهم ومؤلفاتهم التي تناولت فنونا وعلوما مختلفة، وُظِّفَت في أكثر من مرة في فهم تلك العقليات والذهنيات التي حاولت مرارا تسليط البوح بأسرار الكتابة الصوفية أو ما يصطلح عليها بالكتابة المنقبية. التي صورت لنا فقيه وعالم ومتصوف القرن العشرين وهو ينهل من علوم علماء القرن الماضي وزاد عليه باجتهاداته وممارسته للمنحى الصوفي المعروف آنذاك، وهذا بطبيعة الحال له دلالة واضحة تستوجب الوقوف عندها، وهذا من أجل فهم خصوصيات الذاكرة الجزائرية.

ومن هؤلاء الأعلام على سبيل المثال حافظ المغرب الأوسط أبو راس الناصر المعسكري من خلال كتابه" الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي"، وعبد القادر المشرفي في كتابه" الدرة الشريقة في أصول الطريقة"، والرماصي من خلال أجوبته، والدارس لهذه النصوص يلحظ بنية اللغة ومعانيها وتراكيب طروحاتها، حيث لا نكاد أن نميز بينها وبين مثيلاتها ببلاد المشرق. وهنا

تجدر بنا الإشارة إلى التنويه بجهود إخواننا المشارقة الذين كانت لهم أيادٍ بيضاء في إخراج بعض نصوص الجزائريين التراثية، كنصوص الأمير عبد القادر وغيرها.

كما كان لبعض المستشرقين فضل السّبق في تخريج وتحقيق بعض نصوص العلماء الجزائريين ككتاب عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصر المعسكري[1]، والذي ترجم فصوله المستشرق الفرنسي أرنو M.ARNAU ضمن المجلة الإفريقية تحت اسم: Les voyages extraordinaires agréables et nouvelles، والحلل السندسية للمؤلف نفسه، والتي ترجمها الجنرال فوربيقي Faure Biguet ضمن المجلة الإفريقية أيضا تحت اسم "Notice sur Mohammed Abou Rass".

ولم أكن بدعا لاختياري هذا الموضوع، رغم الممارسة التي تأصلت في تربة نفسي في حقل الأدب الصوفي المغاربي لا سيما الجزائري، ومن هنا وقع اختياري على دراسة بعض مدونات الشيخ "محمد بن سليمان" المستغانمي ثم الندرومي، حيث عشت سنوات أجمع وأنقب عن ذلك الزخم التراثي الصوفي الذي تزخر به بلادنا.

كما حاولت إبراز تلك المساجلات التي كانت عبارة عن مكاتبات بين علماء وفقهاء تلك الفترة، أو ما يصطلح عليه بأدب المراسلات. وهي مراسلات تنتظم في سلك جدل علمي محض، أو استفسار عن حكم أو واقعة أو ما شابه ذلك.. سواء بين فقهاء وعلماء البلد الواحد أو بين فقهاء وعلماء بلاد المغرب العربي عموما. فهي ذاكرة معرفية منصهرة في ذاكرة الأجداد، وهي بذلك علاقة تكاملية روحية، تقوم أساسا على بناء الذهنيات والعقليات التي كانت سائدة خلال تلك الفترة.

وعلى هذا الأساس رحت أتتبع تراث هؤلاء العلماء والفقهاء على اختلاف مشاربهم خطوة خطوة، وهي رغبتي في النزوع إلى حقل الدراسات التراثية الصوفية الأدبية، والتي تكمن في كيفية تناول الشيخ "محمد بن سليمان"، والتي لخصتها في ما مدى إستراتيجية البعد والرؤى العرفانية لدى المنحى التصوفي في أدب الشيخ "محمد بن سليمان" المستغانمي ثم الندرومي، وهذا من خلال نصوصه الصوفية

(1) Ould Aboucha, "Abou Ras Annaciri, Historien", Algérie Actualité. Oran, 01 - 02 - 1975, N 484. P: 15.

التراثية.

تلك – كانت – دواعي اختياري لهذا النوع من الدراسة، حكيتها بكل أمانة، ليس من باب الذاتية في شيء، وإنما الغاية من وراء ذلك، إبراز الصعوبات التي تعترض الطالب في زمن الاختيار والتنقيب عن الموضوع.

وكأي عمل علمي لا بد أن يواجه صعوبات خصوصا تلك المرتبطة بحياة الرجل، ونقص الدراسات حول هذه الشخصية، وما مدى تفاعلها مع الأحداث والتأريخ، إلى جانب انصهار الكل في آثار "نصوص الشيخ العرفانية"، ثم إني أعتقد أن دراسات الحقل الثقافي الجزائري، لن تؤتي ثمارها إذا لم تكشف لنا عن جدلية التفاعل بين التراث الصوفي والتأريخ له من جهة، وبين ذاتية الشيخ أو القطب والمريد، من جهة ثانية.

ومن أجلّ وأهمّ هذه الصعوبات أيضا هو صعوبة الحصول على تراث الشيخ "محمد بن سليمان" من بعض الخزائن لا سيما الموجودة بالغرب الجزائري بغية تحقيقها[1] وإخراج نصوصها لعامة الباحثين والمهتمين بهذا النوع من الحقول التراثية، فتجدني مرة أقدم رجلا وأأخر أخرى، طارحا بعض التساؤلات منها هل هذا التراث ملك خصوصي لفلان؟ ما مدى تعامل تلك العقليات والذهنيات مع هذا التراث؟ هل يمكننا لأتفه الأسباب أن نتخلى عن فهم الذاكرة الجزائرية التي تعكس هويتنا؟

ومن هنا كان لزاما علينا أن نعرف بعض المفاتيح الأساسية لإعادة ترتيب الذاكرة التاريخية، وهذا بإعادة الاعتبار لهؤلاء الرجال الأعلام الذين كانت لهم أقدام راسخة لا سيما في مجال الأدب الصوفي بمختلف روافده ومشاربه وخصوصياته. ومن هنا تبرز رمزية الحركة الصوفية المتجسدة أساسا في أعلامها أمثال الشيخ "محمد بن سليمان"، الذي حاول أن يعطينا صورة مبسطة عن واقع الحياة الثقافية والفكرية التي كانت في عهده خلال القرن العشرين.

كما أنني مدين إلى كل أستاذ أو باحث، أو شيخ استفسرته، أو سألته فأجابني،

(1) المستشرق برجشتراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، تقديم: محمد البكري، طبعة دار الكتب 1969، بيروت.ص: 42.

أو أفادني، وإلى كل من مدّ لي يد العون من قريب أو من بعيد. وعلى رأس القائمة الشيخ أبي عبد الله شراك، الذي فتح لي خزانته، وأعطاني ما أريد. والشيخ البشير محمودي، الذي كان يعاملني معاملة خاصة. وهل أنسى الذين أتعبتهم معي في إنجاز هذا البحث، وهم كثيرون، فإليهم، وإلى غيرهم حميد ذكري، وجميل شكري.

والسلام.

تمهيد

إنّ شخصية "محمد بن سليمان"شخصية فذة، لها بعدها الاستشرافي بحيث تحاول قراءة الذهنيات والعقليات التي كانت آنذاك من منظور تصوفي بقالب أهل الشريعة والحقيقة. وهو ما يساعدنا على فهم العديد من جزئيات وتراكيب بعض المسائل والظواهر باتت غير معروفة لدى الباحث والمثقف الجزائري اليوم، وهي مسائل تتعلق أساسا بالهوية واللغة والدين والتاريخ انطلاقا من شخصية ما، وهي حلقة تكاد تكون شبه مغيبة في التاريخ الثقافي الجزائري، بالرغم من الإشارة إلى نصوص تراثية تشير إلى ذلك ولكنها قليلة إذا ما قورنت بحجم دراسات المستشرقين، وهذا حتى نفهم ذاتية تلك الشخصية من خلال كتاباتها وبذلك معرفة مضامين تراث ذلك العصر الذي عاشت فيه.

ومن بين الشخصيات التي كانت لها قدرة استيعاب بعض المسائل الصوفية الشائكة معزوة بالحجج والبراهين القاطعة، وإفحام الخصم أحيانا، وباستعمال أسلوب إقناعي رزين، إنها شخصية "محمد بن سليمان" المستغانمي منشأً ثم الندرومي داراً. والتي كانت معروفة لدى أوساط فقهاء وعلماء القرن العشرين، والتي كان لها صيت خارج الجزائر.

إنّ كتابات "محمد بن سليمان" لا تكاد تخرج في جوهرها عن مدى قدرة الشيخ على فهم وشرح وتبيان أصول علم الحقيقة الباطني واستقرائه لآثار البسطامي[1] والجنيد ومحي الدين بن عربي وزروق مرورا بالشيخ عدة بن غلام الله والموسوم وقدور بن سليمان، وهو العلم الذي لا يضاهيه فيه أحد، فقد كان بحرا لا

---

(1) هو طيفور بن عيسى المشهور بأبي يزيد البسطامي، نسبة إلى بسطام بلدة بين خرسان والعراق، ولد بها عام 188هـ، وبها توفي عام 261هـ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية، وكان الشيخ ابن عربي الحاتمي ينوّه به كثيرا ويسميه أبا يزيد الأكبر، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني، ج1، ص: 76. رقم الترجمة: 148، وفي طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، ص، ص: 67 - 74، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان، ج1، ص: 240. وفي حلية الأولياء لأبي نعيم، ج10، ص: 33. وفي ميزان الاعتدال للذهبي، ج1، ص: 481.

ساحل له، يمدّ ويجزر حيث شاء، وهذا انطلاقا من تشبعه ببعض المعارف اللدنية وتحصيله لعلمي الشريعة والحقيقة وهما علمان لا ينفكّان عن بعضهما أبدا مهما بعدت الشقة على الشيخ وتلميذه.

من هنا نجد "محمد بن سليمان" يدخل في صراع بين علماء وفقهاء وقته في مناقشة بعض القضايا المتعلقة بمدى أحقية الجمع بين الطرق الصوفية وتلقين أورادها، وبين فضائل الطريقة السليمانية، وأهمية الورد التجاني وطريقته، وهو طرح نظري متّسم بالفلسفة أحيانا، وهذه واحدة من بين الطّروحات الجدلية التي دار حولها خلاف كبير جسدتها بعض المناظرات والمساجلات التي كانت في وقته والتي سوف نتناولها بالتفصيل في هذه الدراسة.

ونجده في كثير من المحطات يعطي تفسيرات لتعزيز موقفه حول أحقّية الجمع بين الطرق الصوفية والتي موردها واحد، واستنادا إلى ما كتبه "محمد بن سليمان" حاولنا أن نبرز ذلك الدور الذي لعبه في لمّ شمل الحضرة الصوفية ومن ثمّ تعزيز موقعه وطريقته دون إحداث فواصل وقواطع بين الشيخ والمريد من جهة، وبين أحباب الطريقة السليمانية في حدّ ذاتها. لقد استطاع "محمد بن سليمان"بفضل اجتهاداته العقلية ومناظراته ومحاوراته بالطريقة الحجاجية الصائبة من أن يؤثر على خصمه بالأدلة القاطعة وفق رؤية منطقية ولغوية توافق معارف عصره. تسند أساسا في تحليلاتها وتنظيراتها واستنتاجاتها بحسب اعتقادات وتقريرات وفرضيات يراها الشيخ صائبة.

ومن خلال بعض النماذج السليمانية التي اخترناها وهي عبارة عن نصوص صوفية يدافع فيها الشيخ عن رؤاه ومضامينه باستعمال آليات نقدية مستوحاة أساسا من الكتاب والسنة. وهنا تبرز القيمة الروحية المتأصلة في مواقف شيوخه العرفانية ثم ممارسته العلمية العملية لذلك. إنّ جنوح "محمد بن سليمان"لمثل هذه الكتابات لدليل واضح على مدى تمسّكه بالقيمة التي لا تنفصل عن العقل والواقع، والتي نلحظها في كثير من مواقفه التي تجمع بين القيم الخلقية تارة وبين الوقائع الكونية تارة أخرى.

وأثناء تصفحنا لهذه النصوص وجدناها نصوصا منسجمة فيما بينها لا يكاد

الفصل بينها وإلاّ اختلّ المعنى. تجمع في مضامينها بين الشريعة والحقيقة عقلا وفهما، فنجد "محمد بن سليمان"يدافع عنها بمنهاج تجديدي ذي مستويات مضمونية نابعة من ذات تحاول إبراز مدلولات وحقائق عن التصوف.

أمّا عن درجة كتابة "محمد بن سليمان"لتلك النصوص فهي متميزة في تراكيبها ومعانيها ونسق أفكارها وترتيبها، بلغة سليمة بسيطة وسهلة، تراتبية وإيحائية في رمزيتها، متكاملة الفهم بين الفواصل والجمل، فعن معرض حديثه عن الطريقة السليمانية وفضائلها نجده يقول[1] :" بأخذ قوة باطن القدوة لباطن المريد وطيرانها به من مقام إلى مقام بحسب استعداده من القلب إلى العقل إلى الرّوح إلى السرّ ثمّ تتنزل به الحضرة الأحمدية ثمّ المحمدية وهذه الحالة لا تنقطع بين المريد وشيخه ببعد مسافة ولا موت لأنّ الروحانية لا تموت ولا مسافة عندها زمانية ولا مكانية بشرط رابطة المحبّة أخذا من قوله ﷺ:" المرء مع من أحبّ"[2] .

وإذا كان لهذا السلوك ما يبرره من القناعات الدينية والدنيوية كما عبّر عنها "محمد بن سليمان"بقوله:"تجتمع به[3] القلوب على الحبيب المحبوب ومن جملة ما خصّ الله مولانا الموسوم المذكور أنه قيل له من حضرة غيبية محمّدية" أنت مغفور لأحبابك وأحبابهم وأولادك قلبا وصلبا، وأولادهم إلى قيام عيسى ابن مريم، وقال رسول اللهﷺ: "من دخل تحت جناحك فكأنمّا دخل تحت جناح جبريل عليه السلام".[4]

إنّ خصوصيات الواقع الصوفي الذي عايشه "محمد بن سليمان"كفكر وممارسة في أفق مطلع القرن 13 - 14هـ/19 - 20م، توحي بأنّ هذا الواقع لم يوجد من عدم، بل له جذور فكرية وفق صيرورة تطورية كما يسميها البعض، تربط البدايات بالنهايات والسابق باللاحق. إن ما حاولنا إبرازه من مظاهر الغنى النصي

---

(1) محمد بن سليمان، النفحة الربانية في التلميذية المختارية، مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك. ورقة: 8.

(2) ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1408هـ، ج4، ص: 151.

(3) يتكلم عن فائدة الانسلاخ وأنه اجتماع الهمّة على القدوة، حتّى يتمكّن له اجتماع القلب. النفحة الربانية في التلميذية المختارية، ورقة: 8

(4) لم نعثر على تخريجه.

التراثي الصوفي هو امتداد تاريخي لواقع لحركة عرفانية ضاربة جذورها في تاريخ التصوف المغاربي.

إنّ انكبابنا على التعريف بهذه الشخصيات الجزائرية التراثية، لا يفهم على أننا قدمنا نصا على نص أو انتصرنا لفلان على فلان من خلال مدوناته، وإنمّا نحاول قدر المستطاع إبراز القوة الاقناعية والبلاغة الحجاجية الضاربة جذورها في كنه تاريخ التراث الإنساني والتي اتسمّ بها هؤلاء الأعلام من خلال إبراز أدوار المحبّة والذوق والنفس العرفانية، وفق تأملات ورؤى جديدة الخطاب حديثة الرمز والصورة التماثلية التي يشكلها أيّ نص تراثي مبدع في تصوراته، وفي معاييره وفي قوة إقناعه.كما نحاول استلهام العبر والعظات من تجارب هؤلاء الذين مزجوا بعض التصورات الفلسفية بالمفاهيم الكلامية ومن ثمّ اختلاطها بالمعاني الصوفية. وهكذا فإنّ قوة الاقتناع أدت إلى تداخل الممارسة التراثية تراتبا وتفاعلا، بالممارسة العملية للحياة العرفانية.

ولذا فإنّك إذا تمعنت في نصوص "محمد بن سليمان" تجدها نصوصا تربوية هادفة في مجملها فأفكارها مستوحاة من المعارف الكشفية، كانعكاس للصور بين القلب والصلب، وبين الشيخ والمريد، وبين الشيخ وأحبابه. ومن ثمّ فإنّ موسوعيته وشغفه بمطالعة كتب الأولين من العلماء العاملين جعلته لا يأمن على سلامة معارفه، لأن فهمها وتمحيصها لا يكون إلاّ من اختصاص كبار العلماء والمتصوفة المحققين وأصحاب الرسوخ في الإيمان والعقيدة واليقين.

اعتبارا لهذه الخصوصية، ركز "محمد بن سليمان"جهوده العملية في تبيان حقيقة الشيخ والمريد، وحقيقة إتباع طريقة معينة أو الجمع بين عدة طرق، مستندا في ذلك على أدلة من الكتاب والسنة وبعض أقوال العارفين. ومن هنا جاءت معظم نصوصه التراثية مفيدة من منظور المعلومات التي قدمها، فتراه يصول ويجول بين ثنايا النصوص مبديا ملاحظاته وتعليقاته المحققة منتصرا دائما لرأيه. ونجد "محمد بن سليمان" أن ما كان يشمّر عن ساعديه ويشع "لولا تجذر الأزمة في شرايينه"وكثرة القيل والقال دون سابق تحقيق في المسائل المختلفة، وهذا المعطى الأساسي قد يشرح تلك المفارقة عن علاقة "محمد بن سليمان" بالإذن التجاني،

وهذه هي رؤية العالم الصوفي التي تميزه عن رؤية الفقيه، ومردّ ذلك أساسا إلى تكوين "محمد بن سليمان" الروحي والعلمي العملي من جهة، وتأثرّه بفطاحل شيوخه مثل الشيخ"قدور بن سليمان" الذي ورثه هو الآخر من محمد الموسوم عن عدة بن غلام الله عن مولاي العربي بن عطية البوعبدلي عن مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي.

ومن هنا فإنّ "محمد بن سليمان" يعد حلقة تواصل طبيعية لذاكرة معرفية تراثية ودينية تكرّس صورة الشيخ الصوفي المربي. ثم إنّ خطاب النصوص الصوفية يترتبط أساسا بالممارسات الشعبية للدين كما يصفها أحدهم، فالخطاب الكرامي مثلا والمنقبي تنحصر قوته الرمزية والدلالية في دائرة محدودة من الدوائر المكونة للمجتمع آنذاك. ولذا نرى كثيرا من العلماء و"محمد بن سليمان"واحدا منهم يستعملون في نصوصهم التراثية سياق المحاكاة وفق مضامين خفية وأخرى معلنة، لتتبع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ورغبة إعادة بلورتها وإنتاجها. ومن هنا بقدر ما كانت النصوص التراثية خطابات تساير تطورات الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بقدر ما كانت تلك الخطابات مؤثرة وموحية، وهذا ما نكاد نلحظه في تاريخ العقليات والذهنيات ببلاد المغرب العربي.

ترجمته

اسمه ونسبه:

هو أبو محمد بن عودة بن سليمان بن عبد الله المستغانمي مولدا، الندرومي مسكنا، فقيه صوفي، ناظم، يتصل نسبه بالشيخ سيدي أبو عبد الله محمد المغوفل صاحب البطحاء، وقد كان جدّه سليمان خلال العهد العثماني، خليفة الباي حسن آخر بايات بايلك الغرب، وعبد الله هو جدّ العائلة التي ينتمي إليها الشيخ "محمد بن سليمان"، حيث كان أبوه إماما بمسجد سيدي يحي الطّيار ببلاد الأناضول.[1]

الولادة ومسقط الرأس:

إنّ الحديث عن تاريخ ولادة الشيخ "محمد بن سليمان" المستغانمي ثم الندرومي، وعن مسقط رأسه ونشأته وتكوينه، من القضايا التي لم يخصها الباحثون اليوم بدراسات وافية، ومن هنا ظلت غامضة ومسكوتا عنها في جل المصادر التي تناولته بالإشارة أو التفصيل، وتبعا لقلة هذه المصادر أو حتى المراجع، فإن الصعوبة تزداد باطراد متصاعد، وليس غريبا أن يعترف أحد شيوخ المهتمين بتراث الشيخ "محمد بن سليمان"، قائلا:"دراسة حياة ومؤلفات الشيخ "محمد بن سليمان" من أهم الدراسات التي يجب الخوض فيها دون منازع".[2]

فقد ولد الشيخ "محمد بن سليمان" سنة 1258هـ/1868م بمدينة مستغانم، التي كانت آنذاك قبلة علمية تعجّ بحركة فكرية واسعة النطاق، ممّا أهلها فيما بعد إلى أن تنافس باقي الحواضر الثقافية والفكرية في تلك الفترة، بفضل علمائها ومشايخها وأوليائها الصالحين. ولتصبح فيما بعد حقلا روحيا خصبا نشطا، يستقطب في فلكه ذوي المكانة الرفيعة في العلم والتأليف والخلق.

النشأة والتكوين:

إن الشيخ "محمد بن سليمان"، كواحد ممن أفرزتهم مجتمعات البادية، لم

---

(1) ببلدة يقال لها "تَحّار" بتركيا، وبها ضريحه وهو اليوم مزارا يتبرك به ويقطنه كل الناس.

(2) الشيخ أبي عبد الله شراك.

يحدثنا بالتفصيل، ولا غيره عن هذه الفترة المرتبطة بالنشأة والتكوين، وإن كان العرف السائد، في أوساط البادية هو أن يدخل الطفل الكتاتيب القرآنية ليحفظ منها ما قدّر له أن يحفظه، وبعد ذلك ينهل من المتون الفقهية وما يتعلق بالنحو والبلاغة وعلوم القرآن والحديث. إلا أن هذا لا يتم إلا في بوتقة يسودها الاستقرار الاجتماعي والسياسي، وفي وسط يستجيب للتفاعلات الثقافية والعلمية وكل هذه الشروط وغيرها، إنما هي مرتبطة ارتباطا عضويا بالعامل الاقتصادي، في أبسط مستوياته الحياتية.

حيث تربى في حجر والديه، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد معلّم الصّبيان بمستغانم، كما هي عادة الصّبيان في الكتاتيب، فحفظ القرآن الكريم[1]، ثمّ سافر إلى مازونة[2]، وأخذ الفقه عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الكبير، والشيخ أبوراس المازوني، كما قرأ بعض الفنون على يد خاله الشيخ المفتي سيدي مصطفى قارة.[3] كما أخذ الطريق عن سيدي بن عبد الله الغريسي ثمّ سيدي قدور بن

(1) وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: " اعلم أن تعلم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق به إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائد من آيات القرآن، وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل من الكلمات ". ابن خلدون، المقدّمة، مطبعة محمد عاطف، مصر، دت، ص: 418.

(2) مازونة: بالمغرب بالقرب من مستغانم، وهي على ستة أميال من البحر، وهي مدينة بين أجبل، ولها مزارع وبساتين وأسواق عامرة، ولها يوم يجتمع فيه لسوقها أصناف البربر، وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً. محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، مطابع دار السراج، ط2، 1980. ج1، ص: 521.

(3) مصطفى بن قارة(1279 - 1376هـ/1862 - 1956م): أمّا عن الشيخ فهو عبد القادر بن عودة بن الحاج محمد بن قارة مصطفى الشريف الحسني، عالم جليل ومفتي، ولد بمستغانم عام 1862م، حفظ القرآن الكريم على يد والده وهو ابن اثنتي عشرة سنة، كفله عمّه بعد وفاة والده، فأحسن تربيته. حيث تعلم مبادئ النحو والصرف واللغة، من شيوخه: الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران، الشيخ شعيب بن علي الجليلين الشيخ قدور بن سليمان..الخ. من مؤلفاته: قرة الأعيان في أدب تلاوة القرآن، مخطوط بحوزة الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام مسجد الشريفية وهران. حتمية الأنوار المحمدية النبهانية مختصر =

سليمان.

وبعد وفاة الشيخ سيدي قدور بن سليمان سنة 1322هـ/ 1904م، بدأ الشيخ "محمد بن سليمان" يعطي دروسا بالمسجد الكبير بمدينة مستغانم، ويعطي الأوراد الشاذلية، وكان خليفة شيخه بلا منازع، ثمّ وقع خلاف بينه وبين أقربائه فانتقل إلى الظّهرة وبنى زاوية وبقي فيها نحو سنتين، ثمّ انتقل بعدها إلى ندرومة وسمّاها" مكرومة" فبنى بها زاوية وعمّرها بالذكر والمذاكرة.

ولقد كان الشيخ "محمد بن سليمان" [1] درقاوي الطريقة، ثمّ تفرّد بعد ذلك بطريقة خاصة به تدعى السليمانية، ثمّ حصل له إذن من الحضرة النبوية في تلقين ثلاث طرق أخرى، فضلا عن طريقته (السليمانية) وهي القادرية والطيبية والتجانية.

وأحدث تصدّره لجميع الطرق بما فيها التجانية ضجّة بين أوساط المريدين التجانيين هناك، لكن بعضهم كان يهابه لمكانته من العلم والولاية والتصريف، فلم يستطع أحد منهم الاعتراض عليه، فرفعوا الأمر للعلامة سيدي أحمد سكيرج، الذي

المواهب اللدنية السلطانية. قال عنه أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الفاسي:

فيا ابن قارة المفدى طبت نفسا ونفس عراك حقا لي تطيبا

توفي رحمه الله يوم الاثنين من عام 1375هـ/ 1956م. انظر: عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1996، ص ص: 71 - 75.

(1) قدور بن سليمان(1259 - 1323هـ/1843 - 1904م): هو قدور بن محمد بن سليمان المستغانمي، ولد سنة 1259هـ/1843م بمستغانم، حفظ القرآن الكريم وأخذ العلم المعنوي والروحي عن أشياخ جهابذة عصره، ثمّ درس الشيخ بزاوية قصر البخاري على يد الشيخ الموسوم وتخرّج منها، أين أصبح يعطي أوراد الطريقة الشاذلية ليضيف إليها أوراد الطريقة التجانية التي تلقّاها على شيخها أحمد التجاني الحفيد بإذن منه. من مدوناته كتاب المرائي، شرح ياقوتة الصّفا في حقائق المصطفى، درر الفيض اللدني فيما يتعلق بالكسب العياني والسّني، خلف الشيخ جملة من التلاميذ الذين عرفوا بصلاحهم وورعهم وتقواهم أمثال الشيخ شعيب بن علي العليلي التلمساني، والشيخ بن قارة مصطفة مفتي مستغانم، توفي رحمه الله بمسقط رأسه يوم الثلاثاء ثالث عشر من محرّم سنة 1323هـ/ 1904م، عن نيف وستين سنة. عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1996، ص ص: 53 - 54.

كان حينها حديث العهد بقضاء مدينة وجدة.

إجازاته:

بعد أن أخذ الشيخ "محمد بن سليمان" العلم تحصيلا من أفواه أصحابه، آن له أن يأخذه سلوكا وطريقة وعرفانا على يد مختصّيه من يد شيوخه، فأجازه في الطريق شيخه قدور بن سليمان المستغانمي، كما أجازه بالمصافحة الشيخ علي بن الحفاف مفتي العاصمة، إلى جانب إجازة الشيخ شعيب الجليلي التلمساني له.

علاقته بعلماء عصره:

من بين العلماء الذين كانت تربطه علاقات علم ومحبّة العلامة سكيرج الفاسي قاضي القضاة آنذاك، الذي لطالما كانت بينهما مساجلات فكرية في مجال الطريق وسلوكه، والأوراد..الخ. كما دارت بينهما في هذا النطاق رسائل كثيرة، منها هذه الكتب التي سنوردها في دراستنا هذه.

أساتذة وشيوخ:

إنّ الحديث عن مسألة النشأة والتكوين، يجرّنا إلى البحث عن شيوخ الشيخ "محمد بن سليمان" وأساتذته في مجال العلوم والفنون، التي كانت تشكل الثقافة السائدة في عصره. ونقصد بذلك المشيخة الروحية التي تتجسد أساسا في بحر الحقيقة[1] ، من سند المصافحة وكتب الإجازات والأسانيد المغاربية المعروفة آنذاك. والمشيخة العلمية والتي يجسدها بحر الشريعة، ونقصد بها تلك الدروس والمناهل والمشارب العلمية واللدنية. ومن شيوخه الذين أخذ عنهم علوم هذين البحرين على سبيل المثال لا الحصر:

- الشيخ سيدي الحبيب بن البخاري المفتي بوهران
- الشيخ الحبيب بن عبد المالك المفتي بوهران
- الشيخ علي بن عبد الرحمن بوهران

(1) الحقيقة: أو أصحاب الحقيقة: وهي عبارة عن مشاهدة باطن الأمر وأنّ الكلّ من الله تعالى وإليه. كما عرّفوا الحقيقة بأنها وحدة اليقين وحقائق الأسماء. وعند هؤلاء فإنّ للتصوف ظاهر وباطن، ظاهره الطريقة وباطنه الحقيقة. أحمد بوكاري، الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب، مطبعة فضالة، المحمدية، المملكة المغربية، ط1، 2006، ص: 60.

- الشيخ الحاج بالقاسم بن عبد الإله بوهران
- الشيخ القاضي حشلاف العطّاف
- الشيخ سيدي عبد القادر بالقاضي
- الشيخ سيدي أحمد بالمختار بمغنية
- الشيخ القاضي شعيب بتلمسان
- الشيخ القاضي محمد بالمختار بمسيردة تلمسان
- الشيخ سيدي علّيش بمليانة
- الشيخ الطاهر المجاجي بمجاجة
- الشيخ سيدي جلول المفتي بالبليدة
- الشيخ سيدي الحاج محمد غلام الله بتيارت
- الشيخ سيدي الحاج عبد القادر بن سعدية بمليانة

مؤلفاته:

لقد ترك الشيخ "محمد بن سليمان" إنتاجا علميا ضخما في مجالات مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. تحجيم أهل الإنكار من صاد الغزالة بركوب الحمار
2. النفحة الربانية في التلميذية المختارية
3. الإرشادات الرّبانية إلى المعارف اللدنية على المناهج الشرعية
4. شرح المعاني ورقائق صلاة كنز الحقائق الموهوبة لسيدي محمد بن الحبيب المكناسي
5. حكم تصريفات الأولياء، جواب للشيخ أبي عبد الله
6. رسالة مطوّلة في أحوال الأولياء
7. رسالة في الذّكر وتلقينه
8. رسالة مفصّلة في الحضرة أو الاهتزاز
9. رسالة في الكسب المنسوب إلى العبد وما يتعلّق به، فهي جواب للقاضي حشلاف
10. رسالة البرهان والعيان جواب للشيخ سيدي علّيش

11. شرح على النموذجية الكتانية
12. شرح على القدر والمقدار من صلاة الفاتح لما أغلق
13. رسائل في التصوف
14. فتاوى مختلفة
15. الديوان

حالته الاجتماعية:

ونعني بالحالة الاجتماعية، في حياة الشيخ "محمد بن سليمان"، ذلك الإطار الاجتماعي الاقتصادي الذي يفرض واقعه على الرجل، كشريحة داخل البنيات القروية، أو الحضرية. ولا يمكن لنا استجماع والتقاط العناصر المكونة لحالته الاجتماعية، الاقتصادية، دون الاعتماد على أعمدة الظاهرة ذاتيا وموضوعيا.

فالجانب الذاتي، الذي هو الشيخ "محمد بن سليمان"، لم يكن معزولا عن العصر وملابساته، سواء تعلق الأمر بالسياسة وأحداثها، أو تعلق الأمر بالطبيعة وكوارثها. أما الجانب الموضوعي (متغيرات العصر، الاستعمار الفرنسي، تمرد واضطرابات، الجفاف، الأوبئة والأمراض الفتاكة، أزمات اقتصادية).

كل هذه العوامل المؤثرة والفاعلة كان لها دور كبير في خلق أنماط من الشرائح الاجتماعية خلال ذلك العصر. خصوصا إذا نبّهنا إلى شيوع ظاهرة التصوف وما مدى المرتبة التي كان يشكلها أهله، كسلطة روحية تؤثر في جميع ميادين ذلك العصر.

وفاته: توفي الشيخ "محمد بن سليمان" الندرومي بموطنه" ندرومة"[1] في شهر جمادى الأولى عام 1346هـ نوفمبر 1927م. عاش خلالها تسعا وخمسين سنة

---

(1) ندرومة: مدينة في طرف جبل "تاجرا" بأرض المغرب(الجزائر)، وهي مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الأسعار، ولها بسائط خصيبة ومزارع كثيرة، وبينها وبين البحر نحو عشرة أميال، ولها مرسى مأمون مقصود وعليه رباط حسن يتبرك به، ويقال أنه من أتى فيه منكراً لم تتأخر عقوبته، قد عرف ذلك من بركته ومن صنع الله فيه. محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت مطابع دار السراج، ط2، 1980. ج1، ص: 576.

كلّها علم وعرفان، وروح وريحان.[1] نهل من مشاربها وعيونها، فكان بحقّ جليل القدر مهاب الجانب، لا يخاف في الله لومة لائم.

(1) وقد أشار الشيخ سيدي أبو عبد الله البطيوي في مرثيته إلى سنة وفاته فقال:

وَيَحْسُنُ وَالخَمْسُونَ وَالتِّسْعَةُ حِجَّةٌ مَضَتْ أنْ يَلِي مِنْكَ المُجُونُ لِجَامَا. انظر: وثيقة مخطوطة زودنا بها الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام بمسجد الشريفية، وهران. فجزاه الله عنا خير الجزاء وكان الله له ولذريته.

تحجيم أهل الإنكار من صاد الغزالة بركوب الحمار

لمؤلفه سيدي محمد بن سليمان

المستغانمي الندرومي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وأفوّض أمري إلى الله، إنّ الله بصير بالعباد

سؤال من بعض خواص الأحباب وجواب من إمام العارفين وقطب الأقطاب سيدي ومولاي "محمد بن سليمان"، أدركنا الله والأحبّة برضاه مع دوام الأمان.

الحمد لله ربّ العالمين والشكر لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا ومولانا محمدا حمد قطب العوالم القائل وهو الصادق الأمين "الخير لا ينقطع من أمتي إلى يوم الدين"[(1)]، وبعد: فإنّ بعض الطلبة المصدّقين بكلام العارفين كما هو الواجب في حقّ المؤمنين حرّكوا منّا ساكن الفؤاد، وكانوا لنا سببا في فيوض وفتوح وإمداد، جزاهم الله خيرا ويكفيهم الوعد العظيم من لسان النبي الكريم، حيث قال:" طُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدِهِ".[(2)]

ولا شكّ أنّ العلم أصل كل خير، وذلك أنهم تكلموا مع بعض أحبابنا وهو

---

(1) ابن بطال البكري القرطبي، شرح صحيح البخاري، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2، 2003. ج1، ص: 141.

(2) عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، السعودية، ط3، 1988، ج1، ص: 702.

الفقيه سيدي أحمد بالقاسم الشقروني الوريمشي في شأن الورد والطريق إلى أن وصلوا ما أكرمنا الله به من جميع أسرار بعض الرجال، وما منحنا الله به من بعض فيوضاتهم علما ومشهدا، ولله الحمد الذي لا يحجر على فضله ونحن أهل فضله [ورقة2] ولا فخر كما سمعنا من لسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ وقد استغربوا وأنكروا إعطاءنا الورد في طرق متعددة، ولهم العذر حيث لم يطّلعوا على حقيقة الحال ولم ينع بيننا في هذا الشأن جواب ولا سؤال، بل ولهم الدليل الصحيح من كلام سيدنا ومولانا وشيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه ورزقنا رضاه آمين.

حيث يذكر في كتاب جواهر المعاني وغيرها من كتب طريقه منسوبا إليه، وأن ورده لا يأخذه إلا من انسلخ من جميع الطرق الخ، ونحن والحمد لله لا نجهل هذه إلاّ أنه يجب علينا رفع الإشكال وتبيين المعنى وإظهار الحجّة بجواب يرفع الحجاب عن قلوب الأحباب، وأمّا أهل الإنكار والاعتراض، فقد حار فيهم الأنبياء والمرسلون من أول الزمان إلى آخره، ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[1]، وقد فضح الله عوراتهم في كتابه العزيز بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2].

هذا ومن كان مراده إظهار الحقّ ومتابعته، فالعلم والدليل فيه شفاء العليل، ومن كان مراده الاعتراض والتعنُّتُ فيكفيه قوله جلّ وعلا في الأثر القدسي:" من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"[3]، وإذاية الولي هو إنكاره والاعتراض عليه، لأنه

(1) سورة الفتح، الآية: 23/ سورة الأحزاب، الآية: 62.

(2) سورة آل عمران، الآية: 71

(3) الحديث القدسي: "من آذى لي ولياً؛ فقد استحل محاربتي، وما تقرَّب إلى عبدي بمثل أداء الفرائض، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته؛ كنت عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ورجله التي يمشي بها، وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به، إن سألني أعطيته، وإنْ دعاني أجبتُه، وما تردَّدت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته؛ لأنه يكره الموت، وأكره مساءته"1. رواه أحمد، والحكيم، وأبو يعلى، والطبراني، وأبو نعيم، وابن عساكر عن عائشة. محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهري (ت 1367هـ)، الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، دار ابن كثير دمشق، بيروت، ج1، ص: 178.

يدعو إلى الله، والمُنكِرُ يريد الصدّ عن طريق ذلك الولي، وهو يصدّ عن سبيل الله من حيث لا يشعر، ولكن ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[1].

والجواب عن هذه المسألة من وجوه: الوجه الأول في معنى الانسلاخ المذكور ومعناه خروج المريد عن جميع أعماله وعلومه وأحوال[ورقة3] ومعارفه من الأصحاب والمريدين والمشايخ، ليصبح له التعلّق بالشيخ الذي يلقي نفسه إليه، لأنّ للإنسان قلبا واحدا ينبغي أن يتّجه لقبلة واحدة، ومن لم يخرج وينسلخ من جميع ما ذكر لا يصحّ له التعلّق الكامل بالعارف بالله، وبعد الانسلاخ يكون التعلّق الحقيقي الذي يصحّ معه الربح الكبير، والوصول المعروف عند الرجال أن وفىّ ببقية الشروط والأدب.

وهذا الانسلاخ شرط في كل طريق، لكن لمريد الوصول لا لمريد التبرّك، وانظر إلى قضية مولانا الشاذلي[2] ﷺ حيث ذهب إلى شيخه مولانا عبد السلام ابن مشيش[3] ﷺ كيف قال له:" اذهب واغتسل" فذهب واغتسل ورجع إليه فقال له ثانيا وثالثا:" اذهب واغتسل"، ففهم مولانا الشاذلي أنه يريد منه الخروج عن علمه وعمله وأوراده ومعارفه من مشايخ وغيرهم، ونسبه من جاه ومال وشرف الخ.

فجاءه الشاذلي منسلخا من جميع ما ذكر، فقبله وأعطاه الورد وكان منه ما كان من المقام العظيم، والخصائص التي خصّه الله بها، كما قال ﷺ:" أعطيت

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 42

(2) أبو الحسن علي من قبيلة غمارة بالمغرب الأقصى، ولد سنة 593هـ، تعلم وحفظ القرآن بقرية يقال لها شاذلة بتونس، ونظرا لأفكاره العقدية هاجر إلى مصر أين توفي بها سنة 656هـ. انظر: عبد الحليم محمود المدرسة الحديثة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي، ط دار الكتب الحديثة القاهرة، ص ص: 34 - 35

(3) ابن مشيش (000 - 622 هـ = 000 - 1225 م): عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر (منصور) بن علي (أو إبراهيم) الادريس الحسنى، أبو محمد: ناسك مغربي، اشتهر برسالة له تدعى " الصلاة المشيشية " شرحها كثيرون، وأحد شروحها مطبوع. ولد في جبل العلم، بثغر تطوان، وقتل فيه شهيدا، قتله جماعة بعثهم رجل يدعى ابن أبي الطواجين الكتامي (ساحر متنبئ) ودفن بقنة الجبل المذكور. الزركلي، الأعلام، ج4، ص: 9.

سجلا فيه أصحابي وأصحابه أصحابي عتقاء من النّار إلى يوم القيامة" وكما قيل له القطب من طريقك إلى يوم القيامة.

حتىّ أنّ سيدي أحمد التجاني ﷺ لمّا كان موعدا بالقطبانية ﷺ وقرب أوان دخوله للمقام، قال له بعض أهل الأحوال القطبانية خاصّة بالطريق الشاذلية، فعليك بشيخ شاذلي، فتلاقى بمولاي العربي[1] ﷺ وأخذ عنه، وهكذا أحوال الرجال الصّادقين مع الله لم تأخذهم [ورقة4]في الله لومة لائم، فإنّ المقصود هو الله، والشيخ الكلي هو سيدنا مولانا رسول الله ﷺ.

وأمّا مشايخ أمّته فإنمّا هم نوابه وخلفاؤه وأبواب الدخول إلى حضرة الله وحضرته ﷺ، والله يقول: ﴿وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[2] فاختر أيّها المريد باباً من الأبواب، ودم واقفا بها حافظا للشرط والآداب، حتّى يأذن لك ربّ الدار بالدخول، ولا تقف بباب من الأبواب حتىّ تزنها بميزان الشريعة والحقيقة، إن كان لك علم واسع وقلب سليم، وإلاّ ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾[3] .

والمراد بالباب هو العارف الكبير الجامع بين الحضرتين وجدانا وعيانا، لا المقدم أو العالم الظاهري فقط، نعم المقدم يعطي في التبرّك لا في السلوك، والعالم يفتي في أحكام الشريعة والعلوم العقلية فهو خليفة الرسول فيها، وأمّا الميادين الغيبة فهي خاصّة بالجامعين بين العلوم الظاهرة والباطنة، على منوال الفيض

(1) هو العربي بن عطية الشلفي موطنا البوعبدلي نسبا، هكذا وجد مكتوبا على تأليف "الاستمدادات الربانية فيما منّ الله عليّ من بحر الوحدانية". وهو عبارة عن مذكرات ذكر فيها المؤلف جوانب من حياته، مع أستاذه مولاي العربي الدرقاوي وزملائه وتلميذه الشيخ عدة بن غلام الله، وأهم ما في هذا التأليف هو أنه حضر لثورة الشيخ ابن الشريف، أدركاه متصلا به ورافق أستاذه مولاي العربي الدرقاوي، عندما أرسله الملك مولاي سليمان العلوي بطلب من باشا الجزائر لإصلاح ذات البين، كما حضر وشاهد ثورة سي موسى بالمدية في عهد الأمير عبد القادر، وكان المترجم ساخطا على زملائه المتمردين على السلطان ويتهمهم بحب الرياسة. مولاي العربي ابن عطية، الاستمدادات الربانية فيما منّ الله عليّ من بحر الوحدانية. مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، ص: 3

(2) سورة البقرة، الآية: 189.

(3) سورة النحل، الآية: 43.

والعيان لا النقول ولا الأفكار ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡ﴾[1].

وأولئك هم خلفاء الرسول في العلوم الثلاثة التي أمر الله بتبليغها والتي خير فيها، والتي أمر بكتمانها وهي العلوم اللّدنية التي ينالها منه خواص حضرته على منوال الفيض والوجدان، بعد تصحيح المعاملة العلمية والعملية.

فمن ظفر بواحد من هؤلاء وكان طالبا للحقّ، فيجب عليه الانسلاخ عن جميع ما كان يعمل ويعلم ويعرف ليصحّ له التعلّق به، وحينئذ يصحّ له التعلّق برسول الله ﷺ [ورقة5]فإنّ صاحب هذا الحال إنمّا هو باطنا حضرة محمدية في صورة زيد ابن عمرو لولا لجام الشريعة والرسوخ في المقام، لقال صاحب هذا المقام فإنه محمد ﷺ كما قالها كثير من أهل الله في وقت الغلبة كسيدي أحمد التجاني ﷺ وفي معنى هذا الانسلاخ قال بعض العارفين:" إلزم بابا واحدا تنفتح لك الأبواب، واخضع لسيدٍ واحدٍ تخضع لك الرقاب".

أمّا من بقي يلتفت إلى شيوخ عديدة، فلا يصحّ له التعلّق بواحد قياسا، لأنّ في المذاهب الأربعة، فليتعلّق بواحد على وجه الاستفاضة ويعظم الجميع وجوبا ويعتقد كما لهم وإلاّ فلا يجيء منه شيءٌ، بل شيخه عليه يسخط إذا رآه ينقص عارفا من العارفين، ويكون محروما من مدد شيخه بسبب الطّعن في غيره من المشايخ قياسا على الصّحابة الأربعة الواقفين على الحوض يوم القيامة.

وكلّ من أنكر واحدا منهم منعته الثلاثة الذين يحبّهم ويعتقدهم، هذا هو المبيَن والنّصح الأمين، يا من أردت الربح بدخول طريق العارفين، وقد ثبت بالشريعة أن التعلّق بنبي فيمشي على شرعه من أمر ونهي، ويتعلّق به كلّ التعلّق دون غيره من شرائع من تقدّم، إلاّ أنّ أمره بها نبيه الوقتي، وكانت من جملة شرعه كما أنّه لا يصّح له التعلّق بذلك النبي، ولا النفع بإيمانه به حتّى يؤمن بجميع الأنبياء ويعظّم جميع الأنبياء، وهكذا فافهم وإلاّ فلا يقبل إيمانه ولا تعلّقه وهكذا تفهم معنى الانسلاخ فهو كناية عن إفراد التعلق بواحد من الكمّل مع تعظيم الباقين من الكمّل [ورقة6] وإلاّ فلا وأمّا تعلّق بعارف وصار يتهكّم على غيره من العارفين، فهو

(1) سورة البقرة، الآية: 60.

محروم من الجميع والسلام.

وقد قال أهل الله:" يسلم للمريد في مدح شيخه كيف شاء ما لم ينقص شيخا آخر"، وأمّا ما هو مذكور في بعض كتب الطريق من " إنّ المريد لا بد أن يعظّم شيخه ويعتقد أنه أكمل المشايخ، وكلّ المشايخ دونه في المرتبة ويعتقد تنقيصهم، كأنه يقصد أن تعظّم محبّته في شيخه ليربح. فإنه غلط وليس هو من وضع المشايخ، بل هو من وضع الأتباع غير العارفين بأسباب الربح والخسران، وهذا كثير جدا في كتب الأتباع لكثير من الطرق.

والحقّ هو ما ذكر ولكن كما قالوا يعتقد المريد في شيخه الجمع بين الحضرتين شهودا وعيانا، وأن ذكر شيخه مقاما من المقامات فيعتقده فيه ويعلم أنّ الله من وراء ذلك ما لم يعلمه هو ولا شيخه، فإنّ كمال العلم لله والله الهادي، وممّا يشير للانسلاخ المذكور قول القطب الغوث الفرد سيدي الجيلي ﷺ حيث يقول:

وإن ساعدك المقدور ساقك القضا إلى شيخ حق في الحقيقة بارع
فكن عنده كميت عند غاسل ودع كل ما من قبل كنت تصانع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فإنّ الاعتراض تنازع

وإذا فهمت ما هو الانسلاخ وما هو المحمود منه وما هو المذموم منه، وعلمت إنه واجب على طالب الحقّ وهو شرط في كلّ طريق.

فاعلم أنّ أهل الله تبارك وتعالى على أحوال [ورقة7]لا نهاية لكثرتها، كما قالوا أما تجلى الله لولي بما تجلى به الآخر كل من تجلى عليه بتجل، إنما هو يمشي في جميع سيرته أقوالا وأفعالا وأحوالا وأمرا ونهيا، على مقتضى ذلك التجلي وبسبب ذلك اختلفت أحوالهم وسيرتهم جدا، حتى لا تجد واحدا يشبه غيره إلا في أقل القليل، لأنّ ذلك التجلي الخاص بذلك الولي هو الأخذ بناصيته على طريقة الخاصة به المخلوق لها والمهيأة له، وكل ميسّر لما خلق.

وبسبب هذا الاختلاف في الأحوال والسيرة، وقعت الموازين على أهل الله مما ليس لهم علم ربانيّ، ولا إنصاف أو تسليم يقفون له دون الحد المحدود، فيقولون ولما لا يكون؟ فكان الولي في سيرته وأحواله كفلان الولي في الزمان

الفلاني، وهذا غاية الجهل بأحوال أهل الله، ولم يعلموا أن أهل الله مجتهدون في جميع أحوالهم وسيرتهم وأمرهم ونهيهم، وسرّ اجتهادهم يفيض من باطن التجلي الخاص بكل واحد ولا يقلد مجتهد غيره، فللعارف صاحب الحضرتين يخترع لأحبابه أورادا جديدة الخ.

لكنها كلّها من الشريعة المحمدية، ولو خرج عن الشريعة المحمدية فلا يقبل منه، نعم لهم مآخذ خفية من ظاهر الشريعة وباطنها، لا يطلع عليها إلا من كان منهم، ولذلك تجد لهم أعمالا وأقوالا ينكرها ظاهر الشرع، نعم لو فتشتهم وباحثتهم لوجدت لهم دلائل صريحة من الكتاب والسنة، كما قال سيدي النابلسي رضي الله عنه:

كلامنا نعرفه نحن ومن يعرفنا وإنما يجهله في الناس من يجهلنا

[ورقة8]وإذا فهمت ما تقدم فاعلم أن جميع ما يرى عليهم من اختلاف الأوراد والمعاني والمقامات مع المريدين وغيرهم، سببه اختلاف التجليات وتنوع الاجتهادات، ومن جملتها ما يذكر عن بعض المشايخ من طلبهم الانسلاخ من المريد، إذا أراد أن يدخل طريقة كسيدنا أحمد التجاني وكثير من المشايخ وبعضهم، لا يقبل من أحد الدخول لطريقه إلا بعد أن يكون على صحيح توبة وعمل وأمر، كسيدنا عبد السلام الأسمر رضي الله عنه، وكثير من المشايخ وبعضهم لا يقبل الدخول في الطريق المنسوبة إليه، إلا بعد الخروج عن الأهل والولد والمكاسب كمولاي العربي رضي الله عنه، وبعضهم يشترط لبس المرقعات والمشي بالحفا وفعل الخوارق التي تزهد فيه النّاس وبعضهم لا يقبل المريد، إلا أن يأتيهم مرات متعددة وهو يرده امتحانا لصدقه، وكلّ هذه من أحوال العزيمة باجتهاد صاحب الطريق حسب ما يعطيه التجلي الخاص به، وبعضهم يمشي على طريق الوسع والتيسير والرخصة عملا بقوله ﷺ:" يسرّوا ولا تعسّروا وخاطبوا الناس بقدر ما يطيقون"[1]، وكلّ يسلّم له حاله فترى أحد المشايخ يقبل المريد أولا، ولو مع بقائه متعلقا بطريق أخرى

(1) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1983، ج11، ص: 33.

حتى إذا دخل ورسخت قدمه يعلمه بتدريج ربّاني وسريان روحاني. فإنه مادام متعلقا بطريق أو ورد آخر، ولا يجيء منه شيء فيقع له ذلك الانسلاخ بعد حين ولا بد، إذ الانسلاخ شرط لمريد الوصول.

أمّا مريد التبرك فلا بأس بذلك في حقّه، وذلك [ورقة9] معنى بعض الرجال ندخل أحبابي كما يريدون ونخرجهم كما أريد، وتساعدهم السيرة المحمدية مع رجالها، حيث جاءه الرجل يدخل دينه فعرض عليه الصلوات فلم يقبلها، فأمره بركعتين في اليوم فقط، وبعد حين ومدة استقام حاله على تمام الشريعة والحمد لله، وفعله مع المرأة التي اعتقدت أنّ الله في السّماء، فأقرّها على حالها حتى مازجت أهل الإيمان الكامل فصلح اعتقادها، والعزيمة أهل وزمان كما أنّ للرخصة أهلا وزمانا، والله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه.

ثمّ أنّ من المشايخ من يقبل المريد على أيّ حالة ولا يشترط عليه توبة، ولا خروجا عن أهله وكسبه ولا غير ذلك كالزهد والامتحان في الصدق، حتىّ إذا دخل وصحّ اعتقاده وتمكنّ له استماع الأمر والنهي بأمره بالتوبة والعمل بالشريعة حسب الاستطاعة، ويخرجه باطنا عن أهله والكون بأجمعه ويزهده فيما سوى الله مع بقائه في كسبه وملبسه ومشربه ومركبه، ويعلّمه الصدق مع الله في جميع المعاملات الخ، ولا ينبغي للعالم أو للعاقل أن يزن حال عارف على حال عارف آخر، فإنّ ذلك جهل مركّب يجرّ صاحبه إلى العطب والسلام.

والوجه الثاني من وجوه الكلام المتلّعق بالمقالة التجانية، فيمن يقع الانسلاخ بين يديه ويصّح التلّعق به على الوجه المذكور. لأنّ هذا دين الله وشريعة سيدنا رسول اللهﷺالقائل نصيحة لأمتّه " لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتّى يعلم حكم الله فيه"[1]. [ورقة10]

وهذا الانسلاخ أمر من الأمور التي يعتقد بها المريد التقرّب لله، وإن لم يكن

---

(1) صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري (ت 1335هـ)، الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المكتبة الثقافية، بيروت، ص: 655. انظر: علي الصعيدي العدوي المالكي، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ط1412هـ، ج2، ص: 528.

كذلك فما فائدة الانسلاخ وإذا كان من التقرّبات إلى الله، فيجب عليك الإصغاء لكلام النّاصحين حتّى تعرف من تنسلخ بين يديه، وكذلك هو العارف الربّاني الذي صحّت عقيدته مع الله ونيابته عن رسول الله ﷺوذلك لا يكون إلاّ بتحقيق الفناءات بالاجتباء الإلهي والفيض لا بالعلم والفكر، وتصحيح الفناءات بالرأي التّام من الأسرار الأحمدية والأنوار المحمدية، ودليل ذلك ظهوره بأسرار الحضرات الذاتية والصفاتية والحقائق الأحمدية والمحمدية، وبمعنى البرزخية العظمى وبقية البرازخ.

وما هي الحقيقة الأحمدية وما هي الحقيقة المحمدية[1] ؟ وهل هما حقيقتان أو حقيقة واحدة لها وجهان واسمان؟ وهل تلك الحقيقة عين الحقيقة الأولى وغيرها أو عينها من وجه وغيرها من وجه؟ وما هو الفرق بين الأسماء والصّفات؟ وما هو الفرق بين الصّفات والذات؟ وما هي التجليات؟ وهل هي عين التجلّي أو غيره؟ وما هو التعلّق الأول والفتق الثاني والرتق الأول والرتق الثاني؟ إلى غير ذلك من هذه الحضرات يعلم ذلك وزيادة تحقيقا وتدقيقا وتفصيلا، وإجمالا بلسان فيض لا بلسان نقل ولا فكر والفرق ولا فرق بين الفيض والنقل، لا يخفى على أولي الأنوار من العلماء ولا على أولي الإنصاف من العلماء.

وهناك فرق واضح لا شبهة فيه وهو أنّ صاحب النقل والفكر له حدّ محدود، لا يزيد عليه وكلمّا زدت له سؤالا[ورقة11] زاد ضيقا وصاحب الفيض ليس له حدّ يقف عنده ولو زدت فوق مقامه، قال:" لا أدري ولا يبالي وكلمّا سألته زاد انشراحا"، وتوسع في الجواب، لأنّ العالم يأخذ من نقله ويعتمد على علمه، والعارف الرّباني ليس له علم ولا فكر، وإنمّا له فضل ربّه، وبعدما ذكر فلا بد من وقوفه على حدود الشريعة في جميع المعاملات مع الله ومع خلقه ثمّ أن ذلك الانسلاخ لا يجوز إلاّ إذا كان الثاني أعلا من الأول بالدلائل المتقدمة أو يكون

---

(1) عقيدة أهل التصوف في سيدنا محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حيث يعتبرون أن أول ما فاض عن الله النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية، وأنه به وفيه ولأجله خلق الله سائر الكائنات، فهو أول خلق الله والسر الساري في كل الوجود، وواسطة وجود كل المخلوقات. ولعل سبب هذا التشابه بين العقيدتين، أن كليهما ناتج عن محاولة المطابقة بين العقائد الدينية والفلسفة اليونانية، لا سيما الأفلوطينية الحديثة.

بينهما المساواة، وكان الأول انتقل لعالم الآخرة.

أمّا الانتقال من عارف إلى مثله وهما معا بقيد الحياة، فإنّما هو من التلاعب بالطريق التي هي دين الله التي كان عليها بواطن الأنبياء والمرسلين، أمّا الانسلاخ من عارف حيّ - والعياذ بالله - بين يدي مقدم من مقاديم الأشياخ ﷺ أعني المتقدمين، فإنه أمر يأباه ظاهر العلم، لأنّ المقصود هو الله والشيخ باب الدخول ودليل دال على الله بقوله وفعله وهمتّه، وهو مقدّم من مقاديم رسول الله ﷺ ومقدّم أحد المشايخ المتقدمين، إنّما هو مقدم ذلك الشيخ الذي هو مقدم رسول الله ﷺ ولأنّ الشيخ أيضا له علم وتحقيق وتدقيق بأسرار الطريق وأوعاره وآفاتها، وله علم بالمسالك ولا كذلك المقدم وأعني بالشيخ من كملت فيه المشارب والشروط، وهو صاحب الوصلة المحمدية، فمن انسلخ عن مثل هذا، وانتقل إلى مقدم من المقاديم في أيّ طريق، فليس ذلك من الدّين في شيء وأخاف عن يكون عليه وبال[ورقة12] عظيم في الدنيا والآخرة.

قال مولانا العربي الحاتمي ﷺ:" ينبغي للإنسان أن لا يمشي بأمر نفسه، بل يتقلّد ببعض الرجال، وإن لم يجد فيتقلّد برجل صالح يعني كالمقاديم، لأنّ الإنسان من شأنه أن لا يربح على يد نفسه، وإنّما يربح على يد غيره، فإذا وجد بعض العارفين انتقل إليه هو ذلك المقدم إن كان ناصحا لنفسه، فإذا وجد صاحب البيعة المحمدية والإذن المحمدي فينتقل إليه هو وذلك العارف وبعد ذلك فما بقي له إلاّ اليد المحمّدية".

وقد قالوا " إذا صحبت كاملا وفقدته فلا تصحب إلاّ من هو أكمل منه، وإذا قيل أين ذلك الأكمل، فنقول له جد تجد، فربّ الأوائل هو ربّ الأواخر. وربمّا دخرّ الله للأواخر ما لم يعطيه للأوائل، وقال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1] ، والعارف بالله هو الآية الكبرى لدلالته على الله كما تدلّ عليه الآية القرآنية أو الآية التي هي المعجزة أو الآية التي هي الدليل والبرهان. فإذا انتقل ذلك العارف الكبير الذي انسلخت بين يديه وكنت طالبا للحقّ، وجب عليك

(1) سورة البقرة، الآية: 106.

أن تنسلخ بين يدي عارف آخر ليكمل مرادك، وإلاّ بقيت واقفا مع الواقفين.

الوجه الثالث من الكلام في المقالة التجانية، ما هو السبب المجوّز للمريد أن ينسلخ من أعماله وأوراده الأولى وشيخه الأول إذا وجد العارف الكامل؟ فأقول وبالله التوفيق السبب المسّوغ لذلك هو كون[ورقة13]المقصود ليس هو ذلك العارف ولا ذلك العمل، فإنّ المقصود هو الله والعارف والعمل إنمّا هي طرق عادية في الوصول إلى الله وباب فتحه الله، لها مدة معلومة تدخل الناس منها في تلك المدة إلى الله، فإذا انقضت تلك المدة فتح الله باب آخر للدخول إليه.

فإن كنت طالبا للدخول فيجب عليك النقل إلى الباب الثاني الذي فتحها الله لعباده، وإذا أردت الوقوف بذلك فلا بدّ لك أن تقف بكليتك، ولا تقف بكليتك إلا إذا انتقلت من الباب الأول، والباب الذي وقفت فيه له آدابٌ وأعمال بحسبه، لا بد لك من التكسّب والتعلّق بها، وإذا أردت التعلّق بها وجب عليك الانسلاخ من الأعمال الأولى ليصّح لك التعلّق بالأعمال الثانية.

فإذا أمرك العارف حسب الأعمال الأولى فذلك أمره لا الأمر الأول، وهو معنى تجديد الإذن، وأمّا من كان لا يعرف ما هو المقصود فيبقى واقفا في الباب الأول، لكنّه يبقى متبركا لا سالكا ويربح إمداداً وسعادات لا بد، ولكن بشرط أن لا ينكر على أهل الوقت.

قال مولانا أحمد التجاني ﷺ في معنى ما تقدم قاعدة:" اعلم أنّ الله تعالى قد أجرى في قديم علمه وسابق مشيئته، أنّ المدد الفائض من حضرة الحقّ إلى خلقه يكون في كلّ زمان على يد الخاصة العليا من النبيين والصّديقين، فمن فزع إلى أهل عصره وصحبهم واستمدّ منهم فاز بمدد الوقت، ومن أعرض أن أهل وقته استغناء بالأولياء المتقدمين طبع عليه بطابع الحرمان[ورقة14]ويكون مثله كمثل من أعرض عن نبيّ زمانه استغناء بالأنبياء المتقدمين.

وهي حكمة طويلة في كتاب جواهر المعاني فطالعها إن شئت، وإذا علمت أنّ التعلّق بأهل الوقت من نبيّ آخر أو وليّ آخر ممن تقدّم لا يسمّى ذلك خروجا من فضيلته وإمداده وبركاته وسرّ صحبته، بل يسمّى له نور على نور كما قال عليه الصلاة والسلام:" ثلاثة من الناس يعطون أجرهم مرتين عبد أطاع الله وأطاع سيده،

وامرأة أطاعت ربها وأطاعت زوجها، ورجل آمن بنبّي ثمّ أدرك نبيا آخر فآمن به"[1]، فأنت ترى أنّ من دخل في دين النبي الثاني لا يكون ذلك خروجا عن الدين الأول حتىّ كأنه يحبط عمله، بل عمله وإيمانه وصحبته الأولى بقي نورها مقرّرًا في القلوب وأجرها في الصّحبة، وهكذا من صحب عارفا من العارفين، ثمّ عارفا آخر بعد انتقال الأول له نوران، نور الصّحبة الأولى ونور الصّحبة الثانية الخ.

ولا تفهم من الانسلاخ أنّه انقطاع محض بين العارف الأول والثاني، كأنّه انهدم له ما تقدّم حاش لله أن يكون أمر من الأمور الشنية يحبط عمل صاحبها، نعم من لم يعرف حقيقة هذا الانسلاخ أو انسلخ من كبير من الكبراء، وتعلّق بمن دونه لا سيما إن كان الأول حيّاً ثمّ اعلم أنّ التعلّق بالنبي الوقتي واجب والإنكار عليه كفر، وأمّا التعلّق بالولي الوقتي فهو واجب في حقّ من طلب الحقّ والوصول إلى معرفته وأراد الفوز بنيل المدد الوقتي، وأمّا المنكر على الولي[ورقة15]الوقتي فهو حرمان وصاحبه ملحق بمنكر النبوءة لما فيه من عرف الإنكار والاعتراض ولو قررنا أنّ ذلك المنكر على الولي أدرك نبيا من الأنبياء لأنكر عليه أيضا لأنّ الولاية رشح من النبوءة وفرع عنها، وما من قال من القاصرين بأن الولاية لم تبق وما كان عليه الرجال في الزمان القديم فإنّ هذا الاعتقاد يؤول بصاحبه إلى خسران كبير، لأنه يكذب كثيرا من الآي القرآنية والأحاديث النبوية، كقوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ حتى يأتي أمر الله".[2]

وله معاني ومن معانيه أن طائفة من الأمة المحمدية تبقى واقفة على الحق الذي هو العمل بالشرع النبوي قولا وفعلا وخلقا ومشربا وعلوما كسبية وأسرارا لدنية أمدادا وهبية على سبيل الحمل لسرّ الشريعة ظاهرا وباطنا ويكونون هؤلاء

---

(1) لم نعثر على تخريجه.

(2) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا ! فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمه الله هذه الأمة". رواه: الإمام أحمد، ومسلم. حمود بن عبد الله التويجري، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان (2 / 193).

أرواح الكون وحياته وتجديد أمداده وهم مجال التلقي والإلقاء والإفاضة والاستفاضة، حتى يكون انقراض الدنيا مقرونة بانقراض آخرهم الخ.

وفي الآثار النبوية الأبدال[1] أربعون رجلا وأربعون امرأة، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه رجلا آخر، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة. وقد وردت آثار نبوية في كل صنف من أصناف الأولياء وأنهم باقون إلى يوم القيامة، وفي بعض الأثر أن العدد مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا على عدد الأنبياء[ورقة16]لا ينقطعون بل يزيدون وهم الحاملون لأسرار النبوءة وإمداد الشريعة إلى يوم الوقت المعلوم، فمن أراد خير الدارين فليعظّم الجميع إجمالا، ويتخذ منهم واحدا يكون واسطة بينه وبين الله، ومن أنكر واحدا منهم أو نقصه يمنعه شيخه من المدد شعر أو لم يشعر، وإذا اطلع عليه وجب عليه زجره وإلاّ طرده.

والتسليم سلامة ونعمة والسلام، وأمّا من أنكر علينا اجتماع الطرق، فنقول له أنت صادق. فإنّ كل طريق لا تقبل الشريك وليس هو من خصائص الطريق التجانية، غير أنها اشتهرت بذلك الحكمة يعلمها الله تعالى. والجواب له من وجوه: الوجه الأول هو أن تعلم أنّ المقصود من إفراد الصّحبة وتوحيد التعلّق، المراد منه جمع القلب والهمّة على باب واحد وسيد واحد، حتىّ يتمكن له أن يأخذ بقلبه إلى الله، لأنّ من كان له شيخان وتعلّقان لا يتمكن له جمع القلب على الله لشتيت

---

(1) في حاشية نفحات الأنس للجامي، إنّ لفظ الأبدال في اصطلاح الصوفية هو لفظ مشترك، فهو يطلق تارة على جماعة بدّلوا صفاتهم الذميمة بالصفات الحميدة، وليس عددهم محصورا، وتارة يطلق على عدد معيّن، وعلى هذا فبعضهم يطلق هذا الاصطلاح على أربعين شخصا لهم أوصاف مشتركة، وبعضهم يطلق اسم الأبدال على سبعة رجال، ومن هؤلاء قوم، على أنّ الأبدال هم غير الأوتاد، بينما يقول آخرون: إنّ الأوتاد هم من جملة الأبدال. ذكره الهندي في كنز العمال. وقد ورد بلفظ: " بدلاء أمتي أربعون رجلا: اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات واحد أبدل الله مكانه بآخر، فإذا جاء الأمر قبضوا" وعزاه الهندي لابن عساكر عن أنس بن مالك. البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1981،5، ج12، ص: 190. حديث رقم: 34610. انظر: محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996، ج1، ص: 87.

همته مع الشيخين وهذا الذي ادّعى لجمع بين الطرق إنمّا هو من الدّعاة إلى الله بعد البيعة المحمدية، والإذن المحمّدي، وإنمّا هي أسرار أربعة وموارث من ذلك الرجال، أعطيت له في حضرة محمّدية ومشهد واسع ومحفل كبير من الرجال حضرته ﷺ فإنّ هذا الإنسان ما دخل الطريق المذكورة بقصد منه لغرض دنيوي أو أخروي، وإنمّا هو عطاء بلا طلب وهو شاء الله غير مجذوذ يعني أنّ أسرار تلك الطرق الأربعة اجتمعت فيه، وصارت سرّا واحدا له[ورقة17]أربعة عناصر والمعلوم عند علماء الفنّ أن الطريق في كل زمان تسمى بصاحبها القائم بها، فالطريق الآن تسمّى سليمانية تسقى بفضل الله من عناصر الطرق الأربعة الجامعة لسرّها، بحيث أنّ من دخلها والحمد لله، يعطى بفضل الله ما في الطريق الشاذلية من الفضائل والبشائر والخصوصيات، وكذلك ما في الطريق الطيبية والجيلانية والتجانية وفضل الله يؤتيه من يشاء.

فصارت طريقنا والحمد لله مجمع الطرق، وما هي إلا فروع تفرعت عن أصل واحد، ثمّ اتحدّت واجتمعت بعد افتراقها، وذلك أنّ الطريق الطيبية شاذلية والتجانية أيضا، أخذت من الشاذلية كما تقدمّ راجعة إليها، والشاذلية جيلانية فالطرق الأربعة متصلّة أولا وآخرا ولا غرابة في هذا.

فإنّ المعلوم عند الرجال أنّ صاحب الإذن النبوي يعطي جميع الطرق ولا حرج إذ من صحّت له البيعة المحمدية فله أن يبايع في جميع الطرق فافهم، وأمّا ادّعاؤنا الطرق الأربعة فهو تحدث بنعمة الله، وفيه تأنيس المدعويين وموافقة لأغراض المريدين، كما قال مشايخنا رضي الله عنهم:" ندخل المريدين كما يحبّون ونخرجهم كما نحبّ" وفيه من الحكمة الإلهية ما لا يخفى على ذي بصيرة قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[1] ، والحكمة هو أنّ تعامل كل واحد من المدعويين بحسب حاله وتدخله من أيّ باب شاء.

وقول أحبابنا" أن شيخنا يعطي الطرق الأربعة هو كذلك، لكن من آتانا

(1) سورة النحل، الآية: 125.

مخلصا صادقا عارفا، فإنّ الاقتداء إنّما يكون بالشيخ[1] القائم، [ورقة18]لا بالشاذلي ولا بالطيبي ولا بغيره، لأنّ الآمر والناهي والمربي له والماشي به في عوالم الغيب والسالك به مسالك السنّة، إنمّا هو الشيخ القائم لا من هو في عالم البرزخ، فإنه ليس له الآن تعلّق بالكون ولا بالمريد، لأنه في حضرة الله خارج عن عالم التكليف، وإنمّا ينتفع المحبّ له بحسب محبّته فيه، لأنّ الله ينوب عن الولي عند فقده بموت أو سكر الخ.

فمثل هذا المخلص الصادق يأخذ الطريق لا يقيد أنها شاذلية ولا طيبية ولا غيرها، بل على أنّها سليمانية نعم هي شاذلية جيلانية طيبية تجانية، أيّ جامعة لفضائل تلك الطرق العظام، وهذا هو الذي يربح من حينه، إذا عمل ببقية الشروط والآداب، وأمّا من أتى غير عارف بالطريق ولا بمعنى الدخول ولا ما هو المقصود، وكان راشحا في قلبه أنّ المقصود هو الطريق الفلانية رسوخا، لا يمكن إخراجه عنه سرعة فنمدّ له الطريق، يعني أورادها موافقة لغرضه من الجيلانية أو غيرها.

فإذا مارس الطرق وعلمها وآدابها وتحقّق غيره أنّ المقصود هو الله وأنّ شيخك هو الآمر لك والناهي، وتلك التربية فإنه حينئذ يتنزل إلى ما هو المطلوب من صفاء العقيدة وتوحيد الرابطة وعند ذلك يمكن له جمع الهمّة على الله فنسبة الطريق في كلّ زمان ومكان إلى صاحبها القائم بها، وتسميتها بالمشايخ الأقدمين، إنمّا هو كنسبة الإنسان إلى بعض آبائه وأجداده واشتهاره بأحد[ورقة19]أسمائهم والله الموفق.

الثاني هو أن تعلم أنّ سيدنا في الطريق الجيلانية وغيرها على وجوه حسيّة ومعنوية، فالجيلانية كان أخذها مولانا عدة ﷺ من بعض فحول الطريق الجيلانية[2]،

---

(1) والشيخ: عند السالكين هو الذي سلك طريق الحقّ وعرف المخاوف والمهالك، فيرشد المريد ويشر إليه بما ينفعه وما يضرّه. وقيل الشيخ هو الذي يقرر الدين والشريعة في قلوب المريدين والطالبين. وقيل الشيخ الذي يحب عباد الله إلى الله، ويحب الله إلى عباده، وهو أحبّ عباد الله إلى الله. وقيل: الشيخ هو الذي يكون قدسي الذات فاني الصفات. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996، ج1، ص: 1049.

(2) الجيلانية: تنسب إلى عبد القادر الجيلاني 470 - 561هـ المدفون في بغداد، حيث تزوره كل =

وبقيت ممتزجة أسرارها مع طريقه وعنه أخذها مولانا الموسوم[1]، كذلك ممتزجة وعنه أخذها مولانا محمد بن عبد الله الغريسي كذلك وعنه أخذها مولانا وسيدنا قدور كذلك ثمّ أنّ سيدنا قدور زاد فيها إذنا من حضرة سيدنا رسول الله ﷺ يعني في الجيلانية وعنه أخذنا طريقه ممتزجة بالجيلانية، ثمّ وقعت لنا أمدادات جيلانية والحمد لله، وعطاء جامع الأسرار الأربعة كما تقدم، وأمّا الطريق الطيبية فإنّ الله خصّصها بسرّها من غير أن يذكر مشائخنا في ذلك، وأمّا الطريق التجانية فإنّ مولانا الموسوم ﷺ وقع له فيها إذن غيبي وعطاء رباني محمّدي، بعد بلوغ المقام الذي كان يقول فيه من قصيدة عينية:

محمّـــــــد قـــــرة عينـــــي   يحـــــبّه قلبـــــي والـــــع

فلـــــو غـــاب عنّـــي ســـاعة   مـــتّ فـــي الحـــين لايـــع

عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرُّك به، اطلع على كثير من علوم عصره، وقد نسب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات. وقد قال ابن تيمية عن الجيلاني: ((والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع، والأمر والنهي، وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية، الرياض، السعودية، ج62، ص: 1.

(1) الموسوم: هو محمد بن أحمد الموسوم المولود سنة 1820م، أصله من غرب نواحي مليانة بلدية جندل، وسكن قصر البخاري، حيث تتلمذ على يد شيوخ كبار، أمثال: الشيخ عدة بن غلام الله الذي أخذ عن شيخه العربي بن عطية عن العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية، والشيخ الشفيع الذي أخذ عنه العلوم الشرعية، تتلمذ في صباه بمازونة. ليصبح فيما بعد عالما وبحرا في فنون مختلفة كعلم الكلام والفقه، واللغة والبلاغة والأدب. أسس زاويته المشهورة بقصر البخاري سنة 1865م، ليتخرّج على يديه ثلة من خيرة العلماء والأولياء أمثال قدور بن سليمان، والشيخ محمد الشرقي العطافي، من أهم مؤلفاته: الأنوار المضيئة في الصلاة على خير البرية، الرسالة في اسم الجلالة، كشف الغمة في الصلاة على خير الأنام، العقد الثمين في الصلاة على النبي يوم الاثنين، الدرر البوعبدلية في الصلاة على خير البرية. توفي رحمه الله في شهر فبراير 1883م ودفن بقصر البخاري، حيث قبره مزار ومشهور. محمد الهاشمي بن بكار، كتاب مجموع الحسب والنسب والفضائل والأدب، المطبعة الخلدونية، الجزائر، ط1961. ص: 143.

فصاحب هذا المقام كيف ينسلخ من نفسه أو طريقه على أنّه أعطيها وهباً لا كسباً؟ وفائدة الانسلاخ اجتماع الهمّة على القدوة، حتّى يتمكّن له اجتماع القلب وصاحب هذا المقام صار كلّه جمعا تجتمع به القلوب على الحبيب المحبوب. ومن جملة[ورقة20]ما خصّ الله مولانا الموسوم المذكور أنه قيل له من حضرة غيبية محمّدية" أنت مغفور لأحبابك وأحبابهم وأولادك قلبا وصلبا، وأولادهم إلى قيام عيسى ابن مريم، وقال رسول اللهﷺ: "من دخل تحت جناحك فكأنّما دخل تحت جناح جبريل عليه السلام".

وله خصائص غير هذه، وبعدما حصل له الإذن أمر تلميذه سيدي قدور رضي الله عنه أن يذهب عند العالم العلامة سيدي علي ابن عبد الرحمن مفتي بلدة وهران، وكان مقدما في الطريق التجانية، فأخذ عنه وردها فلمّا طلب منه الانسلاخ، قال له: إن هذا أمر نبوي خارج عن الشروط، فأعطاه سيدي المقدم المذكور الإذن في التجانية، ثمّ ذهب إلى شيخه مولاي الموسوم، فأخذها عن تلميذه المذكور، ثمّ أعطاها سيدنا قدور المذكور رضي الله عنه بعد بلوغه الكمال ووقع له فيها إذن من سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه في بعض الوقائع البرزخية، ولم يشترط عليه انسلاخا ولا غيره.

إذ هو عطاء وجود وكرم ثمّ وقع له فيها إذن أيضا من حضرتهﷺمن غير شرط، لأنّ شرط الانسلاخ كما تقدم بقصد اجتماع الهمّة، وهذا كان رجلا كاملا، قال له رسول اللهﷺأصحابك أصحابي وأحبابك أحبابي، وطريقتك طريقتي وحضرتك حضرتي وتلامذتك تلامذتي، وقال له: لا تخف إنّك أنت الأعلى على جميع الأولياء، وقال له: أنت رأس الأولياء [ورقة21]وقال له: "من رآك فقد رآني[1] الخ. وقال له: "وعزّة الله وعظمته لا يحبّك إلاّ سعيد، وعزّة الله وعظمته لا يبغضك إلاّ شقي"، وقال له:"أنت رجل الوجود وله البشائر والخصوصيات أمر غريب" ولله الحمد، وقيل له في بعض الأحوال:" أحبابك وذرّيتهم وذرّية ذرّيتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مضمونون من آفات الدارين ضمانا نبويا".

وقد ورث أسرارا كثيرة كما هو مسطّر في كتاب المرائي النبوية من رجال

(1) محمد الموسوم، رسائل الشيخ محمد الموسوم، مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام بمسجد الشريفية وهران، الجزائر، ورقة: 29.

عظام كسينا ابن العربي الحاتمي ﷺ وسيد أمحمد الهبري ﷺ وقال له رسول الله ﷺ في أوساط سيره:" ستصل مقام الشيخ عبد الوهاب الشعراني والجيلاني والتجاني الخ". وقد أخذنا طريقه وأوراده ممزوجة بهذه الأسرار العظام والحمد لله، ثمّ وقع لنا والحمد لله أسرار وموارث من حضرات كرجال الطرق المذكورة.

ثمّ وقع لنا إذن خاص في الوصفية مرّة بالليل ومرّة بالنهار، بنيّة خاصة من حضرة العصمة عليه الصلاة والسلام، ووقع لنا مرّة إذن خاص في الطريقة التجانية بتشبيك الأصابع وقت المصافحة وقبلني حينئذ من فمي عليه الصلاة والسلام والحمد لله. وقد ضمنني وأحبتّي وذرّيتي والحمد لله، ثمّ قال لي:" ضمنت لهم الدّنيا والآخرة" وقد وقع لي في أحبابي تبشير بوسع الدّارين ورزق الدّارين وعافية الدّارين ولنا والحمد لله فضائل وإكرامات من حضرته، لا يسعني تسطيرها في هذه الكرّاسة[ورقة22]والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، ونسأله دوام فضله وحفظه وزوائد خيره وبره أبدا آمين.

وإذا علمت أن هذا عطاء رباني محمّل خارج عن القيد والشرط فألزم التسليم، وإن أكرمك الله بالدخول في هذا الحمى الأمين فاحمد الله الكريم على ما أولاك من فضله العظيم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وقد تبيّن المعنى بأوضح بيان لذي قلب سليم، وظهر لك أن الجمع لهذه الطرق هو كناية عن إكرام الله لطريقنا بفضائلها، وخصائصها، وأسرارها وإنمّا الطرق والورد يسمّى بقيامها الوقتي، ونسبتها لغيره كنسبة الولد لآبائه وأجداده والسلام.

وأمّا قول القائل بأنّ هذا الجمع بدعة فنقول له نعم، لو كان بأنفسنا ولكن بعطاء من ربنا وجاه نبيّنا ومشايخنا، وللمنكر أن يقول ما شاء، وبعد اطّلاعه على كتابنا هذا، فإن كان من أهل الإنصاف والكمية الربّانية، فإنه يسلم ويصدّق بمجرّد الاطّلاع عليه، وإن كان من أهل التعنّت والعناد، فإنه لا يرجع كما قالوا ولو أتيته بألف مجلّد، وهو داخل فيمن قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾.[1] لأنّ كلّ آية وردت في

(1) سورة يونس، الآية: 96 - 97.

حقّ الأنبياء وأهل زمانهم من وعد للمحبّين ووعيد للمنكرين، تجرّ ذيلها على الأولياء وأهل زمانهم من المصدقين والمنكرين، بحسب الميراث.

فإنّ العلماء ورثة الأنبياء والعالم بالله هو الوارث الكبير لجمعه بين التشريع وباطن التحقيق. [ورقة23]وأمّا العالم بظاهر التشريع فقط فحظّه من الوراثة بحسب الوجهة الظاهرة لنخلص فيها لله، ثم اعلم أنّ المنكر على طريقنا فلا بد أن تلحقه في دينه ودنياه والعياذ بالله، وأنّ المحّب فلا بد أن يلحقه من الوعد الكريم من سعة الدّارين والحمد لله ربّ العالمين.

وعلى كلّ حال فالتسليم ولاية والانتقاد جناية، واعلم أنّ العارف بالله هو رجل حصّل العلوم الشرعية، فكان بها أحدا من العلماء ثمّ عمل بها، فكان أحد العبّاد والزهّاد ثمّ اصطفاه ربّه واجتباه ورفع بينه وبينه الحجاب، وأدخله مداخل الأحباب وكيف من هذا حاله ظاهراً وباطناً يقول فيه القائل إنّه يفعل البدعة حاش لله ولكن مهلكة ابن آدم لسانه، ولو سألنا هذا القائل عن البدعة، فنجده لم يعرف حقيقتها.

إذ هناك بدعة مستحسنة وبدعة مستقبحة، وبدعة محرّمة وبدعة واجبة وبدعة مباحة ولكل بدعة حقيقة تخصّها ووصف يضبطها، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع، وإذ لو خشع القلب لسكن اللسان عن الفضول في الكلام، وكان من حقّه إن كان عالما أن يغيّر هذه البدعة، بأن يجتمع بصاحبها ويباحثه فيها، كما هو شأن العلماء الصادقين. فإن وجدها بدعة سعى في تغيرّها، وإن وجد لها دليلا وبرهانا أقرّها، فإنّ فوق كلّ ذي علم عليم، وأمّا الإنكار من بعيد فهو من فعل الصغار القاصرين أو أهل الإنكار الحاسدين، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝ ﴾[1]، ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝ ﴾ [ورقة24].[2]

وأما قوله في اسم الجلالة حاش لله أن يكون هو الاسم الأعظم لا يعرفه أحد

(1) سورة القصص، الآية: 56.

(2) سورة الأنعام، الآية: 11.

في زماننا الخ، فإنّ هذا الكلام فيه سوء الأدب والعياذ بالله مع الله ومع رسوله وفيه تكذيب للسنة وجمهور العلماء والعارفين وفيه تحجير على لله حيث جزم أنه لم يكن من يعرفه في هذا الزمان. وما حملك أيّها الحبيب أنّ تحجر على الكرم الإلهي والوسع العظيم الخارج عن أطوار العقول والعلوم؟ وهل اطّلعت على ما في علم الله أو على جميع أولياء الله ومقاماتهم وأحواله ومشاربهم، وما خصّ الله كل واحد منهم من الأسماء والتجليات والمعارف والقدسيات وبساتين الأسرار والأنوار الربانيات والمحمديات، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟

بل هي عن إدراك الروحانيات والبصائر المكحلات بجمال الأسماء والصفات إنا لله وإنّا إليه راجعون ونعوذ بالله من تعدّ الحدود ولو مازجت عارفا من العارفين كسيّد أحمد التجانيرضي الله عنه وتأدّبتَ بصحبته لعلمت ماذا تقول ولحزنت على قولتك هذه واستغفرت منها ظهراً طويلا ولكنّ هذا شأن من لم يصحب الرجال، وربّما يقول القائل: ومن لي برجل مثل سيدي أحمد التجانيرضي الله عنه.

فنقول له أنّ الزمان عامر برجال الله إلى يوم الوقت المعلوم، والمقامات عامرة ما انتقل صاحب مقام إلا ووارثه بالباب من طريقه أو من غيرها. ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1] فإنّ سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه[ورقة25]كان قطبا ختما مكتوما وهذا حال القطب في كلّ زمان وهو خلوة الله الخاصّة التي لا ينقطع مددها، ولا يفقد صاحبها، فإذا أراد الله إفناء هذا العالم انتقل حكمها للآخرة وما يعقلها إلاّ العالمون.

فالقطبانية هو كناية عن كونه هو صاحب الإفاضة والاستفاضة التي تدور عليه الإمداد الفائضة من البرزخية العظمى إلى برزخيته الثانية، والختمية لكونه المحيط بمقامات الولاية، والخاتم لجميعها بسبب التجلي الخاص به الذي هو أصل لجميع التجلّيات المتفرعات في مقامات الولايات والكتمية لكونه من حيث اللطيفة الباطنية والمشاهد الخاصة به هو سرّ مكتوم في غيب الحضرة الأحدية لا يطلع عليه غيره

(1) سورة الأنعام، الآية: 124.

من جميع الأولياء، فهو غيب من غيوب الله محفوظ في سرد فات عزّته وغيرته، وهذا حال كلّ قطب في كلّ زمان فلو فتّشت بصدق وجدّ لوجدته أمامك، فإنّ الله يعطي العبد على قدر همّته فلو طلبت همّتك أن تكون قطبا أو فردا لوجدّته ذلك في نفسك؛ فإنه لا مانع بين العبد وبين مطلبه الأضعف همّته ونقص نيّته، ومن قالت له نفسه إنّ القطبانية[1] مقام عظيم لا يناله مثلك فليعلم أنّ ذلك من تسويل الشيطان، وتعجيزه فإنّ فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن جدّ وجد وقابلية الإنسان أهل لكلّ خير وسرٍ ومددٍ، فإنّ كل آدمي هو مخزن لسرّ القطبية والختمية والكتمية، ولكن عافت عوائق وموانع من قبيل النفس والهوى، بل هو من قبيل الحرمان،[ورقة26] والحرمان سببه نقص الاستعداد، ونقص الاستعداد من العلم المجهول، بل العلم المعلوم عند الرجال المكتوم عن غيرهم. وهو من العلم الذي أمر بكتمانه ﷺولكن تناله الأكابر من مشكاة حقيقة الأحمدية والمحمدية بعد تصحيح المتابعة وخدمة الرجال.

واسمع أيها الحبيب مقالة ناصح غير متبدّع أن الاسم الأعظم في نفس الأمر هو كناية عن سرّ إلهي وفيض رحماني محيط بجميع الأسرار والفيوضات وهو في نفسه ليس له حرف ولا صوت ولا يختّص بمعنى دون أخرى. لأنّ وصف الإحاطة ينافي الاختصاص، وهو الموقف الأعظم للحقيقة المحمدية والإمام الأكبر لكل من وقف بذلك الموقف من أكابر أتباعه وورثته ﷺ، ثمّ له مظاهر في جميع العوالم فله مظهر في عالم الصّفات وله مظهر في عالم الأسماء، بل مظاهر في عالم الحروف وله مظهر في عالم النّعوت وله مظهر في عالم الشؤون، وله مظهر في عالم الإنسان،

---

(1) القطبانية: اعلم بأن رجال الله هم أقطاب وغيرهم يعني رجال الله هو أقطاب. ومنهم الغوث والإمامان والأوتاد والأبدال والأخيار والأبرار والنّقباء والنّجباء والعمدة والمكتومون والأفراد. فالقطب هو الذي يكون على قلب محمد عليه الصلاة والسلام ويسمّى أيضا بقطب العالم وقطب الأقطاب والقطب الأكبر وقطب الإرشاد وقطب المدار ويسمّ بالغوث أيضا. والمراد بقولهم: فلان على قدم أو قلب فلان النبي هو: أنّ ذلك الولي وارث لخصوصية ذلك النبي. يعني: ما لذلك النبي من علوم وتجليات ومقامات وأحوال فإنّ ذلك الولي بواسطة المدد من ذلك النبي يحصل عليها. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ج2، ص ص: 1326 - 1327

وله مظهر في عالم النبات والجماد والحيوان والأفلاك الخ.

ولو كان المحلّ محلّ بسط لبسطنا لك عليها، والمعاني ما يبهر عقلك، حتّى أنّ لله في كلّ زمان أخفياء وأمناء حاملين لما لم تحمله العقول من أسرار حضرته، ولا أريد نفسي خصوصا، بل أريد أهل الوقت في كلّ زمان وأني والله ما عليّ إلا فضلهم وبركاتهم ومددهم، وما أنا إلا أغتسل في مياه أسرارها وأنوارهم، وأتحصّن بحماهم من شرّ الدّارين. [ورقة27]وآفات الدّارين وأحصّن ذلك جميع ذريتي وأهلي وأحبّتي، كما أتحصّن بحماهم من شرّ النفس وشرّ الشيطان الرجيم، وشرّ كلّ ذي شرّ وما حملني على مثل هذا الكلام إلاّ عثرة من قولة فيها سوء أدب مع جميع أهل الوقت، والله يقابلنا بحلمه وعفوه وعافيته آمين.

ولا تحسب أنيّ نقلت شيئا من هذا أو سرقته من كتب الرجال، دعوى وتطفلا، بل هو مستمّد من مشكاة أهل الوقت وأمدادهم التي ملأت جميع الأزمنة والأمكنة، وكيف وهم مظاهر أنوار النبوءات والهدايات وأسرار الحقّ القدّسيات، وكلّ مسّخر تحت مشيئته تعالى والسلام.

ولنرجع إلى الكلام في حقّ الاسم الأعظم[1] إما اسم الجلالة "الله" فقد وقعت فيه آثار نبويات، فإنه هو الاسم الأعظم وهو الاسم الذي لقّنه الحقّ لنبّيه ﷺ بقوله تعالى يا محمد: "﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾[2] ، وقد لقّنه ﷺ لسيدنا علي كرّم الله وجهه ولكثير من الصحابة، كما وردت أحاديث وأنه ذو الجلال والإكرام، وأنه الحيّ القيوم، وأرحم الراحمين، كما ورد وإنه في آخر البقرة وأول

(1) جاء في ابن كثير أنّ لفظ الجلالة" الله عَلَمٌ على الرب تبارك وتعالى، يقال: إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصفات، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝ ﴾ سورة الحشر، الآيات: 22 - 24. فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له، كما قال تعالى: " وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا"، وقال تعالى: " قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ". سورة الإسراء، الآية: 110.

(2) سورة الأنعام، الآية: 91.

آل عمران والموجود فيهما هو الحيّ القيوم.

لكنّ هناك إشارات أخرى استنبطها بعض العارفين وأنها اسم الهوية هو وهناك سرّ آخر لا يجوز إفشاؤه، وورد أنه ربّ الأرباب، وقل إن شئت هو اسم فيه أربعة أحرف، في حرف منه ثلث العدد، وفي حرفين منه ثلثان من العدد، والحرف الرابع[ورقة28] سار عدده بل سرّه في جميعها.

ثمّ هذا الاسم إن قلبته يخرج منه صفة كاملة، واسم من الأسماء التسعة والتسعين واسم صفة ناطقة، بل كلّما قلبته خرجت لك معاني تامة الخ. وجميع تلك الأسماء المذكورة وهناك أسماء لم نذكرها، دالة على ذلك الموقف الأكبر والمشهد الأعظم وكل منهما يعني من تلك الأسماء الحرفية هو عين ذلك الاسم، الذي ليس بحرف ولا بصوت كما أنّ جملته في فاتحة الكتاب هو عين ذلك الاسم، بل الفاتحة بجميعها أيضا.

فمن عرف ذلك الاسم الأعظم أينما وجده في عالم الحروف أو الكلام أو الأسماء الخ ومن لا فلا، وهذا الموقف هو موقف معمور بأهله في كلّ زمان، فكيف ينكر العبد العاجز، مقاما وموقفا ربّانيا، ويشهد بنفسه على شيء لم يكن له به خبرة، فالتوبة أيّها العبد المسكين ونحن كلّنا مساكين نسأله التوبة والمغفرة والعصمة والسلام، المحيطة بجميعنا آمين.

ولو ساعدنا الحال لبسطناك بأكثر من هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته وسلامته، أيّها الأحباب وكونوا على الجدّ والعمارة والمعاونة على تقوى الله، هي حصن الآمان وأوصيكم بحسن الأدب مع الله، ومع خلقه وحسن المعاشرة مع كلّ صغير وكبير وبار وفاجر بحسب الإمكان، وأوصيكم بكثرة الاستغفار والصلاة على رسول اللهﷺ.

وذكر اسم اللطيف[1] الحفيظ[2] والسلام، فإنها حصون عظيمة وأبواب[ورقة

---

(1) ومن أسمائه الحسنى اللطيف "إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ". سورة يوسف، الآية: 100. "لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللطِيفُ الخَبِيرُ". سورة الأنعام، الآية: 103. " أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطِيفُ الخَبِيرُ" سورة الملك، الآية: 14. واللطيف هو المتصف باللطف. انظر: البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر، الأسماء والصفات، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، السعودية، ط1، د ت، ج1، ص: 23.

(2) وهو الاسم السابع والتسعون من أسماء الله الحسني، فقد سمي الله نفسه به علي سبيل

29]كبيرة لإمداد الفرج والرّحمة، وتأدبوا ما استطعتم، فإنهم مظاهر الأحكام الإلهية، وإنّ الله قد تجلى بما شاء من قضائه، فلا ملجأ ولا منجأ إلاّ إليه، والملجأ إليه هو برؤية القضاء منه تعالى، والتوّجه إليه بكثرة الاستغفار..الخ.

فإنّما أعمالنا تردّ علينا ما أصابك من سيئة فمن نفسك، فإن وقعت المغفرة الكبيرة وقع اللطف العظيم، واعلموا أنّ الأدب مع المخزنية هو من جملة الشرع، وهو أصل العافية، وبالعافية تقام العبودية التي هي راس كلّ خير في الدّارين، وعليكم السلام من جميع الأحباب كما يعاد سلامنا بالخصوص للمقدم سيدي مولاي أحمد التهامي وجميع الأشراف وبني عمّه الأخيار وسيدي بومدين بلخير لطّف الله به وجمّله وكمّله، والحبيب سيدي المنصور وبني عمّه. ولا بد أن تقرؤوا هذه الرسالة لجميع الأحباب وتقرؤوها للطلبة الذين أنكروا علينا الجمع بين الطرق، والله يداركنا وإياهم بالعفو والسّماح، وتجعلوا منها نسخا، وتمكنّها لصاحبها سيدي بلقاسم الوريمشي فورا، وبه أخوكم محمد بن سليمان سلمه الله وأهله وأحباؤه وذرّيته في الدّارين. آمين وصلى الله على الحامد المحمود سيدنا ومولانا محمّد وآله وصحبه وسلم تسليما.

انتهت النسخة المباركة الناطقة بلسان حالها بتسميتها

" تحجيم أهل الإنكار من صاد الغزالة بركوب الحمار"

-

الإطلاق مرادا به العلمية ودالا علي الوصفية في بعض النصوص القرآنية، وقد ورد المعني محمولا عليه مسندا إليه في قوله تعالى: " وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ". سورة سبأ، الآية: 21. وقد ذكر الإيجي" أنّ الحفيظ معناه العليم من الحفظ الذي هو ضد السهو النسيان". عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، كتاب المواقف، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1997، ج3، ص: 319.

عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان

تأليف الشيخ أحمد سكيرج العياشي

باسمك اللهم افتح وصل على من خاطبته بقولك الم نشرح

هذا عقد المرجان الموجه إلى الشيخ محمد بن سليمان

من خديم الحضرة الأحمدية التجانية أحمد بن الحاج سكيرج كان الله له وليا، ورفعه مكانا عليا، إلى من خاض بحر المعارف فاستخرج منها دررا ودخل روض الأنس الذي لا يصف ما فيه واصف يجني منه زهرا وثمرا، الشارب من حوض الحقيقة ما كمل به في بساط التحدث بالنعم الجليلة والدقيقة، شيخ الطريقة السليمانية سيدي محمد بن سليمان زاده الله بسطة في العلم والجسم بين الأعيان، وسلام الله على تلك الشمائل الأريحية والهمم المضرحية عن مدد مولانا رسول الله عليه السلام.

وبعد فإن لله نفحات تحيي القلوب، وتكشف الكروب، ويستحيل بها النحاس إبريزا، والذليل عزيزا، والعدّو محبّا، والبغيض محبوبا والبعيد قريبا والمخطئ مصيبا، ونحو ذلك من الجمع بين الضدين بمقتضى التجليات التي لا تحصر كشفا وذوقا ومشاهدة، بتعمّل وغير تعمّل عن مجاهدة أو غير مجاهدة، فإنّ دائرة الفضل متسعة لا تحجير فيها على داخلها من قطف أزهارها وأثمارها وما شاء بما شاء لمن شاء منها، وفي تلك الدائرة دوائر اقتضى الفضل الخصوصي تحجيرها على من لم يكن من أهلها بما عوضهم به من غيرها نعمة أو نقمة. والكلّ لا يخلو عن حكمة والجميع بحمد الله في كنف الرحمة بمقتضى سبقت رحمتي غضبي[1] . ومن تحقق

(1) إشارة للحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺقال: " قال الله عزّ وجلّ: سبقت رحمتي غضبي..."صحيح الإمام مسلم(كتاب التوبة)باب في سعة رحمة الله تعالى رقم: 6919، صحيح البخاري(كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، رقم: 7387، مسند الإمام أحمد(مسن أبي هريرة ﷺ) ج2/480، رقم: 7277 وج3/ 81 رقم: 8888، مجمع الزوائد للهيثمي(كتاب التوبة) باب منهم في رحمة الله تعالى =

بهذا الأمر لم يستعظم ما تظاهر به الأكابر من التحدّث بالفضل الذي منحهم الحقّ به، وكان أول مصدّق لأهل الله فيما يقولون، ولكن حجاب المعاصرة مسدول رواقه على غير أهله، فلا يرون ما وراء الحجاب من خصّه الله بفضله، إظهارا لبديع الحكمة وإخفاء لسرّها في خواص كلّ امة وكلّ ميسّر لما خلق له.[1] ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[2]، ولآمنت كلّ أمّة بنبيها، ولأذعن كلّ الناس لمن تظاهروا فيهم بالمشيخة أو بالولاية وفي ذلك حكمة بالغة.

وإنّي أنهي إليك أيها الأخ الصالح أنه لم يجئ أحد بما جئت به إلا عودي[3] بمقتضى الوراثة المحمدية، فجدير بك أن تقف موقف الثبات عندما ترى وثبات المنكرين عليك، وتتخلق بخلق من قال:" اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".[4] فالمنصب التي انتصبت فيه قاض عليك بأن تنهج المنهج الذي قيل فيه لصاحب الخلق العظيم: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.[5]

=

ج10/ 358، رقم: 17612.

(1) إشارة على قوله ﷺ حين سأله أحد أصحابه: يا رسول الله فيم يعمل العاملون؟ قال: كل ميسر لما خلق له. انظر: صحيح البخاري(كتاب التوحيد) باب قول الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر رقم: 7385. (كتاب تفسير القرآن) باب قوله تعالى فسنيسره للعسرة رقم: 4830، صحيح مسلم(كتاب القدر) باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمّه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 6688، رقم: 6684.

(2) سورة هود، الآية: 118

(3) إشارة لقول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: " لم يأت رجل قط بما جئت به إلاّ عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا...الخ". انظر: صحيح البخاري(كتاب التعبير) باب أول ما بدء به رسول الله ﷺ رقم: 6830. صحيح مسلم(كتاب الإيمان) باب بدء الوحي إلى رسول الله ص رقم: 358. مسند الإمام أحمد(حديث السيدة عائشة رضي الله عنها). ج7/ 318، رقم: 25468، ج7/332 رقم: 25559.

(4) إشارة للحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: كأنني انظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدّم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون". صحيح البخاري(كتاب الأنبياء) باب الغار، رقم: 3402.

(5) سورة الأعراف، الآية: 199.

فلقد طالعت شريف كتابك وهو أول كتاب تشرفت به من عندك، فوضعته على الرأس تنويها به، وتعظيما لشأنه، وتصفحت مما فيه، فإذا سطوره شطور من المنى تلمع من بين ألفاظه أنوار المعاني وشمس المعارف بعد إنبائكم لنا بمحبّتكم لنا في ظهر الغيب منذ أخبركم عنّا محبنا العارف بالله خالكم مفتي الحضرة المستغانمية زاد الله في معناه، فإنه رعاه الله ذو مرآة صافية ينظر فيها بنور الله[1]، ولم ير منا إلا سورته وصورته، فحلانا بأوصافه، فما ظهر له فينا من الشغف برقائق الفنّ اللّدني الموجب لنا فهو كما تعلم بالمثابة التي تعلم، وربّما اقتضت فراسته ذلك فينا جعلها ربّي حقا.

أمّا أنا وأعوذ بالله من قول أنا فلست ممن ذاق من ذلك الفنّ في خاصة نفسي، لا في معناي ولا في حسّي، وإنّما كنت ولوعا بمطالعة كتب القوم في اليقظة والنوم، أطالع في اليقظة ما يتجلى لي في المنام في صور تعد عند غيري من محكمات السور، فكم رأيت وما دريت، وليس قولي هذا بتنزّل عن المقام، وإنّما أخبرك بحقيقة الأمر بصدق الكلام.

وقد تأسفت حين بلغني ما بلغني عنك في سياحتي، ولم تسمح المقادير باجتماعنا، فكنت منذ رجوعي وأنا أجد ميلانا منّي يجاذب الحبّ في الله إلى السؤال عنك. ويعجبني ما أنت عليه من عمارة أوقاتك بما يعود عليك فيه النفع عاجلا وآجلا، ولم ألتفت لعارض العرض، لأنه لم يكن لي في ذلك غرض، ولم يحصل ما يكدّر تلك اللطيفة الباطنية الممتدة في ظهر الغيب، تحققا منّي بأنّ الحقّ لا تحجير عليه فيما منه وإليه ولطالما ناضلت عنكم وعن أهل النسبة بما أرجو من الله أن يجازي عنه بالأخذ باليد إلى أن نصل غاية المقصد.

وفرحت كثيرا منذ وصلني أنكم انخرطتم في حزب الطريقة الأحمدية

---

(1) إشارة لقوله ﷺ: " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثمّ قرأ" إن في ذلك لآيات للمتوسمين" انظر: الترمذي، سنن الترميذي(كتاب تفسير القرآن) باب ومن سورة الحجر، رقم: 3239. الهيثمي، مجمع الزوائد (كتاب الزهد)باب ما جاء في الفراسة، رقم: 17940. القضاعي، مسند الشهاب،ج1/ 387.رقم: 663، جامع الأحاديث والمراسل(حرف الهمزة مع التاء). ج67/1، رقم: 321.

التجانية بإذن خصوصي، تيقنا منّي بأنكم حللتم في الضمان الأحمدي بالظفر بالمقصود. فوق ما يظن، وتمّ بذلك لكم الفتح وكمل لكم به الربح، ثم صار يبلغنا عنكم ما تتعاطونه من الأخذ بيد المريدين، وما تتحدثون به من الفضل والمناقب التي ضمنت لكم بين الهادين المهتدين، فلم يزدنا ذلك إلاّ كمال تصديق لجنابكم بين إخوانكم وأحبابكم.

حتّى بلغنا أنكم صرّحتم بالإذن لكم في تلقين الطريقة التجانية من غير اعتبار شروطها المقررة، وحملتم الانسلاخ المشروط فيها على محامل أنت أدرى بها. ولم أصدّق بتلقينكم بالإذن بهذه الطريقة مع غيرها حتّى وقفنا على رسالتكم التي وجهها للمقدم بالزاوية من جبل ندرومة الشيخ الأخضر الجبلي[1] ، وحين طالعتها تعيّن على جمع من أهل الفضل إلزامنا بالجواب عن مضمّن تلك الرسالة ليكون على بصيرة من ذلك الأحباب، فكتبت الجواب الذي ستصل سيادتكم منه إن شاء الله نسخ تذكارا لكم وتبصرة للمستبصرين، فترجعوا عن تلقين هذه الطريقة بغير شروطها، وتكتفوا بتلقين طريقكم المثلى، فهي بحمد الله كفيلة لكم بما ترجون من الله مع حصولكم على سرّ الطريقة التجانية بالإذن لكم فيها في خاصة نفسكم، فلا تستوجبون بذلك اعتراضا من أحد، ولا يتوجّه إليكم إنكار من وقف مع شروط طريقته، وأنتم أولى بمن يعذر من يذّب عن حمى طريقته قاصرا كان أو طويل باع، وعسى أن يكون بالجواب نفع تام بين الجانبين ويصلح الله به ذات البيّن.[2]

ثمّ إني أقول لك أيّها الأخ الصالح أنّ ما ذكرتموه لنا ممّا سلكه معكم السيد

---

(1) الأخضر المنصوري الجبلي، فقيه صوفي من مريدي الطريقة التجانية، له فيها محبّة واعتقاد راسخ، وهو من أهل مدينة ندرومة، كان من أبرز المعترضين على الشيخ محمد بن سليمان الندرومي، بسبب هذا الأخير على تلقين الطريقة التجانية للناس ضمن الطرق الأربعة التي كان يلقّنها.

(2) عملا بقوله ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة، قالوا: بلى. قال إصلاح ذات البين"، وفساد ذات البين هي الحالقة، انظر: الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد (من حديث أبي الدرداء).ج598/7، رقم: 27097. الترميذي، سنن الترميذي(كتاب صفة القيامة) رقم: 2558. أبي داوود، سنن أبي داوود(باب في إصلاح ذات البين) رقم: 4915. موطأ مالك(كتاب حسن الخلق)باب ما جاء في حسن الخلق رقم: 1652.

الأخضر الجبلي حتّى شوّش عليكم الحال، حيث قبض الرسالة وأشاع بها في نواحي كبيرة بقصد الردّ، فانقبض قلبكم من ملاقاتنا من أجل هذا، مع أنّه رجل لا معرفة بينكم وبينه. لكنّه كان من جملة المتعصّبين على إذايتك منذ حللتم ندرومة، لكن مثلكم لا يستفزّه الغضب حتّى يقوم للانتصار لنفسه بالدّعاء على رجل ما خالف اعتقاده من جنابكم بتعرّضكم لتلقين طريقة أخذ عليه العهد فيها بشروط لم تراعوها، فهلا أغضيتم بطرفكم عن تعرّضه لكم بالإذاية وتصبروا كما صبر أولوا العزم، فلا يقال شيخ الطريقة السليمانية قام يرد بنفسه على مريد من مريدي الحضرة التجانية.

فينسب لأحدكما الانتصار للنّفس تبعا للهوى، ويسري في هذا عار على المريد الذي لم تخرج نفسه من حجر الترقية، ولكن العار على شيخ التربية الذي يقابل ضعفاء العقل بما لا يحمله عقلهم، وهو في مقام يقضي عليه بالتجاوز بقدر الإمكان، وإن كانت المرتبة لا تسامح من أساء الأدب عليها، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا.

وهلا حملتم ما فعله معكم يليق بجنابكم بأن تجعلوه لسان حقّ في الخلق[1] قيضّه الحقّ لكم لتراجعوا ما منحتكم الحضرة التي لا تحجير عليها، فعسى أن يكون الإذن الذي حصل لكم خاصا بكم دون الإذن لكم في تلقين هذه الطريقة التي لا تصّح إلاّ بمراعاة شروطها، فتقف عن تلقينها بغير شروطها، فهو لسان الحقّ أقامه الحقّ اعتناء بكم، ناصحا في صورة منكر بين الخلق فتأخذوا منه ما يليق بكم، وتغضّون الطرف عمّا يظهر أنه عورة وما هو في الحقيقة بعورة.

وهلا حملتموه أيضا محمل المريد المسترشد في طريق شيخه، حيث رأى ما لم يبلغه عقله، فأشاع تلك الرسالة يسأل أهل الذكر عمّا اشتملت عليه، فتحصل له

(1) عند السالكين هو الإعراض عن الكونين والإقبال على الله تعالى بالكلية. وقال الواسطي: الخلق العظيم أن لا يخاصِم ولا يخاصَم. قال العطاء: هو أنّ لا يكون له اختيار ولا اعتراض بالشدائد والمحن، كذا في مجمع السلوك. محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996، ج 1، ص: 1049.

الذكرى ويعرف ما تدعو إليه في المرّة الأولى والأخرى. وهلا حملتموه أيضا على أنه من أعوان الحقّ في نشر تلك الرسالة، ليطّلع عليها من لم يعرف المقصود في طريقتك السّنية فيتحقق بأمرك من لم يحطّ به خبرا.

وأنت رعاك الله بنفسك أمرت أحبابك ففي آخر تلك الرسالة بأن يقرؤوها للطلبة الذين أنكروا عليكم الجمع بين الطرق، فهو في الحقيقة كالممتثل لأمرك فكان من حقّك مقابلته بالتجاوز عنه وغضّ الطرف عمّا صدر منه في صورة القبيح، وهو جلب جملة من المصالح الشخصية والعمومية، زيادة على ما في ذلك من معاملة الناس بالسياسة التي جرى عليها عمل الأنبياء، وقد قال الحقّ للنبي الموصوف بالقوّة ولأخيه في مخاطبة أقوى الفراعنة ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.[1]

وإنّ الحقّ تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف[2] ، فالمتعيّن على السيادة عدم الانتصار لنفسه بذكر الوعد الذي وعدتَ به على لسان من لا ينطق عن الهوى، ولا بذكر الوعيد الذي يجازي به المنتقد عليك، وإن كنت في ذلك مضطرا من جهة أخرى تعلم سرّها وخيرها وشرّها، فإنّ ميدان المدافعة عن النفس قد يضيق بصاحبه، فيريد بسط الحقّ فتضيق به العبارة، ولربمّا كان للنّفس حظّ فيناضل عنها متابعة لذلك الحظّ حتّى إنّها ربّما ترفض ما تدافع عنه إلى مزلق الانقطاع عن الطريق التي يناضل عنها من شعور، والله عليم بذات الصدور.

ولقد جرى بنا القلم إلى ذكر هذه الخزعبلات ولم أرد بها غير الحقّ، فإن صادفت عندكم وجه قبول فذلك المطلوب، وإلاّ فهو كلام من غير شيخ مربٍ،

(1) سورة طه، الآية: 44.

(2) إشارة لقوله ﷺ لمولاتنا عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها: يا عائشة إنّ الله رفيق يحبّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطى على سواه". انظر: الإمام مسلم، صحيح مسلم(كتاب البر والصلة والآداب)باب فضل الرفق، رقم: 6553. الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد(حديث عبد الله بن مغفل المزني). ج5/ 46، رقم: 16483. ابن حبّان، صحيح ابن حبّان(باب الرفق)ذكر البيان بأنّ الله جلّ وعلا يعين على الرفق بأن يعطي عليه ما لا يعطي على العنف. ح273/1 رقم: 548. ذكر ما يجب على المرء من لزوم الرفق في جميع أسبابه، رقم: 551.

ليس على من لم يلتفت إليه من ملام، وقد اطلعت على ما وجّهتم صحبة رقيمكم لنا فرأينا فيه سحرا حلالا تنفعل به نفوس من ذاق المعنى، أو دخل المغنى.

وإني لأقول لكم قولة ذي صدق مراقب للحقّ: أيّها الولّي الحميم، قد كنت فيما سلف قبل اشتغالي بين الموالي ولوعا بمطالعة كتب الحقائق، حتّى دهشت في أمري بما نراه من نفسي، ويتجلى لي من حضرة الغيب، وأستحلي التكلّم بين قومٍ استميل قلوبهم إليّ وأستلّذ ما أكتسبه منهم فهم يكرمونني لصلاحي في نظرهم، وأنا آخذ منهم بإفصاحي لهم عن حقائق غيبية أجدها في نفسي في محضرهم، وكادت نفسي أن تسوّل لي التظاهر بدعوى ليزيدوا في إكرامي، لكوني لا أعرف حرفة أكتسب بها المال أو الجاه سوى ذلك.

حتّى وفقني المولى بخشية منه أني أعد نفسي في حيز من يغرّ الناس في الله، ولمّا علم تعالى صدق إنابتي نشلني من وحلتي وشغلني عنّي، فزجّ بي في بحار المخزن حتّى يقضي الله أمرا كان مفعولا[1] والحمد لله على هذه الحالة وقد شرحتها لك عسى أن تجد فيها إشارة لا يعرفها غيرك فتعمل عليها.

وقد حركت منا ساكنا بخطابك المعسول، فورد عليّ وارد بأن أكتب لك ما يمليه عليّ هنا، ولربمّا تجد فيه فائدة، وهي من تتمة الجواب، وذلك أنّه حدا بي حادي المعرفة إلى مخدع أهل الصّفة من باب الصّفا، لأرى ما كملت فيه الصفة، فدخلت بسلام أجر ذيل الاحتشام، بكمال احترام فتلقاني من أمام المخدع قيّمُه، وقال: إلى هنا يا أبا العباس ماذا تريد؟ فقلت له إني مريد لا أريد. فقال: وهل من مزيد، فقلت: نعم أريد ما تريد ولا أزيد، فقال: تجرّد من لباس العيب، واخلع نعلي الهوى وتطّهر بماء الغيب[2] ، والبس رداء الرضى، وتأزّر بمئزر التفويض، والبس نعلي التسليم، وسر حتّى تصل لبساط النّعيم، واجلس مجلس من نودي للإكرام عن

---

(1) إشارة لقوله تعالى: " ليقضي الله أمرا كان مفعولا" سورة الأنفال، الآية: 42.

(2) من هذا القبيل قول بعض الأكابر:

تطّهر بماء الغيب إن كنت ذا سرّ ... وإلاّ تيمم بالصعيد وبالصّخر
وقدّم إماما كنت أنت إمامه ... وصل صلاة الفجر في أول العصر
فهذي صلاة العارفين بربّهم ... فإن كنت منهم فانضح البرّ بالبحر

كتم ما يتراءى لك، وإن لم تخش آلك، فإنّك إن بحت بالسّر كنت مكذّبا فيه في العلن والسّر، وما تنجح مساعيك، وأعين الأقران تراعيك. فقلت: قد فهمت ما تقول، فهل من دليل للوصول.

فقال: إنّي لأفتح عيني حين أفتحا على كثير، ولكن لا أرى أحدا، فاجعل دليلك الكتب والسّنة، وبرهانك التّقوى عندما تناغيك الألسنة، وقد قيل لك:

لا تقتدي بالذي زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

ولا يمنعك الهوى باتهام البرءاء، فإن تحت سوء الظّن ما لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما وزن شعرة منه لعلّو مراتبه، فقلت: لقد قلت حقّا، ولكن أرشدت للمرشد بعد أن زهدتني فيه، فقال لي: المرشد هو نفس ما أرشدتك إليه، فهو يبصرك ويسير بك وتصير له ويصير لك لمطلبك، فقلت: هل هو حيّ أو ميت؟ فقال: هو ميت حيّ وحيّ ميت، جمع بين الضدّين في اللفظ باتحاد المعنى، عند من دخل المغنى، فلا يتأثر باعتراض عليه لانتصار الحقّ له حوض ورده الوارد والإدامة عليه. فتمسّك بحبل حبّه إذا اهتديت إليه، فقلت: أين هو؟ فقال هو تحت سوء الظنّ مع براءته، فلا تلتفت للدّعوى بعد التّقوى، ولا تخسر الميزان بلسان إنسان، فإن خرجت عن بشريتك، وصلت لبغيتك، فقلت: إنّي مقيد بطريق، فقال: قد عرفت المقصود، وغرفت من الحوض المورود، فألزم واقفاً بالباب، فها أنذا أدخل في المخدع تحت وآتيك بما يواتيك.

فوقفت منتظرا لما يصدر لي حتّى خرج مستبشرا، وأشار إليّ أن أدخل فدخلت البساط، وأجلسني محلّ انبساط بين قوم أهل اغتباط، فنظروا إليّ نظر مستنكر، وقالوا: معتقد أو منتقد منكر، فأخذ منّي الدّهش حظّه، فلم أنطق بلفظة، ثمّ سكتوا وأنصتوا، وبعضهم ينظر إلى بعض، ويتفرّسون في هل أنا من أهل الحبّ أو أهل البغضّ، فالتفت إليّ زعيمهم ووجّه إليهم الخطاب، وقال: لو لا أنه من الأحباب، ما سوعد للدخول لهذا الجناب، فاشرح لنا قضيتك ومن أوصلك إلى هنا، فقلت، إلى هنا صيّرنا إلا هنا.

لولا العناية كان ألأمر فيه على حد السّواء فذو نطق كذي بكم

فقالوا: أجل من وصل إلى هنا فهو مبّجل، فقلت: الله أعلى وأجل، وهو

المقصود، ومن عرف ما قصد، هان عليه ما وجد، فقالوا: حدّثنا أول حديث حدّثك به من أتى بك، ودعنا من عتابك، فقلت: يا قوم دعاني داعي الفلاح، حيّ الفلاح، فلبيت الدّعاء حتّى وصلت إليه، فقال: إن أردت معروفي يا صوفي.

فكــن رجــلا نفــسه فــي الثــرى   وهامـــة همـــته فـــي الثـــريا[1]

ولا تجزع بما ألم بك من ألم، " فإنّ الهموم بقدر الهمم"فقلت له: وأين هذا المعروف المجهول الذي تصفه لي لأبذل النّفس والنفيس في إدراكه، ولو انفرد في أفلاكه، فقال:يا هذا إن عرفت نفسك عرفت ربّك[2] ، وإن عدمت حسّك وجدت قربك، فأنت لا أنت إذا كنت أنت، وأنت هو إذا كنته، فقلت: هذا كلام فصيح، أو لغز على معنى صحيح، فقد رأيت قوما ولعوا بمثل هذا الخطاب، يا أبا الخطاب، فقال: هذه كلمات جرت عليها اصطلاحات، والزيادة في بسطها نقص لكون العبارة تريد حلّها فتعقدها ولما تتحقق ماهيتها إلاّ بالذوق، إن كنت لها من أهل الشوق[3] ،

(1) البيت من شعر الإمام سيدنا علي كرم الله وجهه، وهو ضمن أربعة أبيات ونصها :

إذا أضـــمأتك أكـــف الـــرجال   كفـــتك القـــناعة شـــبعا وريـــا
فكـــن رجـــلا رجلـــه فـــي الثـــرى   وهامـــة همـــته فـــي الثـــريا
أبـــيّا لـــنائل ذي ثـــروة   تـــراه لمـــا فـــي يديـــه أبـــيّا
فَـــإنَّ إِرَاقَـــةَ مَـــاءُ الحَـــيَا   ة دُونَ إِرَاقَـــةِ مَـــاءِ المَحْـــيَا

(1) هو الشطر الأخير من بيتين للشاعر الشهير الوزير إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، المعروف بالصاحب بن عباد، وقد أقدم على تشطير هذين البيتين كثير من الشعراء، ومن ذلك قول الشاعر راضي بن صالح الحسيني القزويني في تشطيرها:

وقائلـــة لـــم عـــرتك الهمـــوم   ويجلـــى بـــك الهـــم مهمـــا أدلهـّــم
وأمـــرك ممتـــثل فـــي الـــورى   ونهـــيك مزدجـــر فـــي الأمـــم
فقلـــت ذريتـــي علـــى غـــصتي   فمثلـــي علـــى مـــثلها لـــم يلـــم
ولا تنكـــري هـــم ذي همـــة   فـــإنّ الهمـــوم بقـــدر الهمـــم

(2) إشارة للحديث النبوي الشريف: "من عرف نفسه عرف ربّه".

(3) جاء في زمزم الأخيار: "قالت رابعة العدوية والله لا أعبده خوفا من ناره ولا طمعا في جنته، ولكن أعبده شوقا إليه، وكانت سعداء العروية تحجّ كل سنة فازداد اشتياقها في بعض أسفارها، فصارت تعدو حافية صارخة قائلة: أين بيت حبيبي". أبي عبد ابن علي الصباغ القلعي، بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار لأحمد بن يوسف الملياني الراشدي، مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام بمسجد الشريفية وهران، الجزائر، =

وستذوق المعنى إن كنت معنا، فعليك بمزاحمة القوم بحبّهم فهم يقربونك وإن أبعدك جهلك، ويودونك وإن منعك عقلك، وعما حين إن صدقت بكلامهم تكن من المفلحين.

وبعد هذا انبعث في باطني تشوق لنيل المراتب وتشوق لملاقاتي لأعزّ الحبايب[1] ، وذلك عندي من أعظم المناقب، فاجتمعت به مرارا، وسقاني حلاوة بعد مقاساتي لمرارة الإمارة في شقاوة القساوة، ولولا ما أراه من نفسي من حبّ المحمدة بما لم أفعل، وما تميل إليه من التّرأس بالدعوى سرا لما له لم تصل، لقلت مقالا، وللقول كم هو أجد مجالا، فقالوا حركت منا دواعي الدعاوي وما هي إلا حجب تمنع من الوصول لمن ادعاه.

وكم من مدع لو صال ليلى   وليلى لا تقر له بذاك

فدعنا من حديث الدعوى، ومل بنا لمعاطاة كؤوس أهل التقوى. بما نفسنا عليه تقوى، فقلت: والحديث شجون، ورب متكلم رمي بالجنون: يا قوم هل تدرون ما يوم لا يوم، فقد وقر في صدري، ما يجل به قدري، ولست بشيخ طريقة. ولا مريد حقيقي بين ذوي الحقيقة، فقالوا: شنف مسامعنا. فإنك تجد عند مخاطبتنا قلوبنا معنا، ولسنا بمن يحضر للمجالس، ولا يلقي بالا لما يحدث به المجالس، ولا ممن يتتبع فلتات المنطق في القول، ويجمع قشور الألفاظ ويرمي بلباب معناها ليعظم به الهول.

فقلت لهم:يا قوم لا يوم حين لا حين، ومساواة الطالحين والصالحين في منهج التوحيد من غير توحيد، ولا اقصد بما لكم الأزل ولا العلم القديم، بل هو شيء ساذج يكاد أن يعبر عنه من يغرف من سحر بحر الأبدية، وما تعتبر به الأحدية، ففي ذلك المظهر كنتم وما كنت، وكنت وما كنتم، وكنا ولم نكن، فأنتم أنا وأنا أنتم،

ورقة: 126.

(1) "وروي أنّ قلوب المشتاقين منورة بنور الله، فإذا تحرّك اللسان أضاء النور بين السماء والأرض، فيعرضهم الله على ملائكته، ويقول هؤلاء المشتاقون إلي أشهدكم أني إليهم أشوق". المصدر نفسه، والورقة ذاتها.

يا قوم إنني في هذا المقام قد أرتقي في المقال، فاضمحل الخطاب وترقى بي لمقام اللهو، فلم يكن لي حينئذ بأن أقول أنا هو حين ذقت من معنى شراب الهوى، الذي قال فيه الشاطح:

أنا من أهوى   ومن أهوى أنا[1]

وقد صحوت بعد ما سكرت من خمر الخطاب، ففهمت الصواب وتحققت بأني عامي محض، أمي صرف لكن تاقت نفسي للاستطلاع على حقيقتي، فجلت جولة في كوني، فخرجت عن دائرة النقطة التي تحت البناء، فوجدت نفسي في فراغ العبودية، لكن من حيث التذلي لا من حيث الترقي بالروح، لا بالروح والجسم، لأنّ ذلك مقام لم يكن إلا لمن رفعه الله إليه، أو رفعه مقاما عليا، أو أسري به فكان عبدانيا، فكدت أن آتيه في ميدان الفراغ الذي هو نفس العدم ونفس الوجود، قد اجتمع الضدّان هنا مشاهدة وذوقا، لا عقلا لعقل العقل عن الجولان في

(1) هو مطلع خمسة أبيات للعارف بالله الشيخ الحسين بن منصور الحلاج ونصّها:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا
نحن مذ كنا على عهد الهوى   تضرب الأمثال للناس بنا
فإذا أبصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا
أيها السائل عن قصتنا   لو ترانا لم تفرق بيننا
روحه روحي وروحي روحه   من رأى روحين حلّت بدنا

وذلك مؤول عند الشاعر فإنه لا يعني به أنه هو تحقيقا بل كأنه هو فإنه مستغرق الهم به كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز، وعليه ينبغي أن يحمل قول أبي يزيد رحمه الله حيث قال انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فإذا أنا هو ويكون معناه أن من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له همة سوى الله سبحانه وتعالى وإذا لم يحل في القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقا وفرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو لكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو كما أن الشاعر تارة يقول كأني من أهوى وتارة يقول أنا من أهوى وهذه مزلة قدم فإن من ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما لم يتميز له أحدهما عن الآخر فينظر إلى كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق فيظن أنه هو فيقول أنا الحق. انظر: أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، ط 1، 1987. ص: 153.

هذا الميدان.

والله ثمّ والله لقد رأيتني في حيز الفراغ أنظر السّماء دخانا، والبروج في خللها وهي في حيز، والأرض مثل السّفينة وهي في حيز، وعلمت هنا ما في نفس البشر من سرّ الحقّ الذي أدار به الأفلاك ولمّا رأيت هذه الأحوال، وهي في الحقيقة أوحال، ألزمت نفسي الرجوع لأبناء الجنس، وألجمتها بلجام الحقّ حتّى لا تخرج عن الحسّ، وخفت عليّ منّي ومنّي عليّ، وذلك من توفيق الحقّ، فطويت رأسي تحت جناحي.[1]

وأخذت الحذر في البدو والحضر، بعدم استعظام ما تجلى لي خشية الوقوف معه، فلم اعبأ في هذا المقام بنتيجة الدعوى، لتحقيقي بأنها بلوى، سيان كنت فيها محقّا أو مبطلا، فقالوا: ثمّ ماذا فعلت، فقلت: فعلت فعلتي، ولبست من لباس الخمول حلّتي، فلم أتظاهر بمظهر من يأكل من مال الغير بإغراره، ولا بمظهر من يربي لربّه وهو مقيّد في قيود أكداره وأغياره.

ولكن عرفت أن التباعد من هذا الأمر لا يكون إلاّ باتخاذ حرفة[2]، ولم أجد حرفة تشغل أفكاري عن الدعوى أكثر من تداخلي في حيز المستخدمين.

فالحمد لله على هذه الحالة، فها أنا ذا في راحة بال من هذه الحيثية، وإن كنت في شغل شاغل قلّما أجد منه مخلصا، ولكن الله قادر على ستر القبيح بإظهار

---

(1) قريب من هذا قول الشاعر:

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى ... بنفائس الأموال والأرباح
وظننت جهلا أن حبّك هين ... تفنى عليه كرائم الأرواح
حتّى رأيتك تجتبي وتخص من ... تختاره بلطائف الأمناح
فعلمت أنك تنال بحيلة ... فلويت رأسي تحت طيّ جناح
وجعلت في عشّ الغرام إقامتي ... فيه غدوي دائما ورواحي

(2) إشارة لقوله ﷺ: "إنّ الله يحب المؤمن المحترف". انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد(كتاب البيوع)باب الكسب والتجارة ومحبّتها، ج106/4،رقم: 6231. القضاعي، مسند الشهاب، ج 148/2 ن رقم: 1072، رقم: 1073، رقم: 1074. الحافظ المنذري (كتاب البيوع وغيرها)الترغيب في الاكتساب بالبيع، ج335/2، رقم: 2611.

المليح. وهو المطلع على ما في صميم الصّميم، فهذا ما أملاه عليّ الوارد لأكتبه. وقد كتبته على الكتبة، وقد قيل:

فلا تكتب بكفّك غير شيء يسرّك في القيامة أن تراه

ولم أكتبه عن اختيار، وإنمّا هو شبه اضطرار، لذلك إن صادف عندك ما كتبناه لك قابلا، فهو نافع إن شاء الله، وإلاّ فقد طابق كتابكم لنا، وكلّ كلام له جواب، ولم أتعرّض فيه لشتم أحد، ولا للاعتراض على أحد، وكذلك في جوابنا الطويل عن رسالتكم المشار لها، فقد جاريناكم فيها، والمقصود من ذلك كلّه سلوك طريق الجدّ بالجّد، وتنبيه المريدين على شروط الطريقة التي يتّم إن شاء الله بها القصد، متحققا بأنها تقع عندكم موقع القبول، فتعمل بمقتضاها، ولا تتأثرون عند تجلّي الحقّ بإنكار أهل الإنكار عليكم بين الخلق، وسنكتب للسيد الأخضر الجبلي بما عسى أن يكون فيه إصلاح ذات البين، وإن لم يكن بيننا وبينه سوى مكاتبات حديثة العهد، ولم نعرفه من قبل لا إسما ولا عينا، مسلما على حضرتكم السامية، وعلى كل من هو منكم وإليكم، والمقصود هو الله.

وبعد كتبي لهذه الأسطر عزمت على تمزيقها لما اشتملت عليه ممّا يعد من قبيل الشطح الذي يحتاج في بعضه إلى زيادة شرح، ولكن لا تزيده العبارة إلاّ عقدا إذا رمت حله، ولا يحمله محمله من لم يطف بمغناه ويبلغ عنده الهوى محله، مع أني لم آل جهدا في حبس زمام القلم عن الزيادة في هذا الموضوع، ولو طاوعته لأملى ما يمله من يجله، وما هو إلاّ من العلم اللدني الذي حمنا حوله، وإن لم نكن عند أهل التحقيق أهله.

وكم من كلام ليس يفهمه الذي تكلم عند السامعين به حقا
يزيد ارتقاء في الدّعاوي به ولم يزل في انخفاض وهو في زعمه يرقى

فإذا طالعت كلامي هذا فلا تطلع عليه غيرك، حتّى لا يحمله على ما لم أقصده، ولما يراه من له أغراض فيفرغه في قالب التمويه، وإنّي لأشمّ ممن طالع هذه الكلمات رائحة التنافس النفساني، فيكاد أن يمزقه بعد قراءته، وربمّا نسبني فيه للانتحال، إن استعظمه أحزابه الحافظون لرياسته، فكن أول كاتم له، وإن شوش

عليكم آخر فيما أنتم بصدده فلا تلتفتوا له، فإنّ للحقّ سلطانا، وإن يكن من عند الله يمضيه وباستحضار هذا المعنى تستريح وتريح ونحن بصدد جواب ما يَرِدُ علينا من مكاتبتكم بسلامة صدر وطيب نفسٍ، ونحن على ما تحبّون وتودون طبق ما تعتقدون، ومرحبا وأهلا وسهلا بكم، وبمن هو منكم وإليكم عندما تقدمون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

نصّ الكتاب المجاب الذي وجهه الشيخ محمد بن سليمان المستغانمي ثم الندرومي إلى العالم العلامة الشيخ سكيرج

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على الحامد المحمود، دستور، وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد، وسلام الله، السلام للخل الحميم، والحلامل الكريم، وليّ الله العارف به سيدي سكيرج قاضي وجدة، أيدّك وسددك، وأشكرك في جمال محبّته، وأخذك عنك في شهود عظمته، وإفناك عنك حتّى لا أنت ولا شهود، وهو الشاهد المشهود، وإبقاك به وبحبيبه، ﷺ بقاء وبقاء وبقاء، وحينئذ تجد كلّ معناك في طلسم مبناك، وتعلم من أنت؟ وما أنت؟ ومن أين أنت؟ وإلى أين أنت؟ وما المراد منك في أين وبعد:

أيّها الحبيب قد بلغنا سلامك مع بعض الواردين، بل فرحت بك فرحا يعلمه الله حين سمعنا بقدومك لوجدة قبل الوصول، لما كان بقلبنا من ممازجة محبّتك والتّمني لملاقاتك من الوقت الذي كنت بمستغانم[1] وكان خالنا الشقيق العلامة الهمام سيدي عبد القادر بن قارا مصطفى يثني عليك، وبلغني سلامك، ويقول لي: إنّ فلانا يعني السيد سكيرج له شغف برقائق الفن اللدني، بسته اجتمع بك، وكنت أحبّك لمحبّة الفن الذي هو قوت حياتنا، وحياة مشايخنا وأحبابنا، وكنت أتمنى القدوم لفاس لملاقاة بعض أحبابنا هناك، وعندي نيّة لملاقاتك، ولما قدمت نويت ممازجة في الله معكم لقرب المسافة، ولنا أيضا أحباب وقرابة بوجدة

---

(1) مستغانم: مدينة بقرب نهر شلف، بينها وبين قلعة مغيلة دلول مسيرة يومين، وهي مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء، ويبذر في أرضها القطن فيجود، وهي بقرب مصب نهر شلف. وهي على البحر ولها أسواق وحمامات وجنات وبساتين ومياه كثيرة وسور على جبل مطل إلى ناحية المغرب، وهي صغيرة. محمد بن عبد المنعم الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، ط2، 1980. ج1، ص: 558.

في المخزنية وفي غيرها. إذا زرناهم نغنم ملاقاتكم، فإذا سيدي الأخضر الجبلي عامله الله بما يستحق شوش علينا الحال، حيث قبض الرسالة وأشاع بها في نواحي كثيرة بقصد الردّ والابتذال، فانقبض قلبي عن ملاقاتكم، مع أنه رجل لا معرفة بيني وبينه، لكنه كان من جملة المتعصبين على إذايتي منذ دخلت ندرومة، ولمّا دخل في الطريق التجانية في هذه المدّة القريبة جعلها سلما لغرضه القديم، فإن شئت أن تردّه للمحبّة والمودّة فهو أفضل وإلاّ فيد الله فوق يده ولولا الحبّ من أمثالكم لأمرت طلبتنا وفقهاءنا يجيبونه بألف جواب، والآن ظهر لي أن ما أجبته به من الرسائل، لكن لم أعطها له سوى الغراء، خوفا أن يفعل بها كالأولى.

وأحبابنا يسلّمون عليكم، وخصوصا المقدم البركة سيدي محمد بن رحال[1]، ولما يقدم من الجزائر ربمّا يكون عندنا سفر لوجدة إن شاء الله، ولا سيما إن قدم الشيخ المفتي. فنجتمع إن شاء الله على سرور المحبّة في الله الله. ونريد منك أن تجاوبني فيما بيني وبينك بعد قراءة هذه الرسائل، ولا بد أن تكاتبني وأكاتبك برسائل السلام، وإن كان في جواب سيدي الأخضر ما يشوش فابعث لي حتى تكون بيننا وبينكم مراجعات بقصد الاستفادة لا بقصد الاعتراض.

وأمّا الأول الذي أجبته بالرسالة التي عندك فإنه أساء الأدب كثيرا، حتّى لما قال له الفقير: "إنا نذكر الاسم الأعظم الله"، قال له: "حاش لله أن يكون كذا وكذا" كما رأيت الرسالة، وسلّم على أحبابنا في الله العلامة سيدي الحاج العربي، والعلامة الحاج التهامي، والعلامة سيدي الحاج محمد المازوني، إن جمعكم مجلس، وإلا فلا كلفة بارك الله لنا فيهم وفيكم، وبه خديم المتحابين محمد بن سليمان سلمه الله وأحبابه في الدّارين آمين.

---

(1) من أعيان مدينة ندرومة ولي والده القضاء في عهد الأمير عبد القادر بالمدينة نفسها، ولد محمد بن رحال عام 1857م، ونظرا لتفوقه في اللغتين العربية والفرنسية عيّن عضوا بجمعية تمثيل الجزائر في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بباريس عام 1897م، كما أن مواقفه الشجاعة والنبيلة أهلته ليكون عضوا فعالا بالمجلس العمالي عام 1903م، ثم سافر بعدها عام 1922م إلى باريس ثانية ولكن هذه المرة احتجاجا على قانون "الأهالي" رفقة الأمير خالد.

النفحة الرّبانية في التلميذية المختارية

أو

المنحة الوافية في الطريقة القدورية المختارية

للشيخ سيدي محمد بن سليمان الندرومي تلميذ سيدي قدور بن سليمان المستغانمي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلىَ الله على سينا محمد وعلى آله

الحمد لله والشكر لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، أمّا بعد، إخواننا فإنّ الهدى هدى الله وخير ما يتبع سنّة مولانا رسول الله ﷺ القائل بلفظه أو معناه" إِذَا نَهيتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاتْرُكُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ بِالْمُسْتَطَاعِ[1] الخ". قوله:"فاتركوه" أيّ جملة لأنّ التّرك لا تعب فيه للبدن، وإنمّا فيه مخالفة المقتضى النفساني فقط. فتعبه معنوي الخ.

وقوله في الأمر فأتوا منه بالمستطاع أيّ بقدر قوتكم وجهدكم وهو معنى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2] لأنّ الفعل فيه تعب للبدن وللقلب أيضا بإحكام ما يطلب منه من الآداب[ورقة2] الشرعية والأحوال الصافية كالإخلاص والحضور مع الله فيها والشكر عليها الخ، وهذه من أفعال القلب التي قال فيها ﷺ

(1) انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2،2003، ج4، ص: 109. وابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، ط1408هـ، ص: 91. وأبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تح: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1970، ج4، ص: 129.

(2) سورة البقرة، الآية: 286.

"إِنَّ اللهَ لاَ يَنظُرُ إِلِى صُوَرِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ"[1] وهذه الخلق القلبية هي الحصن الحافظ لجيش الأعمال من الضّياع وفساد، ولا يتمّكن منه المبتدئ إلاّ بمشقّة ومعاناة ومعاونة من همّة قدوة صحّت عقيدته مع الله ونيابته عن رسول الله ﷺ والهمّة هي القوّة الروحانية التي لا تنقطع بموت العارف، بل تزيد سطوة لتخلّصها من رائحة البشرية وارتكاب التكاليف الأدبية، ولذلك يقولون ﷺ: العارف لا ينقطع سقوه بموته قال مولانا قدور ﷺ في تائيته الكبرى:

فسقوُا رجال الجمع بعد انتقالهم يدوم ويبقى في أهيل العناية

وأهل العناية هم الذين وقفوا لصحبتهم ومحبّتهم بدليل [ورقة3]قولهم ﷺ: "جلوس نفس بين أيدينا يوجب عزّ الدّراين" وهذه العناية الكبرى التي لا تنال بصيام ولا بقيام وكيف، وقد قال ﷺ:" إنّ لله رجالا من نظر نظرة في وجه أحدهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا"، ولا شكّ أنّ هذا الضمان المحمدي لا يكون بكثرة عمل لأنّ النظرة إنمّا وقعت على جمال محمدي قائم بسرّ قدسي لانطوائهم ظاهرا وباطنا في تلكم الحضرتين وغيبوبتهم في تلكم الخلعتين.

ولذلك قالوا إذا رأيت من رأى فقد رأيت، ولكن ذلك الضمان إنمّا يكون بنظرة الاعتقاد والإجلال، ولا سيما إن زال من نظرة خيال البشرية، واطلع على سرّ الخصوصية، ولا يكون هذا إلاّ لإفراد الرجال ولنرجع إلى ما يتعلق بامتثال الأمر الذي نحن بصدده. فأقول ولمّا كان العبد لا يقدر أن يحتوي على العمل بالأمر الشامل للفعل والقول والحال مع محاولة الاشمئزاز النفساني[ورقة4]أمره أن يكون على المستطاع وعلى هذا ينحط معنى قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[2] أيّ في امتثال الأمر.

وأمّا في النهي فالاجتناب جملة ويؤخذ من هذا أن من تنزّل عن مرتبة استطاعته فقد فرّط في جنب الله فلبس ثوب التراخي والتراخي مذموم شرعا،

---

(1) ابن عجيبة الحسني الإدريسي، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ج3، ص: 400.

(2) سورة التغابن، الآية: 16.

وطريقة لأنه من الأمل والكسل. والطريق تطلبنا بالجدّ ولذلك أمرنا تعالى بالتعاون على البرّ والتقوى، لأنّ حملها كبير ومن جملة التعاون التذكير، وقد قال ﷺ: "المؤمن بنفسه قليل وبأخيه كثير" لأنه إذا سهى أيقظه وإذا عجز قوّاه، وإذا كسل نشطه، ولذلك اشترط في الأخوة وصف الصّدق لكونه سيف الله يقطعون به مهامه أول الطريق وأوعار أوهام التعويق العارضة فيما بيّن أول مقامات التقوى ونهايتها ولا تقطع تلك المقامات إلاّ بسيف الصّدق الناشئ عن المؤاخاة والصحبة القلبية والقالبية لقوله ﷺ[ورقة5]:"المُجَالَسَةُ مُجَانَسَةٌ وَالمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ"[1].

وأول مراتب التقوى اتقاء الشرط بلبس حلة الإيمان ثمّ اتقاء المعاصي بجنّة الطاعات ثمّ اتقاء الحضوض الدنيوية والأخروية بجنّة الإخلاص، ثمّ اتقاء رؤية الأعمال من نفسه بجنّة لا فاعل إلاّ الله التي طرازها قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2] ثمّ اتقاء نسبة الصفات إليه بجنّة لا سميع ولا بصير ولا متكلم ولا حي ولا عليم الخ. إلاّ الله تعالى منبعها من عين قوله تعالى في الحديث القدسي" كنت سمعه وبصره الخ".[3] ثمّ اتقاء رؤية الوجود المجازي بجنّة تجلي شمس الوجود الحقيقي منبعها من مخزن قوله تعالى في الحديث القدسي:" كنته ".

وهنا تصير النسبة العبدية وقاية، أيّ سترا وجنّة عن سر الخصوصية الذي قيل فيه لو كشف عن حقيقة الولي لعبد وتصير الحضرة المقدّسة وقاية أي سترا وجنّة عن النسبة العبدية التي امتحت[ورقة6]في مجال الحرية لكون العبد صار عدما والله حسبه ووكيله وما يعقلها إلاّ العالمون، ويصير في هذه الحالة إذا قلت: يا محمد أجابك الحق أو الاسم الغالب عليه لبيك"، وإذا قلت:" يا الله أو ناديت بالاسم الغالب عليه أجابك ذلك الفاني نعم" وفي الحقيقة الإجابتان كلاهما من الله، لكن

---

(1) لقد ورد هذا الحديث بلفظ آخر، فقد" روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". محمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، تح: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، باب سورة البقرة، ج1، ص: 266.

(2) سورة الصافات، الآية: 96.

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوي، تح: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، بيروت، ط3، 2005، ج2، ص: 371.

الإجابة الأولى بلسان الظاهر في المظاهر، والثانية بلسان المظاهر ثمّ إذا رجع للحضرة المحمدية بفيض الأنوار الرحموتية من عين الرحمة الربانية، وتوسع في حضرة المحو المكنى به عن التمّكن في الحضرة المحمدية، يحصل على الكمال ويجمع بين تجليات الجلال والجمال ويكون مجمع الوقايتين وبرزخ البحرين، ولهذا يشير مولانا قدور ﷺ ورزقنا رضاه آمين بقوله:

مـــن البحـــرين شـــربت كأســـي وتـــمّ ســـعدي بـــدا اصـــطفاه

فانظر إلى التّقوى ومرتبتها الأولى ومنتهاها وكم بينهما[ورقة7]من تعقل المسافات التي آلة قطعها سيف الصّدق في المؤاخاة. ولهذا يشير مولانا قدور ﷺ بقوله ففي اليائية:" سيف صدق لم يبق منه شيء" فقوله: "لم يبق منه بإعادة الضمير على السالك لأنّ المسافة مطوية في خزانة وهمه، فالأمر ليس خارجا عن نفسه من عرف نفسه عرف ربّه، كما قال مولانا قدور ﷺ:

معراجـــــي منـــــي فـــــي مـــــن قلبـــــي لعقلـــــي
مـــــن روحـــــي لـــــسري جبـــــروت طلعتـــــي

ثمّ اعلموا أيها الأحباب أنّ السلوك في منازل التقوى إلى أن يبلغ الغاية القصوى يكون بالظاهر وبالباطن، أيّ إلى أن يحظى بالاتصال ولا اتصال ولا انفصال، لأنهّما يشعران بالأثنينية التي هي عين العقال ولا إثنينية عند أهل الكمال، ولكن ضاقته العبارة وعجزة الإشارة وكلّت ألسنتهم ﷺ في ذلك الموطن عمّا يليق به من التبيين، وقد أرسلوا إليه هداة مهتدين، وكيف الحال فتنزلوا لفلك العقل، وتكلموا بلسانه وهو يقتضي الاتصال والانفصال[ورقة8]عملا بقولهﷺ:" خاطبوا الناس بقدر عقولهم"[1] ، وأمّا حضرة المحو فإنهم دعوا إليها بالهمّة والحال فالتي بلسان المقال هي تربية الظواهر، والتي بالهمّة والحال هي ترقية البواطن.

أيّ بأخذ قوة باطن القدوة لباطن المريد وطيرانها به من مقام إلى مقام

(1) ابن الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط 1979، ج1، ص: 3. انظر: محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، المخل، دار الفكر، ط1981. ج3، ص: 153.

بحسب استعداده من القلب إلى العقل إلى الرّوح إلى السرّ ثمّ تتنزل به الحضرة الأحمدية ثمّ المحمدية وهذه الحالة لا تنقطع بين المريد وشيخه ببعد مسافة ولا موت لأنّ الروحانية لا تموت ولا مسافة عندها زمانية ولا مكانية بشرط رابطة المحبّة أخذا من قوله ﷺ:" المرء مع من أحبّ"[1] وإن لم يعمل بعمله، فلم يشترط بعد أولا قربا ولا موتا ولا حياة ولا عملا، لكن إذا كان العمل فهو أقوى ومن جملة العمل احترام شعائره واقتفاء أوامره ومآثره، لأنّ القدوة نائب من نواب رسول الله ﷺ، فيعطى حكم من نوبة ويعطى أيضا حكم الأبوة لأنه أبو الروح بإخراجه لها من صلب قساوة الغفلة[ورقة9]والجفا إلى رحم ليونة اليقظة والصّفا إلى فضاء ميادين الاصطفاء.

وقد قال ﷺ:" أوصيكم الله في أهل بيتي الخ"[2] وللوارث حظ من هذه الوصية. وقال أيضا عليه السلام:" لا تقطع ودّ أبيك فيطفئ الله نورك"وللأب المعنوي الحظ الأوفر من هذه الحفيظة. أيضا وودّ الأب بعد انتقاله هو مودة أحبابه وأولاده ولو بالكلمة الطيبة. وأحرى وأولى المواصلة القدمية أو القلمية، وعند تعذر الاستطاعة يكون معهم بالدعاء لهم بظهر الغيب، ولقبت حديث الودّ بالحفيظة لكون من لبس حلّة الامتثال به فكأنه جعل حفيظة وحصنا على ما استفاده من أنوار وأسرار وضمانات من الأب المذكور. فلا يضيع منها شيء، بل تزيد نموا كما تنمو الشجرة بالسقو والعكس بالعكس نسال الله التوفيق بحق حبيبه ﷺ.

ثمّ إنّ القدوة إذا أراد الانتقال من محل إلى محل بعيد المسافة أو قرب انتقاله للآخرة، فإمّا أن يوصي أحبابه أو بعضهم بملازمة أخ مخصوص أو شيخ منصوص[ورقة10]أو مطلقا أولا يأمر بشيء فإن أوصى إشارة أو تصريحا فالعهد والمبايعة السابقتان يأمرانه بالامتثال كما أوصى ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه إشارة

---

(1) ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1408هـ ج4، ص: 151.

(2) ورد مرة بلفظ: « أذكركم الله في أهل بيتي » عبد الرحمن ناصر السعدي، التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، دار طيبة، الرياض، ط1، 1414هـ، ص: 102.

وتصريحا، بقوله ﷺ وهو على المنبر يوم مرضه الذي توفي به أن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر،" ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام"[1] ، ثم قال لا يبقى في المسجد خوخة إلاّ سدت إلاّ خوخة أبي بكر ثمّ أكدّ أمر الخلافة بأمره صريحا أن يصلي بالناس فصلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة وبقية الصلاة في مرضه صلاها بهم، وقد ورد أنه ﷺ وجد خفة في اليوم الذي توفي، فخرج ﷺ وأبو بكر يصلي بالناس الصبح، فصلى النبي ﷺ مؤتما به. ولمّا توفي ﷺ بويع أبو بكر رضي الله عنه، بتوفيق من الله كما أشار ﷺ، وأول من بايعه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلى هذا المنوال كان سيدنا [ورقة11] ومولانا محمد بن أحمد رضي الله عنه فعل قرب انتقاله بوصية على سيدنا ومولانا قدور رضي الله عنه مصرحا في قالب التلويح بقوله في داليته:

فالموصـــوف بالـــسيادة والـــسند هـــو ابـــن ســـليمان الـــخ

وكذلك شيخنا ومولانا محمد بن عبد الله رضي الله عنه فعل في مرض موته بقوله لنا: معشر المستغانمية أخذتم الحظ الأكبر الأوفر وهو سيدي قدور بن سليمان، وأمّا شيخنا ومولانا قدور رضي الله عنه فإنه قال قرب انتقاله وقبله أحبابي:" لا يحتاجون لأحد غيري والله إنهم من يدي ليد النبي ﷺ "قال ذلك في جموع من الأحباب والأفراد منهم، وأن في جل قصائده التصريح بالتلميذية أحبابه للنبي ﷺ، من ذلك قوله رضي الله عنه في الميمية:

بـــه يهـــيج شـــوق الأولاد تلامـــذة بـــدر الـــتمام

وقال في بعض التائيات:

كيف وأستاذهم أحمد ساقيهم له إضافتهم على الخصوصية

وإذا كانت التلميذية والشيخوخية والسقو مضافات [ورقة12]للحضرة

---

(1) الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، باب سورة الحجرات، ج26، ص: 203. انظر: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ط1415هـ، ج2، ص: 306.

المحمدية وهو بقيد الحياة، فأحرى وأولى بعد انتقاله إذ هو ﷺ كفيل اليتامى وكيف بأولاده عصمة للأرامل، جمع أرملة وهي المرأة التي فقد زوجها، وكيف بزوجته ويقاس عليها الطريق الذي فقدت راعيها، وكيف بطريقة أضيفت إليه بقوله ﷺ لصاحبها:" الطريقة طريقتي والتلامذة تلامذتي، ولذلك قال رضي الله عنه في وصيته المحمدية:" ومن وثق بكلامنا من أحبابنا وبوعد النبي ﷺ لنا ولأحبابنا، فليبق في حجر النبي ﷺ وتحت تربيته كما هو الواقع الخ.

قوله:" ومن وثق" بمعنى اعتمد، وكيف لا يثق به من صدقه بقوله وفعله وحاله، ثمّ إنّ أمره لنا بالبقاء في الكفالة المحمدية، المراد منها الثّمرة وهو الوصول لحضرته ﷺ على العيان بعد الاعتقاد والإيمان، والسير إلى ذلك بأمرين ترقية وتربية، فالترقية وهو السّقو الباطني يسلمه كل أحد، والتربية هي تعليم في آداب الطريق بأفعال[ورقة13]لا تفعل وهي من وظائف البشرية، والبشرية مفقودة وكيف الحال وهذا محل قد يقع فيه إشكال، والإشكال بعد الرواية الصحيحة بأنّ تربية أحباب الشيخ على يد النبي ﷺ بقوله الصادق لمولانا قدور رضي الله عنه:"أحبابك أحبابي وأصحابك أصحابي والتلامذة تلامذتي والطريق طريقتي والحضرة حضرتي الخ".

وكان رضي الله عنه يقول مرارا:" وإذا أتاني المريد ووضع نفسه في حجري رفعته إلى حجر النبي ﷺ". واسترحت منه بإضافته للنبي ﷺ، وهل لهذه الإضافة النبوية انقطاع؟ لا والله لا والله لا والله، فالحجر الذي كانوا فيه هو الشيخ بالعالم البشري لا زالوا فيه الآن، كما أصرَّ بذلك في وصيته رضي الله عنه خصوصية له، ولأحبابه رضي الله عنهم، كما ثبت نحو هذا في حقّ مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأحبابه، ولذلك قال: أي مولانا قدور رضي الله عنه في تائيته الكبرى:

وكـان لـنـا مـا للتجانـي فـي عـصره   مـن حـضرة أحمـد في شأن أحبّتي

[ورقة14]وهذه الحالة من آثار إرثه لسّر الطريقة التجانية مع أسرار الطرق المذكورة تصريحا وتلويحا في **كتابه المرائي النبوية والمواقف الحقية**، وقد كان أخذ العهد التجاني عن النبي ﷺ مشافهة ومرة عن سيد أحمد التجاني رضي الله عنه بالحضرة المحمدية بعدما كان ندبه الشيخ الموسوم رضي الله عنه ذات ليلة إلى بيته وهو

مصطلم بالجمال المحمدي، وصار يذكر له فضائل سيد أحمد ﷺ، ثمّ ألبسه قفطانا من ملف أخضر، وقام له بمقام سيد أحمد ﷺ، وكان الشيخ الموسوم ﷺ حصل له فيها إذن غيبي، ولمّا أراد تحصيل السند الظاهر بعث مولانا قدور لبعض أكابرها. أخذ عنه أورادها وسندها ثم أخذها الشيخ الموسوم ثم أذن الشيخ فيها لمولانا قدور، وقال له:" خذها عني الآن سلوكا لا تبركا".[1] وهذا الإذن الموسوم له في الطريقة التجانية أثمر له بأخذ أنوارها وأسرارها وخواصّها وإذنها عن النبي ﷺ مشافهة، ولذلك قال في الميمية ﷺ: [ورقة15]

جمعـــــت ســـــرّ الإذنـــــين	عـــــن ســـــيد الثقلـــــين
أذنـــــت فـــــي الطـــــريقتين	تجانـــــي وموســـــومي

وقد صرّح بها سيدي أحمد ﷺ قال أي مولانا قدور ﷺ في تائيته الكبرى، بعدما ذكر الخطاب الذي خوطب به بقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[2] الخ.

وفـــيها لـــنا تحقـــق لميـــراثنا	محمـــدي الأحـــوال والخاتمـــية

وتولية النبي ﷺ لأحباب الشيخ كانت محاكية أيضا سيدي أحمد. وفضل الله يؤتيه من يشاء وفي المرائي التونسية أول الكتاب "إنّ لله رجالا تولاهم الحق بنفسه، ورجالا تولاهم النبي ﷺ بلا واسطة"، وقد يقول القائل في السّقو الباطني، نعم وأما في التعليم الظاهري فكيف ذلك؟ فالجواب أنهم قالوا في حق العارف هو الذي يغني الله به عند الوجد وينوب عنه عند الفقد أي مطلق العارف، وكيف بالقطب الغوث وأحرى وأولى سيد العالمين ﷺ، والوجد يطلق على وجوده البشري، وعلى حال صحوة وعلى وجوده عندك، فإنّ كنت[ورقة16]ممن تصفّت مرآته وصار يأخذ عنه مشافهة، والفقد أيضا يطلق على فقده البشري وعلى حالة سكره وعلى فقده عندك، بل فقد قابليتك عن مشافهة إياك والنيابة تكون فيما يؤخذ عنه من أسرار

(1) طالع رسالة العالم مصطفى بن قارة حول هذه القضية المهمة، التي أوردناها كاملة ضمن هذه الدراسة لما لها علاقة متصلة بقضية الإذن الموسومي، ص:

(2) سورة الفتح، الآية: 10.

الترقية وأحوال التربية والترقية من قبيل الباطن وهو باق، والتربية من قبيل الظاهر بأن يقيض الله له مثلا أحدا من خواص إخوانه، يقوم له بها ويكون له بمنزلة اللسان النبوي، كما كان ﷺ يقول لبعض أصحابه أنت لساني أنت عيني أو كما قال، لأنّ الأصحاب مظاهر الحضرة المحمدية وتفاصيلها وأصحاب المشايخ كذلك.

ولذلك قالوا التربية تكون من شيخ صالح أو أخ ناصح أو يتربى وسط إخوانه بمجالستهم مجالسة التعظيم، والمجالسة مجانسة، ولذلك قالوا الجمع يقوم مقام الأستاذ، ولا يقوم الجمع مقامه إلاّ عند فقده بأي وجه، ومن ذلك قولهم الشيخ يلد والفقراء يربون ما لم يدخل حضرة الغيب وإلاّ فيصير[ورقة17]أخذه عن الروحانية المنسوب إليها تربية وترقية حتّى يتصل بالحضرة المحمدية. والولادة عبارة عن إلقاء نطفة سر الترقية في روع القلب إجمالا، والتربية تفصيل ذلك الإجمال، فيكون ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾[1].

فجميع تلك التضعيفات كانت موجودة بالقوة في تلك الحبّة، وكذلك تلك النطفة السرية مجموع فيها جميع التفاصيل التي يذكرها في الدنيا أو في الآخرة ولذلك كانت منّة المشايخ على المريدين عظيمة، ووقت وضع تلك النطفة هو وقت مصافحة القدوة، وإذا كانت التربية فرعا عن الترقية، فما ثمّ إلا ترقية ولها ظاهر وباطن، ولذلك قالوا التربية حقيقة، إنمّا هي بالهمّة وكلّ ما ظهر على المريد من علم أو حال فذلك من تفصيل إجمالها فقط.

وإذا تحقق أنّ الجميع يقوم مقام الأستاذ، وأنّ الفقراء يربّون وأنّ التربية تكون[ورقة18]من الأخ الناصح فاعلم أنّ سير أحباب الشيخ على يد النبي ﷺ، حقيقة وإن كانت هناك مظاهر، فإنّ المظهر عند أهل المعرفة ليس بغير الظاهر، قال الشيخ ﷺ في حقّ المظاهر الكونية وأنها ليست غير النور المحمدي الظاهري فيها:

إن قلــت محمـــدا أجابــك كلهــا مكانـــا وأزمـــنا بحـــسّ التلبـــية

وقال مولانا علي الجمل ﷺ في حقّ الحضرة المحمدية" أرى ذاته عين الذوات بأسرها، لأنه أصلها ومنه تجلت. وقد ترك مولانا قدور ﷺ في أحبابه علماء

(1) سورة البقرة، الآية: 261.

وأولياء وأهل سلوك وكشف وأهل أسرار وأنوار وإذن، حتى لا تكاد تجد محلا من المحال المنسوبة للشيخ إلاّ وفيها من هم من أهل هذا القبيل، لا سيما أهل الكشف والأحوال، فالحمد لله على هذا التأييد حتّى لا تكون الوجهة الظاهرة فارغة وما أولئك إلاّ تجليات ومظاهر وتفاصيل للحضرة المحمدية التي كفلنا الشيخ فيها وأبقانا في تربيتها، والشاهد العدل المشهود[ورقة19]للخاص والعام هو بقاء الأحوال في الناس، وسريان مدد المحبّة وزيادة العدد والمدد وانتشار جمال الطريق، وظهور الجد في الأحباب، وكثرة العمارة حسا ومعنى.

حتى قال بعض أهل القلوب الصّافية، الطريق الآن في وقت هذه الكفالة المحمدية، زادت أضعافا كثيرة على أول حال وحتّى كان الأمر وقت الشيخ وقت الزراعة، وهذا أوان النبات وهذا الأمر صار كالمحسوس ولا سيما في الفقراء الغربيين ندروميين والوهرانيين، وقد كثرت الرؤيا النبوية في الفقراء، وجلّ المرائي تدل وتشير أو تصرح بالكفالة المحمدية وبعضهم رأى الشيخ ﷺ، قرب انتقاله في المنام، وقال له:" إني ذاهب وتركت فيكم رسول الله فالحمد لله على بقاء هذا السير ولا غرابة، فإن ما كان لله دام واتصل، وسئل سيدي عبد العزيز الدبّاغ ﷺ، فما نصّه أو معناه إذا كانت التربية بالهمّة والهمّة هي القدوة الروحانية، الروحانية باقية فكيف قيل بانقطاع المدد بين المريد وشيخه؟[ورقة20] إذا بعدت المسافة بينهما أو توفي الشيخ حتّى أنهم أوجبوا عليه الانتقال إلى غيره فأجابه سيدي عبد العزيز" ذلك ليس مطلقا وإنمّا إذا كانت صحبة المريد لشيخه لغرض دنيوي، نعم تنقطع وأمّا إذا كانت المحبّة لله والمراد منها السير والسلوك، فإنها لا تنقطع بشيء.

ثمّ سير همّة القدوة به لا ينضبط في صورة مخصوصة، لأنّ الطرق إلى الله على عدد الأنفاس، فأمّا أن يقع له اختطاف من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فيجتمع حينئذ بقدوته أو بالنبي ﷺ، وإمّا أن يكرمه الله بالاجتماع بشيخه أو بنبيه ﷺ في المنام ويعلمه ما يحتاج له حتّى يصلح لليقظة، وإمّا أن يقيض له رجلا من أهل الغيب أو إخوانه أو يبقى مقتبسا إمداد التربية من جمع أحباب شيخه حتى تتصفى أحواله ويدخل حضرة الغيب، والدليل على التربية تكون مقتبسة عن الجمع بعضهم

من بعض، قوله ﷺ [ورقة21]" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"[1] شبههم بالنجوم لكونهم مظاهر لنور الشمس، وعند فقدان جرمها بظلمة الليل يكون الاهتداء بها، وقوله:" بأيهم" أيّ بأي أحد أو جمع أو الجميع "اقتديتم" أيّ اتبعتم في أخذ أحكام العبودية وأحوال آدابها وتلك هي التربية، "اهتديتم" أيّ وملتم إلى مقصودكم، والمقصود الحقيقي هو الله تعالى، فإنّ قيل سلمنا أنّ التربية تكون من الجمع أو من أخ ولكن الأليق أن تنسب التربية لمن ظهرت على يديه، وهي أحد شقي السلوك.

والشيخ ﷺ صرّح بأنّ سلوك أحبابه على يد النبي ﷺ، فما المخلص من هذا؟ فالجواب أنّ تسليكهم على يد النبي ﷺ، كما أخبرنا الشيخ ومن ناب في شيء، فله المزية المظهرية، وله الوعد الجميل بقوله ﷺ" طوبى لمن جعل الله مفاتح الخير على يده"[2] وحقيقة الخير[ورقة22]من الله وسيتضّح الحال من قوله ﷺ:"أدّبني ربي فأحسن تأديبي"[3] ، وتأديب الحق له هو تربيته له، ولذلك قارنه باسم الرّب وهو

---

(1) جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار النشر / دار ابن خزيمة، الرياض، ط1414هـ.

الرفاعي الحسيني، البرهان المؤيد، دار الكتاب النفيس، تح: عبد الغني نكه مي، بيروت، ط 1408، ج1، ص: 23. انظر: المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1994 ج،4، ص: 568.

(2) نص الحديث الكامل: " روى ابن ماجة في سننه وأبو حاتم البستي في صحيحه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: " إنّ من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه". شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2003، ج7، ص: 1. أخرجه الطيالسى(ص: 277، رقم: 2082)، والحكيم (ج420/1)، والبيهقى في شعب الإيمان (455/1، رقم 698). وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (86/1، رقم: 237). قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف من أجل محمد بن أبى حميد فإنه متروك. (ج34/1) وابن أبى عاصم في السنة (أج/127، رقم: 297).

(3) أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدراج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1975، ص: 39.

شامل للتأديب الباطني، ومنه تؤخذ الترقية، وللتأديب الظاهري ومنه تؤخذ التربية ومن المعلوم أنه ﷺ كان معراجه في الكمالات الإلهية بالقرآن، والقرآن هو خلقه ﷺ كما قالت سيدتنا عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها" كان ﷺ خلقه القرآن"[1] والقرآن الذي به سلوكه ظاهرا وباطنا له إنزالان، إنزال كفاحي على ضرب التجلي الإجمالي، وإنزال بالواسطة الجبريلية على وجه التنّزل التفصيلي، ومجموعهما هو الأدب الذي أراده ﷺ، وأنت ترى كيف أضاف ذلك إلى ربه مع أن أحد شقيه كان بواسطة سيدنا جبريل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فلسيدنا جبريل من ذلك أجر المظهرية، وقد قال الحكيم[ورقة23]إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك وقد ترقى بذلك مقامات تليق بالمحبّة والخدمة النبوية، وقد اجتمع الإنزالان في قوله ﷺ:" أنزل القرآن دفعة واحدة إلى سماء الدنيا ثم أنزله الحقّ على آيات مقطعة"[2].

فالسّماء المناسبة للدلالة هنا هي حضرة حقيقته ﷺ لظهور شموس حقائق الأسماء والصّفات، ومتعلقاتها بها، ومنها قال مولانا قدور ﷺ في ياقوتة الصّفا:" اللهم صلّ وسلم على سماء شموس الحقائق الخ" والدنيا من الدنو الذي هو القرب ولا أقرب إلى الحقّ من حقيقته ﷺ، من حيث المكانة ورفع الوسائط، والقرآن مشتق من القُرْءِ وهو الجمع وهو عبارة عن الذات المقدّسة التي لا ظهور فيها لاسم ولا صفة، وقوله أنزل عبارة عن تنزل تلك الحضرة أيّ تجليها عليه وإرجاع معنى السّماء إليه ﷺ، بدليل قوله عليه السلام في حديث آخر" أنزل عليّ القرآن جملة واحدة".

---

(1) محمد بن أبي بكر الطبري، خلاصة سير سيد البشر، تح: طلال بن جميل الرفاعي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، السعودية، ص: 83. انظر: عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج18، ص: 167.

(2) أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي الكبرى، تح: عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1991، باب سورة الفرقان، ج6، ص: 421.

والأحاديث[ورقة24]وكذلك الآي يفسرّ بعضها بعضا، والتجلّي[1] هو الظهور أيّ الإجمالي في هذا المحل وثمرته هو تحققه باطنا بجميع ما انطوى في حقيقة ذلك التجلي إجمالا، وهذا الإنزال الأول كفاحي من غير واسطة، وقوله "ثمّ أنزله الحقّ عليّ الخ" أيّ بواسطة جبريل عليه السلام بحسب الأحوال والأسباب والمقامات آيات مقطعة، أيّ محكمات بمعنى معارف مفصلة من ذلك الإجمال بما يناسب كل حال، ودرج ومقام في الكمالات التي لا نهاية لها.

وهذا هو الإنزال الثاني الواسطي، ونفهم من قوله ﷺ في الشطر الثاني" أنزله عليّ" من غير ذكر للواسطة بأنّ نسبة الفعل حقيقة لا ظاهر وللمظهر الحكم فقط. وما هو الحكم؟ وعلى من يكون؟ فالحكم هو ما تعطيه حقيقته وتطلبه من الأوصاف العبدية والذي تحكم عليه هو الظاهر فيها، بأن يتجلّى بأوصاف المظاهر عند الظهور بها، إضافته الإنزال إلى الاسم الحقّ لأنّ ظهور الحضرة الخلقية إنمّا[ورقة25]يكون في مرآته للمقابلة، ولذلك لم يذكره في الإنزال الأول، لأنه يقتضي السّحق والمحق للغير، وفيه إشارة إلى أنه إنزال لحقائق ذلك الإجمال أيّ إظهارها المقتضي للحضرة الخلقية والحكم عليها، ومعنى أنزل أيّ تنزل بحقائق أسمائه وصفاته التي

(1) في اللغة بمعنى الظهور. وعند السالكين عبارة عن ظهور ذات الله وصفاته، وهذا هو التجلي الرباني، ويتجلى الروح أيضا. قال في مجمع السلوك التجلي هو عبارة عن ظهور الذات والصفات الإلهية، وللروح أيضا نوع من التجلي، حين صفات الروح تتجلى مع ذات الروح، ويظن السالك أنه تجلي الحق، وهنا يجب على المريد أن يلجأ للمرشد كي ينجو من الهلاك. ولا فرق بين التجلي الروحاني والتجلي الرباني هو أنّ التجلي الروحاني يكون منه اطمئنان القلب، دون أن يتخلص من شوائب الشّك والريب، ولا يمنحه كلّ الذوق الناشئ عن المعرفة. أمّا تجلي الحقّ فإنه بعكس ذلك تماما. وثانيا: يكون عن التجلي الروحي الغرور والخيال، وينقص منه الطّلب والتّضرع، وأمّا التجلي الحقّاني فهو يظهر على خلاف ذلك فيبدل الوجود بالعدم، ويزيد فيه الخوف والتّضرع. وفي الإنسان الكامل اعلم بأن الحق تعالى إذا تجلى على العبد سمّي ذلك التجلي بنسبته إلى الحق سبحانه وتعالى شأنا إلهيا، وبنسبته إلى العبد حالا، ولا يخلو ذلك التجلي من أن يكون الحاكم عليه اسما من أسماء الله تعالى أو وصفا من أوصافه، فذلك الحاكم هو المتجلي. انظر: كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ج1، ص ص: 384 - 385.

كانت غيبا في التجلي الأول وتطبيق معنى حديث "أَدَّبَنِي رَبِّي الخ"[1] على حديث أنزل الخ مع قول سيدتنا عائشة" كان خلقه القرآن" أن تقول أنّ التأديب الباطني هو نفث سرّ الجمع في سرّ الروع، والنفث هو الإيداع عن التجلّي الكفاحي، وقوله: "أدبني ربي" أيّ بذلك التجلّي بلا واسطة وهو الإنزال الأول وخلفه هي صبغة ذلك التجلّي، ومشهده "كنته" والحقائق في هذا التجلّي غيب، ومن جملة تلك الحقائق، الاسم الهادي والنور فافهم.

والتأديب الظاهري هو أخذ الاسم الهادي بيده عند استكمال شربه من ذلك التجلّي فيفيق، فيجد الاسم النور فيسير بضوئه في غياهب حقائق ذلك الإجمال والقرآن اسمه النور بهذا الاعتبار. قال تعالى[ورقة26]: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾[2] ويسمّى أيضا الهادي لقوله تعالى: ﴿ نَّهْدِى بِهِۦ ﴾... الخ"[3].

وهنا يناسب أن يسمّى فرقانا، لأنه أيضا من جملة أسمائه، وذلك لأنه يظهر الفرق بين الحقائق ويميز مراتبها ويفصل بعضها من بعض، وهذا هو الإنزال الثاني الذي هو بالواسطة الجبريلية، المنزل على حسب الوقائع والأحوال والمقامات، ويكون حينئذ معنى بأحسن تأديبي الفاء للترتيب الرُّتبي، أيّ بعد التجلّي الجمعي الكفاحي أحسن تأديبي بالتنزّل التفصيلي الواسطي لأجل إعطاء الحقائق حقّها وإنزالها منازلها، وصبغ تلكم الحقائق هي خلقه ومشهده " كنت سمعه وبصره وعلمه الخ" لكونه تنزلا من الذات إلى الصّفات والأسماء، فرع عنها وتسمّى الخلق هنا فرقانية وتسمية خلق الصّبغتين بالقرآنية مع أن ظاهرها فرقانية من باب التغليب، ولأنه لا فرق إذ لا غير في بصائر الأكابر وما تلك إلاّ تجلّيات للحضرة، وكل تجلٍّ له اسم خاص[ورقة27]أثبته له شأنه الخاص، كما أنه ﷺ أضاف تأديبه بالحقّ بلا واسطة مع أنّ أحد شقيه بالواسطة لكون الواسطة تنزلا من تنزلات الوجود المطلق. تعتبر في بعض المشاهد دون بعض كما يشير لذلك بقوله ﷺ:" لي وقت لا يسعني

---

(1) أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدراج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1975، ص: 39.

(2) سورة الشورى، الآية: 52.

(3) سورة الشورى، الآية: 52.

فيه غير ربي".[1]

فسرّ شيخنا ومولانا قدور ﷺ الوقت بالتجلّي والحال أي له ﷺ تجلٍّ باطني لا يذكر في ذلك التجلّي غير الحضرة المقدّسة، وفي الأثر" إنّ أشدّ الناس جذبا الأنبياء وهو ﷺ أصلهم مع وسعه التام ظاهرا وكمال صَحوُه، حتّى وسع الناس كلهم حلقا ومعاشرة ومعاملة، ونزل كل شيء منزلته فالحالة ألأولى حالة التجلّي القرآني، والثانية حالة التنزّل الفرقاني، ولولا التنزّل الثاني بالسبع المثاني ما كان من إسلام وإيمان، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ [ورقة28]لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ إلخ"[2] . ولمّا كان مولانا قدور ﷺ يتكلّم في مصلى بهذا الوقت النبوي ونام رأى النبي ﷺ، فقال له:

فحكـــم الجهـــات والـــزمان وحيـــزَه تجلـــياتٌ فـــي الحالـــة الاطلاقـــية

أيّ أنّ لفظ الوقت يشعر بالزمان ولا زمان ولا مكان في ذلك الوقت الذي هو حاله الباطني الفيضي الدائم، ولذلك يشير مولانا قدور ﷺ في الهائية:

وَالفَيْضُ بَاقِي مَعَ صَحْوٍ بَاهِي

ومراده بالفيض الأخذ الباطني وهو قولهم القلب، إذا سجد لم يرفع ومراده بالصّحو الوسع الظاهري المكنى عنه بالصّحو، وذلك هو الكمال والله أعلم بمراد نبيّه وأوليائه. هذا وإنّ شمس حقيقته ﷺ ساطعة في فلك الخليقة بأسرها، فكلّ ذرّة من الوجود هو معها معية مطلقة، كما يعلم حقيقة ذلك هو ﷺ، فهو ﷺ مطّلع على الكلّ حاضر[ورقة29]مع الكلّ، قال هذا أو معناه مولانا الموسوم ﷺ وهو ﷺ مع أقوام معينّة خاصة على وجه الرعاية والسّقو والتأديب والتأنيس والنّصرة والكفالة، كما لأصحاب سيدنا ومولانا قدور ﷺ، الذي ثبتت إضافته وإضافة أحبابه إليه ﷺ في حياته وبعد انتقاله، كما قيل له من حضرة قدسية "لا تخف رسول الله معك ومع

(1) بن عجيبة الحسني الإدريسي، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ج8، ص: 118.

(2) سورة الفرقان، الآية: 1.

أصحابك، وفي رواية "ومع أحبابك".[1]

ومعيتّه ﷺ لا انقطاع لها دنيا وآخرة، ولذلك قال ﷺ في لاميته:

كهفي هو ملاذي وغوثي وأستاذي
إليه مستنادي في الحال والمآل

أيّ إليه إضافتي وإضافة أحبابي في الحال، وأنا في العالم البشري، والمآل هو بعد انتقالي وكذلك قوله:" كهفي وملاذي وغوثي وأستاذي" المراد هو وأحبابه بدليل محال أخرى، منها قوله في التائية:

فهو شيخنا مع جميع أحبابنا صحيح ضمانات من لنا واجهت[ورقة30]

وبدليل قوله ﷺ:" أحبابك أحبابي الخ" ولذلك قال في تائيته:

ألا أيها المريد حالك لا يخفا على رسول الإله خير البريئة
فعش في أمان الله تحت لواه في ضمانه الأوفى من جلال وفتنة

وإذا اعتقدت أيها المريد أن الحضرة المحمدية معك في جميع الأنفاس بوجه خاص من التربية والكفالة والشيخوخة فيهن فينبغي أن تكون دائما على استحضاره ﷺ، والتأدب بين يديه والإشعار بالتلميذية له مع ملازمة شريعته ظاهرا وباطنا حسب الاستطاعة، فيجني المريد ثمرة هذه الوعود والضمانات المحمدية عيانا بعد الاعتقاد، فيدخل جنّة المعارف في الدنيا ويرى فيها ما عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من المعارف اللدنية واللطائف القدسية والجموع المحمدية. وهذه الجنة مضمونة لأحباب الشيخ من حين الدخول[ورقة31]بقوله ﷺ له" أحبابك عارفون من حينهم" لكم من جدّ وجد حالا ومن لم يجد فأمره مدّخر لآخر عُمُرِه، ولا يقف أحد من أحبابه بين يدي الله، إلاّ على قدم المعرفة بالله، قال مولانا قدور ﷺ" ومن لم يكن كذلك فليأت إليّ ويقبضني بين يدي الله ويقول لي أين الوعد".

(1) محمد الموسوم، رسائل الشيخ محمد الموسوم، مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام بمسجد الشريفية وهران، الجزائر، ورقة: 29.

ولكن هذه نعمة لا تعادلها نعمة، مع ما شمل الأحباب وأحبابهم وذريتهم إلى قيام الساعة من الأمن والمغفرة والسّعادة والضمانات، فيستحق لها الوفاء العظيم والثبات الكبير والتخلص من الأمور التي تكون بها القطيعة بين المريد وشيخه، كما قال مولانا قدور ﷺ في بعض رسائل الأحباب" أمّا ما وعدته لكم فأنا موفٍ به، ولكن تحافظوا على الرابطة ليتمّ النتاج، فنكون كشخصين أحدهما قابض من طرف الحبل والآخر من الطرف الآخر، فهما مرتبطان ما داما على تلك الحالة، فإذا راما أحدهما الحبل فلا رابطة والملامة[ورقة32]على الرّامي لا على الماسك، والتحفّظ على الرابطة يكون بالمتابعة والامتثال لأفعال القدوة وأقواله والتمسّك بأحواله مع مراعاة حقوق الشيخوخة بالمودة والمواصلة القلمية والقدمية، ولا يقصر في ذلك عن استطاعته وإلاّ فهو تارك للحقوق، وعند فقد بشريته تكون هذه الحالة مع ضريحه وأحبابه وأولاده وأهل بيته أقوى وأكد، لأنّ من تمام برور الوالدين مودّة أحبابهم ومواصلة رحمهم، ومواصلة الرحم فيها البركة في النسل والزيادة في الرزق.

والنسل حسّي وهو معلوم ومعنوي وهو المعارف اللدنية، والرزق حسّي معلوم ومعنوي وهو المشارب القلبية والروحية والسرّية، وقطع الرحم هو القطيعة عن الله، وكأنه هو رمي الحبل الذي أشير إليه أولا لأنّ الحقّ تبارك وتعالى وعدها بأن يصل من وصلها ويقطع من قطعها.

وقد ورد أنّ الأمانة والرّحم يكونان بجانب الحوض النبوي، ومن قطعها قطعاه ومنعاه. نسأل[ورقة33]الله السلامة من كلّ ما يوجب بعدنا عن مشايخنا الكرام وعن نبينا عليه الصلاة والسلام، وقد ورد أنه" يؤتى بأناس يوم القيامة والنبي ﷺ على الحوض فيحال بينهم وبين النبي ﷺ، فيقول هؤلاء أعرفهم وهم أصحابي، فيقال له ﷺ:" إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"[1] بمعنى بدلوا وغيّروا أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

والتبديل والتغيير هو مخالفة ما أمروا به وقطع ما أمر الله به أن يوصل، هو

(1) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع الصحيح المختصر، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، باب سورة المائدة، ط3، 1987. ج4، ص: 1691.

أكبر حائل، ولذلك قال الله لنبيّه ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[1]، وقال ﷺ:" أوصيكم الله في أهل بيتي الخ"[2]. وهذه نصيحة للأمّة ليحفظ إيمانهم وإلاّ فأهل بيته في كفالة الله ورسوله، ولذلك قال أيضا عليه الصلاة والسلام:" أهل بيتي أمان لأهل الأرض"[3]. فمودة آل الحضرة المحمدية وصلتهم حسب الاستطاعة ولو بالدّعاء هو الحصن الذي يحفظ الله به ما كان للأمّة من فضائل وخصوصيات على يد نبيّنا ﷺ بحسب[ورقة34]الجدّ والصّدق في ذلك، ولذلك كان سيدنا قدور ﷺ يوصي في المحافل على مواصلة أحبابه وخصوصا أولاده ولا سيما قرب انتقاله، وكتب في الوصية بعدما أكدّ على احترام الضريح وملازمة المقام الإبراهيمي بقوله:" والوصية ثمّ الوصية على أولادي محمد وأحمد الخ" أيّ والوصية على أولادي وأحبابي عموما ثمّ الوصية على فلان الخ خصوصا، أيّ فكونوا معهم على المودة والمواصلة حسب التمّكن ليحفظ ما بيني وبينكم من روابط الضمانات والبشائر المحمديات التي أكبرها الكفالة المحمدية دنيا وأخرى.

ولذلك قال:" فمحبّتها هي خميرة توجهكم إلى الحضرة المحمدية التي تركتكم في كفالتها"[4]، ثمّ أخبر أنّ سيدنا محمدا ابنه هو المقدم عنه في إقامة النظام وترتيب القوام ظاهرا لتجتمع الهمّة، ولا يقع التشتيت في الهمّة، وذلك بإذن من الحضرتين كما صرّح بأنّ ولده المذكور وجميع الأحباب في الحجر المحمدي يتربون بهمته[ورقة35]ويسلكون بسقوته. فجزاه الله خيرا حيث نصحنا حيا وميتا، فجعل لظواهرنا محطًا ومراكز، ولقلوبنا قبلة ووجها نتوجه إليه حتّى تجتمع قلوبنا

---

(1) سورة الشورى، الآية: 23.

(2) قد تقدم ذكره بلفظ: « أذكركم الله في أهل بيتي» عبد الرحمن ناصر السعدي، التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، دار طيبة، الرياض، ط1، 1414هـ، ص: 102.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه رقم الحديث 2408، ص: 140. انظر: الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ط1، 1991، ج3، ص: 1199.

(4) محمد الموسوم، رسائل الشيخ محمد الموسوم، مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام بمسجد الشريفية وهران، الجزائر، ورقة: 29.

على حضرة واحدة مع ما ترك في طريقه ورجال كثيرة متنوعة الأحوال، كما ذكر في بعض التائيات بقوله:

فمنهم سائر ومنهم طائر ومنهم صاعق بطور الحقيقة
ومنهم فائق بنور محمد هنيئا لهم كلّ حظّ بقسمة

وهؤلاء رجال خصوص والوعد العام للجميع هو قول سيد العالمين ﷺ له:" أحبابك آمنون مقربون مطمئنون عارفون" ولما كنت في هذا المحل من الكتابة أتى رجل يخبرنا برؤيا في شأن أحباب الشيخ وطريقته الآن ﷺ وهو بعض الأحباب رأى جمعا عظيما من الفقراء وإذا بفارس قدم عليهم، ثمّ نزل وقال لهم: "أخبركم بأن جميع الطرق لها كأس كأس وطريق سيدي قدور[ورقة36]لها بحر أهلها يغترفون منه بحسب أوانيهم".

فكانت الرؤيا مناسبة لهذا المحل، وكيف لا وقد ضمن مقام المعرفة لأهلها عموما حالا ومآلا. وفيهم الآن السّائرون والطّائرون والمجذوبون وأهل الصّحو، كما أخبرنا مولانا قدور بهذا قبل موته بنحو السنين، ومقدم النظام الظاهر نسمته الظاهرة سيدنا محمد بإذن صادق من لسان غوث محمدي بإذن من الحضرتين كما أخبر سيدنا ومولانا قدور لما قال له المصطفى ﷺ في حقّ الزاوية" جعل الله الزاوية مباركة على الفقراء مفيضة لأنوارهم وأسرارهم، قال له ثانيا:" ومقام محمد بها كمقام إبراهيم عليه السلام الخ"[1] ، وهي واقعة كبيرة مسطّرة عند كثير من الأحباب المشارقة والمغاربة.

وفلك هذا النظام القويم والجمع العظيم سائر ومحمول في بحر الهمّة المحمدية بريح العناية الأحمدية والرعاية المصطفوية، أيخشى الآفات جمع حل في هذه[ورقة37]الحصون الحقيقية؟ لا والله لا والله، وهل يحس الخروج من هذه الحصون الحقيقية؟ لا والله لا والله، إلا لغير عاقل وغير العاقل لا كلام معه، وهل في الوجود حصن يقاوم الرعاية المحمدية لا والله لا والله، بل هي عناية الآمال ومعطاً الرجال ونهاية الرجال، في الترقي والكمال والنصيحة بيننا، إيه الإخوان أن

(1) انظر: محمد الموسوم، رسائل الشيخ محمد الموسوم، مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام بمسجد الشريفية وهران، الجزائر، ورقة: 27.

نكون محافظين على هذه الدّرة الثمينة التي لا توجد بملء الثقلين ذهبا، ولا تشترى بالرّوح فيها تلفا إلاّ بمحبّة رجل قال له المصطفى ﷺ" من رآك رآني ومن أحبّك أحبّني ومن أكرمك أكرمني".[1]

وعلينا بالثبات على العهد والوصية وتصحيح عقدة الرابطة، حتّى لا يضيع لنا شيء من دور تلك الضمانات التي لا يكاد يجدها الإنسان في حضرة، ولكن لا تحجير على فضل الله العظيم الذي يؤتيه من يشاء وليزن المريد بميزان وضعه لنا مشايخنا الكرام في نفسه وأهل محبّته، فإن وجد نفسه في زيادة من المحبّة والصفاء كما هو الحال الساري في جموع[ورقة38]الأحباب فليحمد الله ولا يقف ويزيد في الأعمال التي تنمو بها أحواله، وإن وجد نفسه واقفا أو ناقصا، فليعلم أنه أخلّ بشروط المحبّة والودّ وضيّع ما يزيد به المدد ولو بالنيّة وتشتيت القلب وضعف اليقين، فليفتش قلبه حتّى يطّلع على علّته فيعالجها بالدّواء المصيب ولا دواء أنفع من الوقوف عند ضريح الشيخ ومواصلة رَحِمِهِ. ولقد أوصى ﷺ على الضريح ومواصلته والأدب معه أكثر ممّا كان حيّاً، لأنّ الجلوس عند قبر الولي مطلقا هو من أفضل الأعمال، كما قال ﷺ ولا سيما القدوة.

وقد قال الشيخ ﷺ:" كلما رجع المريد من حضرة شيخه، رجع بحلّة جديدة وتلك الحلّة هي الدّواء المصيب، ولم يقيد المراجعة هذه بحياة ولا موت ولا موت بعد الكسان، قال ﷺ:" فعلينا بالجدّ حسب المستطاع وعكوف الهمّة في باب الحضرة المحمدية، واعتقاد التلميذية له ﷺ مع ملاحظة الروحانية[ورقة39]القدورية، لأنها واسطتنا إلى تلك الخيرات كلّها فمن لزم الباب دخل ومن تحقق اضطراره وصل، وأمّا تشتيت الهمّة فإنه يثمر بالفترة والقطيعة، ولذلك قالوا ﷺ إلزم بابا واحدا، تفتح

(1) تجدر بنا الإشارة إلى أن محبة النبي ﷺولع بها العديد من الشيوخ والمريدين، ولذلك نرى الشيخ الطاهر بن عبد القادر المشرفي يؤلف كتابا في هذا ونجده يقول: " قد رأيت كثيرا من المريدين المولعين بمحبّة النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام الفائزين بذكر الصلاة عليه في الضحى والمقام، تشرئب أنفسهم وتستشرف هممهم..فوضعت لها شرحا يزيل عن وجوه عرائضها النقاب ويكشف عن محرزاتها الحجاب". الطاهر بن عبد القادر المشرفي، الدرة الشريقة في أصول الطريقة، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، ورقة: 1.

لك الأبواب، واخضع لسيد واحد تخضع لك الرقاب ولا باب ولا سيد يقاوم الحضرة المحمدية، بل كل الأبواب وسائل إليها وكل الأسياد دعاة إليها.

سؤال وجواب تدور عليهما مسائل

هذا الكتاب قد يقول القائل أنّ الشيخ ﷺ ذكر في كتبه السابقة أن المريد إذا انتقل شيخه، يجب عليه الانتقال فورا، وفي الوصية آخر أمره أمر بالبقاء في الحجر المحمدي، وأنّ بين القولين تنافيا. الجواب إن كان بين القولين تنافٍ ولا بد، فالحكم بالثاني ويكون الأول منسوخا.

قال سيدي الشعراني ﷺ فيما يرويه عن سيدنا الخضر عليه السلام:" فإذا قال المجتهد[ورقة40]قولا ثمّ قولا آخر يناقضه فهو دليل على رجوعه عن الأول"، فهو كالحديث الذي نسخ بالآخر، هو الذي يكون العمل به. قلت:" وهذا إذا لم يكن أحدهما عاما والآخر خاصا أو كلّ منهما خاصا بوجه، وإلاّ فيتنزل كل بمرتبته ولا نسخ، وقد يكون كلام الشيخ ﷺ من هذا القبيل فيكون القول الأول في حقّ من لم يأمره شيخه في شيء، وأمّا من أمره شيخه ولو بمحبة عالم أو خدمة جماد أو ملازمة بيته أو ذكر مجهول أو بأي حال.

فالواجب عليه الامتثال وإلاّ فقد نقض العهد والمبايعة وتعرض بمخالفة أمر الله، القائل ولم يزل قائلا: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾[1] ، لأنّ معنى العهد عقد المريد مع شيخه أن يكون على امتثال أمره قولا وفعلا وحالا حسب الاستطاعة من غير ميزان عليه، ولذلك أجمعوا على أنّ من قال لشيخه لم فهو لا يفلح أبدا أو انظر[ورقة41]للمريد الذي قال له شيخه اذكر البصل ولمّا اشتغل بذكره، ولم يزن على شيخه كيف وصل على مطيته، لأنّ سرّ الله في صدق الطلب، وما قال كيف يأمرني بشيء لم يرد به الشرع". قال صاحب العينية:

ولا تعترض فيما جهلت من أمره ... عليه فإنّ الاعتراض تنازع
وسلم له مهما تراه ولو يكن ... على غير مشروع فثمّ مخادع

(1) سورة النحل، الآية: 91.

فامتثال أمر المشايخ واجب أحياء وأمواتا ومن اعتقد في كلام الشيخ غير هذا، فقد خلّ بحقّه ونسبه إلى غير مكانته كيف وهو ﷺ يقول:" كلمّا صدر من العارف فهو من الحضرتين الكريمتين"، ويكون القول الثاني في حقّ من أمره شيخه بشيء كهو ﷺ، الذي أمر أحبابه بالبقاء في الحجر المحمدي مع ملازمة الضريح ومواصلة ولده، الذي قال فيه هو المقدم عني في عمارة الزاوية المختارية وعندي أنه لا تنافي ولا عموم ولا خصوص[ورقة42]في كلام الشيخ ﷺ، وإنمّا هو من باب واحد، إلاّ أنّ القول الثاني أعلى وأعزّ وأعلى ومكانته من الأول بمنزلة الأكمل من الكامل، ولذلك وقعت فيه الحيرة، لأنه نعمة كبرى، وذلك لأنّ في القول الأول أمر بالانتقال إلى شيخ معين، وهو الشيخ الأعظم الذي تستمد منه جميع المشايخ ﷺ، أي بنقل الهمّة لديه وتوجه الكلية إليه، وتلك خصوصية عظيمة ومنقبة كبيرة، اختار الله لها غرباء هذا الزمان بمحض الفضل والامتنان، كما قال مولانا قدور ﷺ في تائيته كتب بها سيدنا جلول بن سيدي عيسى ﷺ في أول أمره ما نصّه:

خصوصية لكم بها جاد فضله	سمّيت طريقكم بها المختاريةِ
شعاع لكم قد فاض من جمالاته	يعمّ الجميع منا في أيّ حالةِ[ورقة43]
ميعادٌ وفيٌ خصّكم من محمد	فأبشروا يا إخواني بالمحبوبيةِ
خليلي لا توجل بحسّك والمعنى	مناما ويقظة بدنيا وأُخْرَةِ
وكيف ونحن أهل حضرة الاصْطِفَا	لإلى المصطفى أضفنا حقّا بمنّةِ

وفي رواية بإرجاع الضمائر التي لخطاب الجمع إليه لأنّ ذلك كان بسببه، وفي أول الأبيات يقول:

وكيف أنتم أحباب لمحمد	تلامذة له من بين الأحبّة

وكيف يتصوّر الوهم لمن نظر مثل هذا الكلام وقرأ الوصية التي كان بها الختام، وكيف بعاقل ضمّته الحضرة المحمدية إليها واصطفته إلى نفسها وأضافته إلى رعايتها، وهو يتشكك في وعدها ويتخوّف، وهو منغمس في ضمانها ويشكو اليتم، وهو مكفول في حجرها، فسبحان الله وما توفيقي إلاّ بالله، فإن قال قائل" أنّ الدلالة الأولى[ورقة44]على شيخوخة يتمكن الأخذ عنها، والدلالة الثانية على

شيخوخة قد لا يتمكن الأخذ عنها من أحد شقيها الجواب العام الإجمالي، وأن لا تحجير وفي الأثر" أنّ الطرق إلى الله على عدد الأنفاس"وهذان طريقان منها، الأولى الشيخوخة المحسوسة والثانية الشيخوخة المحمدية الخاصّة بخواص من أمته، وأين تمام عدد الأنفاس الوارد.

والجواب الخاص التفصيلي قد تقدم ففي تفسير قوله ﷺ:" أدّبني ربي الخ"[1] وقلبه أيضا ومن أراد السلوك فليلازم الورد، ويعمّر بعض أوقاته بذكر الاسم الأعظم، وبعضها بالصّلاة على رسول الله ﷺ مع التوجه القلبي للحضرة المحمدية، وملاحظة الواسطة القدورية باطنا وواسطة، ولها المقدم عنه ظاهرا بمواصلته ومواصلة الضريح، كما في الوصية القدورية.

ثمّ من كانت قسمته من الحضرة المحمدية مشافهة وصلها، ومن كانت له قسمة عند أحد من أهل الله فسيجعل الله له[ورقة45]إليها سبيلا بعنايته وتوفيقه لا بنفس المريد وحياته لأنّ الأرزاق الحسّية والمعنوية مقسمة، ومظاهرها في علم الله مقررة، وما يبدل القول لديّ، قال ﷺ:" الرزق مقسوم بينكم فلا تطلبوه"[2] ، لكن اطلبوا ما طلب منكم وهو العبودية والوقوف عند ما حدّ، والقسمة طالبة لا مطلوبة، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[3] . قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾[4] ، وهذه الأنوار كلّها تدلنا على الوقوف بالباب، أيّ اعتقادا باطنا ونيّة ولا تمنعنا من الأسباب المأذون فيها سعيا ظاهرا شريعة، حتى يكون الإنسان على الإخلاص الأعظم في معاملته مع الله، ومع نبيّه ﷺ، ومع إخوانه

(1) أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدراج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1975، ص: 39.

(2) لعله يوافق قول الشاعر:

اقنع بما أوتيته تنل الغنى	وإذا دهتك ملمة فتصبر
واعلم بأن الرزق مقسوم فلو	رمنا زيادة ذرة لم نقدر

أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1388هـ، ج4، ص: 339.

(3) سورة الطلاق، الآية: 3.

(4) سورة طه، الآية: 133.

خصوصا وعموما كلّ حسب مرتبته، والباب الذي أمرنا بملازمته مخلصين هو الحضرة المحمدية التي هي مجمع القسم كلّها في نفس الأمر، وإن كان بعضها بالوسائط مظاهر لها ولا فرقة ولا بينونة بين أهل الله ﷺ.[ورقة46]

ولكن الوقوف عند ما حدّ هو الشرع حتى يتولى الله من يشاء ارتقاءه من حضرة إلى حضرة، والحضرة واحدة في حقيقة الأمر. قال الحكيم:" مقامك حيث أقامك". أيّ أبق فيها أقامك الحقّ فيه إقامة مرضية، حتّى يتولى هو ارتقاءك فتكون به لا بنفسك، وقال أيضا:" لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليقيمك فيما سواها، فلو أرادك لأقامك من غير إخراج، ومن كان بالله فهو محمول محفوظ، ومن كان بنفسه فهو موكول لنفسه مدحوض، ولا ينبغي لمن يريد السلامة والربح لنفسه وأهله وأحبابه، ودخل حصنا منيعا محمديا مدخل صدق. أيّ بوجه مأذون فيه شرعا أن يخرج من ذلك الحصن بنفسه، إلاّ إذا كان بمخرج صدق، وهو أنّ يكون بإذن صريح من كفيله في تلك الحضرة، أو ممن أمره بالإقامة فيها أو بوارد إلهي، وعلامته أن لا يقبل معارضة من كان كذلك، فهو على بصيرة ولا يسمّى ذلك حينئذ خروجا، بل يسمّى ترقيا في نفس الحضرة التي هو فيها. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.[1]

[ورقة47]والوارث المحمدي نائب عن رسول الله ﷺ، وله حلّة من كلّ خطاب خوطب به المحضر المحمدي. وقد أمرنا ﷺ بما أمر، وله الحلّة العظمى أيضا من قوله تعالى في حقّ نبيّه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[2] . لكن الشرط الأعظم الذي تصفو به المحبّة ويثبت به العهد والموّدة ويكمل به الصّفاء ويحصل به الوصلة، هو أن يكون به المريد مع جميع إخوانه حسب ما تطلبه منه مراتبهم، فيكون مع عمومهم بالنّصيحة والتذكير، ويكون مع خواصّهم بالاستفادة والتحرير لما يحتاج إليه من أفعال الشريعة وأحوال الطريقة، ويكون مع من لاحت عليهم لوائح الطريق من أسرار وأنوار وكشف على التصديق

(1) سورة الحشر، الآية: 7.

(2) سورة النجم، الآية: 3 - 4.

والتسليم، ويكون مع من ظهر بإذن في الطريق على غاية الفرح والتعظيم والتوفير والمواصلة الخالصة لله، ولا ينكر فضل الله على أحد إذ لا تحجير ونور النبي ﷺ في ازدياد لا في نقصان، ومظاهر نوره هم أولياء الله، ومن كان وليا لله حيا كان أو ميتا تمنعه[ورقة48]النواب من الشرب من الحوض المعنوي وشيخه يمنعه.

فقد استوجب الطرد من حضرة الله لأنّ الولي لطيفة محمدية قائمة بسرّ إلهي تعلق من إخوانه بشيخ آخر من أهل الله، فلا ينكر عليه ولا يحقره ولا يهجره، بل يعتقد أنه له قسمة ساقته المقادير إليها، ويكون مسلما لأهل الوقت قاطبة مع ملازمة أوراده وشريعة نبيّه ممازحا لإخوانه، مواصلا لضريح قدوته وآله من أحباب وأولاد حسب الاستطاعة.

وهذه الأحوال المذكورة اجتمعت فيها التربية والترقية على أكمل وجه وأحسن طريق، وعلى هذا الحال كان شيخنا ومولانا قدور ﷺ من بدايته إلى نهايته. كان أول الحال دخل الطريق العيسوية على يد بعض المقاديم وكان يجتهد في العبادة، وحصلت له الرؤية المحمدية يقظة وهو فيها لا يعرف وظائف الطريق، إذ كان أميا وكانت ترد عليه أمور وتتنزّل به نوازل لا يعلم حقيقتها.

ثمّ ساقه[ورقة49]الحال سوقا قهريا إلى الطريق العدّاوية[1] ، كما قال في التائية:

فساق بنا التوفيق سوق عناية إلى ابن غلام الله شيخ الطّريقةِ
وفي عالم الخيال كان اجتماعنا وبيعتنا صحّت له دون شبهةِ

---

(1) العداوية: نسبة إلى الشيخ سيدي عدة بن محمد الموسوم بن غلام الله بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن محمد الخياطي (دفين بوقادير) ابن أبي عبد الله محمد المغوفل (دفين بطحاء شلف) ابن محمد بن واضح بن عثمان، بن سيدي الحاج عيسى بن محمد الملقب "بفكرون" بن القاسم بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن عبد السلام بن مشيش حيث يتصل نسبه عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن. ولد الشيخ سيدي عدة بقرية تدعى" مشتى الفقراء" وهي الآن تسمى الزاوية، تقع ما بين اجديوية ووادي ارهيو سنة 1208هـ/ 1783م. من مؤلفاته: كتاب مفتاح القلوب، رسالة الكراس. الشيخ أبو عبد الله شراك، سيرة الشيخ سيدي عدة بن غلام الله، مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك.

ثمّ اجتمع ببعض مقاديم سيدي عدة ﷺ، فأخذ عنه الورد العدّاوي، وبقي كذلك حتّى حصل له اجتماع روحي بالشيخ الموسوم ﷺ، وهو على منبر من نور ولعلّه بالبيت المعمور، وبقي من ذلك اليوم يجتمع به بروحه ويأخذ عنه المعارف نحو السنتين، ولم يستطع أن يأتي إليه ويأخذ عنه بعد هذا الاتصال الروحاني، لكونه أخذ الورد العدّاوي حتّى اجتمع بالشيخ سيدي عدة ﷺ. فقال له:" أردت أن تمشي عند الموسوم، قال له: نعم، فقال له سيدي عدة: امش ولا عليك طريقي ومائي وموسومي، فعند ذلك مشى إليه وأخذ عنه الورد ثمّ بعد وفاة الشيخ الموسوم ﷺ، بقي على العهد الموسومي متوانيا مع إخوانه[ورقة50]على سبيل التعاون ولم يأخذ عن واحد حتّى بعد مرة اجتمع بالشيخ الموسوم والشيخ سيدي محمد بن عبد الله الغريسي رضي الله عنهما، فقال له الشيخ الموسوم ﷺ مشيرا لسيدي محمد بن عبد الله، هذا شيخك بقي لك نصيب هو يكمّله لك.[1]

ومع ذلك بقي متأنيا حتّى حصل له الإذن النبوي متكرراً، فأتى إليه وأخذ عنه مصافحة الإخوة لكونه كان على المرتبة العظمى، وكان بعد انتقاله الشيخ الموسوم يجتمع بسيدي الحاج علي بن رقية ﷺ على سبيل الأخوة والزيارة لله. ويحكى أنه كان يقول عند إرادة الدخول عنده:" اللهمّ إني لا أريد منه وردا ولا سرّاً ولا غيره، وإنمّا أزوره عبودية خالصة لوجهك".[2]

وهكذا ينبغي الإخلاص في زيارة الأولياء أحياءً وأمواتاً، ويكون لصاحب هذه العقيدة ما لا يكون لغيره حسب إخلاصه، وتفيض بينهما أسرار ومعارف، وكان يحبّه المحبّة الكبيرة، ولم يأخذ عنه الورد مع أنه كان يصّرح بالقطبانية العظمى[3]،

---

(1) محمد الموسوم، رسائل الشيخ محمد الموسوم، مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام بمسجد الشريفية وهران، الجزائر، ورقة: 28.

(2) محمد الموسوم، رسائل الشيخ محمد الموسوم، مخطوط بخزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام بمسجد الشريفية وهران، الجزائر، ورقة: 27.

(3) يقول الشيخ الموسوم: "اعلم يا أخي ويا سيدي على ما في عقيدتي وواردي وبشارتي أن من اجتمعت فيه أوصاف شمائل المصطفى وأخلاقه الكريمة العظمى والقطبانية الكبرى..أن أهل المقام الثاني أهله على أقدام الأنبياء ومسلمون ووارثون منهم الأحوال دون الشرائع مع الأنوار اللوامع والأسرار السواطع والحاصل الذي به غاية البيان والتوضيح..أنّ كل وارث =

لكون أموره كلّها كانت متوقفة[ورقة51]على الإذن. هذا والشيخ الموسوم، ما قال لأصحابه أبقها على وردي ولا خذوا على غيري، بل سكت وأحرى وأولى لو أمر بشيء. وانظر كيف كان في جميع إخوانه ملازما لوظائف الطريق خارجا عن تأييدها لنفسه حتّى تولاه الله في جميع انتقالاته، إلى أن ختم الله بالحضرة المحمدية، فبنى فيها خيامه وخيام أحبابه وأمرر بالمكث فيها، وأخبر أنّ [بياض في الأصل] هو صاحبها [بياض في الأصل].

ينبغي أن يكون على منواله[بياض في الأصل]وصيته وملازمته ما تحفظ به تلك الرابطة، وما تنمو به تلك العاطفة السّرية المودعة في روع اللطائف الباطنية، ويتباعد المريد عن الأمور التي تميت تلك الحياة، وتفسد تلك المعاملات وترمي في ميادين الغفلة والقطيعات، والدّواء المزيد لكلّ علّة الحافظ من كلّ مزلّة بصحبه من غير مهلة الزائد به من غير نقصان، هو المودة والمواصلة والبرّ للآل القلبيين والقالبيين، والعكس بالعكس. وذلك لأنّ برور الوالدين هو الخميرة لخيري الدّارين وعقوق الوالدين[ورقة52]مفسد الدّارين.

ولذلك قال ﷺ:" رضى الرّب في رضى الوالدين، وسخط الرّب في سخطهما"[1] . ولمّا سأله الرجل في حقّ الأبوين قال ﷺ:" هما جنّتك ونارك"[2] .

على قدم موروثه من نبي أو رسول وروح كل موروث تستمد من الروح المحمدي والنسر الأحمدي". محمد الموسوم، رسائل الشيخ محمد الموسوم، ورقة: 21.

(1) ورد بلفظ آخر: "و أخبرنا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن ثنا شعبة عن يعلي بن عطاء عن عبد الله بن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: رضى الرب في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد". محمد الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، بيروت، ط1، 1969، ج1، ص: 401. وانظر: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ج4، ص: 168.

(2) ورد بلفظ آخر: "حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاتِكَةِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ عَنْ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى

فرضى الرّب ودخول الجنّة في برورهما وسخط الله ودخول النار في عقوقهما، ولذلك قرن الحقّ الإحسان إليهما بعبوديته، فقال تعالى:﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[1]، وكان ﷺ يقول:" الوالد وسط الجنّة فإن شئت فضيع ذلك أو أحفظه".[2]

والجنّة جنتان جنّة زخارف وأمرها مفهوم، وجنّة معارف فالسير إليها يكون ببرور القدوة أو يرجع من نصف الطريق، لأنّ برورهما يزيد في الرزق المعنوي، وهو غذاء الرّوح الذي به سيرها ويزيد في الرزق المحسوس. وهذا غذاء الشيخ الذي به قوامه، قال ﷺ:" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُزَادُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرْ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ".[3] وقد قالوا والد الروح أفضل من والد الشيخ، وحقّه أكيد وأكثر. قال ﷺ:" إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ"[4]، وكلنا أولاد وأهل ودّ وأصدقاء[ورقة53]وأرحام للشيخ رضي الله عنه.

وَلِدِهِمَا قَالَ هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ كالبرهان". أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجة (ج1208/2، رقم: 3662). انظر: فوري (ت 975هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5،1981م، ج16، ص: 463.

(1) سورة الإسراء، الآية: 23.

(2) وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وصححه والبيهقي، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الوالد وسط أبواب الجنة، فاحفظ ذلك الباب، أو ضَيّعْهُ ». جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ط 1993، ج5، ص: 264.

(3) ورد بلفظ آخر: "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحَرَّانِيُّ حَدَّثَنَا حَزْمُ بْنُ أَبِي حَزْمٍ الْقُطَعِيُّ حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ سِيَاهٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ قَالَ: وَقَالَ السَّالَحِينِيُّ: يُبَارَكَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَقَالَ وَالِدَيْهِ أَيْضًا وقَالَ يُونُس وَالِدَيْهِ وَقَالَ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ". أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1999، ج21، ص: 318.

(4) أبو الحسين مسلم، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة، بيروت، ج8، ص: 6. وانظر: أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة حيدر آباد، الهند، ط1، 1344هـ، ج4، ص: 180.

فيجب علينا صلة بعضنا بعضا ولو بالدعاء عند العجز عن المواصلة بالقدم أو القلم، ولا سيما من اجتمع له الحقّان وأوصى به على وجه الخصوص، فتكون مراعاته أكثر ونظر وجه الموصي فيه أكبر، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول:" أن من برّ والديك أن تفعل مع أصحابهما من بعدهما ما كان يفعلانه معهم في حياتهما".

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال له:" هل بقي من أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما، فقال له ﷺ: "نِعْمَ الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ وَعْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وصلة الرحم التي لا توصل إلاّ بهما، وإكرام صديقهما"[1] . وقال ﷺ "الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب"[2] ، وكان ﷺ يقول:" مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ السُّوءَ فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[3] . وكان أبو هريرة ﷺ، يقول أوصاني خليلي ﷺ أن أصل رحمي وإن أدبرت، وعنه عليه الصّلاة والسلام، "إذا لم تمش إلى ذي رحمك[ورقة54] برجلك، ولم تعطه من مالك فقد قطعته"[4] ، وقال أيضا عليه السلام:" إنّ الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم"[5] . وقال أيضا ﷺ:" أَفْضَلُ الأَعْمَالِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكْ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكْ وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ".[6]

وهذه الأحاديث كلها تحثّ على صلة الرّحم ترغيبا وترهيبا، وحاصله أنّ التصوف أجمعه والسير كلّه في مواصلة أحباب القدوة والمحافظة على حرمة

(1) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ج4، ص: 171.

(2) أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، بغداد، ط2، 1983، ج19، ص: 200.

(3) محمد بن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1408هـ، ج2، ص: 182.

(4) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ط1993. ج 4، ص: 637.

(5) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تهذيب الآثار، تح: علي رضا، دار المأمون للتراث، سوريا، د ط، ط1995، ص: 150.

(6) أبو إسحاق النيسابوري، الكشف والبيان، تح: الإمام أبي حامد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج4، ص: 318.

الأخوة مع فيما يرضيهم، واستجلاب الدعاء منهم، وإدخال السرور عليهم ولو بكلمة طيبة، فليتحفظ المريد على هذه الكنوز النبوية، وإذا كان على هذه الخلق في أهل طريقته، فليبشر بكل خير وليحذر من المِراء والجدال من المشي بينهم بالقيل والقال وليكن في عونهم حسب قوته لينال الحظ العظيم، والوعد الكريم بقوله ﷺ: "إِنَّ اللهَ فِي عَوْنِ المَرْءِ مَا دَامَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"[1]، وليفوز بالأحبيّة عند الله من قوله ﷺ: "الخَلْقُ عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّ الخَلْقِ[ورقة55]إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ"[2]، فمن كان على ما ذكر من الأحوال، فلا شكّ أنّه يحظى بثمرة الكفالة المحمدية، وهو مشهوده ﷺ عيانا كابر حضرته كما قال مولانا قدور في وصيته" ولو لا ما كان الوقت وقت ظلمة لوجدتم أنفسكم في حجره ﷺ عيانا كما هو الواقع الخ.

ولكن من تحقق صدق وقوفه بالباب رفع عنه الحجاب وفاز بمعانقة ذلك الجناب، اللهمّ اجعلنا وأحبابنا وإخواننا خصوصا وعموما، ممن وقف بالباب وأدّى حقّ الآداب حتىّ استحق الاصطفاء به، ومنه لمجالسة ذلك الجناب يقظة ومناما، حالا ومآلا، دنيا وأخرى، شربا ورياً. آمين بحرمة سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا وشفيعنا وكفيلنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وحزبه وأمته وسلم تسليما.

وهذا الحثّ على البقاء في الحجر المحمدي بالنسبة لأحباب الشيخ الذين كانت لهم الإضافة الخاصّة لسيد الكائنات[ورقة56]ﷺ حسب الإخبارات النبويات المقدرة في كتب الشيخ ﷺ وحسب الوصية القدورية رقما ولفظا لجموع وأفراد، وأما من لم يوص من المشايخ ببقاء والانتقال فقد قال مولانا قدورﷺ:" يجب على المريد الانتقال فورا بشروط مقدرة في كتبه ﷺ وليس غرضنا ذاك وإنما غرضنا تصفية العقيدة وتصحيح الرابطة لنا ولإخواننا المختارين حسبما اقتضاه الحال منّاً، ووجب علينا اعتقاده بنص صريح عن الشيخ ﷺ بل نصوص من ذلك ما كتب به سيدي المسعود ابن السويدي في أحد له بالتقديم ونص كلامه ﷺ فليبشر أصحابنا

---

(1) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين - القاهرة، ط 1415هـ، ج6، ص: 18.

(2) محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، بنان، ط1، 2000، ج1، ص: 666.

وأحبابنا وتلامذتنا أنهم من أصحاب النبي ﷺ صحبة فضل واختصاص من سرّ خزائن فضل الله الذي لا تحجير عليه وأنهم من أحباب النبي ﷺ وتلامذته وليجعل ذلك من جملة عقائده وأعظمها. من الإجازة المذكورة وكانت قبل وفاته بنحو الخمس[ورقة57] سنين وكتب منها نسخا لجملة من المقاديم منهم سيدي محمد بالحاج أقويدر القبلي ومن ذلك ما أجاب به العارف بالله سيدي عبد القادر بن جلول حين سأله أن يكون من تلامذة النبي ﷺ ونصه أما قولكم فسل لي المصطفى ﷺ هل أنا من تلامذته بواسطتكم أم لا؟ الخ.

فهذا أيّها الحبيب من تحصيل الحاصل، فإن وعده بهذا قد تعدد لنا مراراً بصيغ مختلفة والأمر أعظم مما ذكرت هـ. من الرسالة المذكورة ولما كان الشيخ ﷺ في آخر أمره وقع له اهتمام كبير من أجل الطريق والأحباب حتى رأى المصطفى ﷺ فقال له:" لا تهتم فالوقت لنا" فانظر إلى هذه الإضافة المحمدية وأفتخر لجللها بين البرية يا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهذا ما وجب علينا من نصيحة إخواننا وحركتنا فيه الهمة القدورية المختارية ويقول جامعها خديم الفقراء محمد ولد بنعودة بن سليمان حفظه الله وجميع الإخوان والله لا ولا أن الشيخ ﷺ [ورقة58] قبضني قرب انتقاله بحضرة أهله وأولاده وبعض أحبابه وقال لي على سبيل الجدّ والحتم: "تبعث عنّي بهذا للمشارقة والمغاربة ما ركبت هذا البحر الخطير وإنّي والله على خطر لكن المأذون مأمون".

وقضية هذه الرسالة كنت جلست مقابلة الضريح القدوري أكتب جوابا لسيدي محمد بالجلالي وجعلت رسالته أمامي لأُجاوبه على مقتضاها مستمدّا من روحانية الشيخ ﷺ، فإذا بالقلب دار والقلم سار وسار الكلام يظهر كأنّه من لسان الشيخ حسّا حتى كملت الرسالة، فلمّا قرأناها وجدناها تناسب الأوان فجعلنا منها نسخا لنواحي الإخوان وكانت كالتفسير لرؤيا رأيتها أي رأيت سيدنا محمد ابن الشيخ رضي الله عنهما وعنده مثل إناء مملوء مسكا وأعطيت منه شيئا فلما أفقتُ فسّرها بعض الخواص بعلم سيبثّ على يده فيه حياة لإخوان ولمّا نامت بعض الفقراء والشيخ ﷺ بعث إنسانا لجامعها يقول له أن الشيخ يقول لك هذا الأمر متعين وفي ليلة أخرى[ورقة59] رآها بين يدي سيدنا جبريل عليه السلام وهو يستحسن

لها ويلزم ببعثها للفقراء وهو إذ ذاك في صورة العارف بالله **سيدي محمد بن رحال** وفي ذلك إشارات. وتكرّر هذا نحو الثلاث مرّات وسمّيتها: **النّفحة الربانيّة في التلميذية المختارية.**

ونسأل الله بحقّ حبيبه محمدﷺوبمولانا قدورﷺأن يجعلها[بياض في الأصل]الأرواح والأشباح وأن يغفر لنا ولوالدنا حسّا ومعنى، وإخواننا خصوصاً وعموماً، طيناً وديناً، وأولادنا الأحباب، وأن تفعل بنا وبهم عاجلا وآجلا في الدارين ما هو له أهل بحقّ حبيبه ﷺ وعلى آله وصحبه[بياض في الأصل]صلاة نستجلب بها رضاه وجزيل نواله وعطاه، ونستسقي بها مزاج الأشباح والأرواح والأسرار والحفظ من جميع الأكدار، ورؤيته ﷺ يقظة ومناماً بجميع أنواعها حالاً ومآلاً آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.[ورقة60]

تمت الرسالة المسماة بالنفحة الربانية في التلميذية المختارية للمؤلف العارف بالله سيدي محمد ولد بنعودة بن سليمان المعروف بندرومة. نسخت من أصلها بخط المؤلف ووجدت النسخة الأصلية بيد المقدم بومدين القاطن في بني صاف.[1]

(1) وبه عبد القادر المدعو أبو عبد الله بن الحاج عابدين الحاج عدة بن الحاج عبد القادر بن عدة المعروف قرب قرية أجديوية حرر بتاريخ 27 يوم الثلاثاء 7جوان 1994.

لها ويلزم ببعثها للفقراء وهو إذ ذاك في صورة العارف بالله **سيدي محمد بن رحال** وفي ذلك إشارات. وتكرّر هذا نحو الثلاث مرّات وسمّيتها: **النّفحة الربانيّة في التلميذية المختارية.**

ونسأل الله بحقّ حبيبه محمدﷺوبمولانا قدور﷛أن يجعلها[بياض في الأصل]الأرواح والأشباح وأن يغفر لنا ولوالدنا حسّا ومعنى، وإخواننا خصوصاً وعموماً، طيناً وديناً، وأولادنا الأحباب، وأن تفعل بنا وبهم عاجلا وآجلا في الدارين ما هو له أهل بحقّ حبيبه ﷺ وعلى آله وصحبه[بياض في الأصل]صلاة نستجلب بها رضاه وجزيل نواله وعطاه، ونستسقي بها مزاج الأشباح والأرواح والأسرار والحفظ من جميع الأكدار، ورؤيته ﷺ يقظة ومناماً بجميع أنواعها حالاً ومآلاً آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.[ورقة60]

تمت الرسالة المسماة بالنفحة الربانية في التلميذية المختارية للمؤلف العارف بالله سيدي محمد ولد بنعودة بن سليمان المعروف بندرومة. نسخت من أصلها بخط المؤلف ووجدت النسخة الأصلية بيد المقدم بومدين القاطن في بني صاف.[1]

(1) وبه عبد القادر المدعو أبو عبد الله بن الحاج عابدين الحاج عدة بن الحاج عبد القادر بن عدة المعروف قرب قرية أجديوية حرر بتاريخ 27 يوم الثلاثاء 7جوان 1994.

رسالة البرهان والعيان في معنى قوله ﷺ كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وأفوض أمري إلى الله، إنّ الله بصير بالعباد، دستور

لخديم الأعتاب محمد بن سليمان كان الله له ولأحبابه وذريته وليا ومؤيدا. آمين

الحمد لله والشكر لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وبعد:فإن الحبيب في الله تعالى الفقيه الفاضل صاحب الجدّ والتشمير في طلب الحق جلّ جلاله، سيدي عليش ابن سيدي الحاج خليل القاطن وقته بخميس مليانة. كان الله لنا وله وليا ومؤيدا آمين. سألني شرحا في معنى قوله ﷺ:" كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان"[1] وفقنا الله للصواب وفصل الخطاب، وعصمنا في كل حركة وسكون، من دخول النفس والهوى ومن شرّ الشيطان الرجيم، ومن شرّ كل ذي شرّ ومن شوكة أهل الظاهر وأهل الباطن، وجمّلنا وجميع الأحبة والذرية بنور الشريعة وسرّ الحقيقة وحلل العصمة، والسلامة والعافية وزوائد النعم أبدا مع اللطف العميم لجميع الأمة آمين.

ولنقدم قبل المقصود مقدمات تعين على فهم المراد في هذه الرسالة وفي غيرها من رسائلنا، والله الموفق لا ربّ غيره وهو المعين سبحانه جلّ جلاله.

المقدمة الأولى: في معنى كان، اعلم أنّ كان لها معنيان بحسب المقام المتكلم فيه، الآن معناه الأولى الماضوية أعني دلالة على الزمان الماضي، وهي كان الناقصة، وهي لا تصلح في كلام يدل على الله تعالى، كقولك:" كان الله رحيما

---

(1) أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، باب سورة البقرة، ج1، ص: 68.

بخلقه" لأن الرّحمة صفة ذاتية ومعنى أزلية أبدية قائمة بذاته الأزلية، لا بداية لها ولا نهاية. فاستحيل أن تكون كان في هذه العبارة السابقة ناقصة، حتى نفهم منها الزمان في حق الصفة القديمة الذاتية، إنّما يلزم أن تكون وجودية، كما سيتضح، وإنمّا كان الناقصة تطلق في حقّ معنى يتعلق بالمخلوق الذي من صفاته الذاتية له الزمان. فتقول:" كان زيد شابا" أو كان قائما الخ".

المعنى الثاني من معاني كان الكون والوجود وتسمّى التامة في مقابلة الناقصة، لعدم تخصيصها بزمان دون زمان، فإن التخصيص تقييد وهو نقص والإطلاق كمال، فإذا قلت:" كان الله رحيما بعباده" فمعناها الله رحيم بعباده أزلا وأبدا، أيّ صفة الرحمة موجودة فيه جلّ جلاله أزلا وأبدا، فهو رحيم أزلا وأبدا، والعبد مرحوم أبدا وأزلا، وللرحمة معانٍ متنوعة ذكرنا بعض وجوهها، في جوابنا على مسألة أبي يزيد. فليطالعها من أراد ذلك.

وإذا فهمت ما ذكر، فاعلم أن كان في الحديث المسؤول عنه كان الوجوبية لتعلقها بالحق جلّ جلاله، وينحلّ الكلام إلى هذه العبارة هكذا. الله موجود ولا شيء معه أزلا وأبدا، وإذا كان كذلك فلا نحتاج إلى زيادة اللفظ المستدرج وهو قول القائل:" وهو الآن على ما عليه كان"[1] ، لأن هذه الجملة ليست من أصل الحديث، إنمّا أدرجها بعض العارفين رحمة بالعامة، حيث أن غالب الناس يسبق إلى ذهنهم في مثل هذا الحديث الزمان الماضي مع أنّ الحقّ منزّه عن الزمان في جميع صفاته، فأدرج تلك الجملة تبيينا للمقصود، وهو استمراره في الوجود وحده

(1) رواه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بريدة، وفي رواية: ولا شيء غيره، وفي رواية ولم يكن شيء قبله قال القاري ثابت ولكن الزيادة وهي قوله وهو الآن على ما عليه كان من كلام الصوفية. قال ويشبه أن يكون من مفتريات الوجودية القائلين بالعينية. قال وقد نصّ ابن تيمية كالحافظ العسقلاني على وضعها، أي هذه الزيادة: " وهو الآن على ما عليه كان " وإن صحّت، فتأويلها أنه تعالى ما تغير بحسب ذات الكمال وصفات الجلال عما كان عليه بعد خلق الموجودات، انتهى ملخصا. لكن قال النجم ذكر ابن العربي في الفتوحات أنها مدرجة في الخبر. الملا علي القاري، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، تح: محمد الصباغ، دار الأمانة / مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1971، ص: 263.

جلّ جلاله.

المقدمة الثانية: في معنى اسمه الله

فالله هو الاسم الجامع لمعاني جميع الأسماء الحقية والحقائق الخلقية، فالكون كلّه غيبا وشهادة، كان ثابتا في حقائق الأسماء الإلهية، أيّ حقائق الأشياء في الأزل،كانت أعيانا ثابتة في حقائق الأسماء الإلهية، والأسماء الإلهية كلها معانٍ موجودة في حقيقة هذا الاسم الجامع، وهذا الاسم الجامع معنى قائم بالذات الأزلية.

تدريب وتبيين

من الأسماء الإلهية العليم والمريد والقادر والخالق والرازق والقاهر والرحيم الخ،[1] ولا شكّ أنّ الحقائق الكونية قبل بروزها إرواحا وأجساما، كانت ثابتة في العلم الأزلي، مسايرة له أزلا وأبدا، لكن هناك تفصيل يدق فهمه إن فهمت فاحمد الله على ذلك، وإلاّ فاصدق وسلّم لأهل الله، حتى يفتح الله عليك بفهمه. وذلك أنّ العلم صفة قديمة قائمة بالذات الأزلية وحقائق الأشياء[2] ، وإن سايرت العلم من حيث التعلق فهي في نفسها حادثة لافتقارها إلى محدث، فنقول:" الأشياء

---

(1) أسماء الله عند السلف أسماء على مسمى، فهو الغني مثلا الذي يتصف بالغني لا الفقر، وهو القوي الذي يتصف بصفة القوة لا الضعف، وهو السميع يتصف بصفة السمع تعالى الله عن ضدها، وهكذا في سائر الأسماء والصفات، ولهذا كانت أسماؤه حسنى وعظمى. مصداقا لقوله صلي الله عليه وسلم: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"، لأن تعداد الأسماء الحسنى أو الدعاء بها مبني على إثبات الصفات.

(2) "اعلم أن حقائق الأشياء ثابتة كما قال أهل الحق لأن في نفيها ثبوتها حاصلة خلافا للسوفسطائية حيث حملوها على الأمور الخيالية ويلحق بهم الطائفة الوجودية حيث رتبوها مما عدا خالقها على الفضولات الاعتبارية نظرا إلى جهاتها الباطنية والظاهرية فتبعوا طائفة من السوفسطائية حيث يزعمون أن حقائق الأشياء تابعة لاعتقاد المعتقدين في القضية فهم بحكم هذه المسائل خرجوا عن الطوائف الإسلامية حيث أنكروا الأمور الحسية والأدلة الشرعية الإنسية ثم الإجماع على حدوث العالم وهو ما سوى الله ذاتا وصفة". علي بن سلطان القاري، الرد على القائلين بوحدة الوجود، تح: علي رضا بن عبد الله، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1995، ص: 15.

في الأزل موجودة من حيث علم الحق متعلق بها، لا من حيث نفسها".[1]

ولذلك تقول:"ثابتة في العلم ولا تقول موجودة" لأنّ الثبوت معنى برزخي بين الود والعدم، كما إذا فصلت في ذهنك أمرا تفعله غدا، فقبل أن تفعله هو موجود، من حيث ذهنك وعلمك، لا من حيث نفسه، فهو ثابت لا موجود. وإذا برز للعيان فهو موجود، فافهم فالأشياء مسايرة للعلم ثبوتا لا وجودا، ووصفها الذات لها الحدوث أولا وآخرا، ووصف العلم القدم أزلا وأبدا فافهم وإذا فهمت ما ذكر فاعلم أنّ الاسم المريد والقادر كان كل منهما يطلب الأشياء ويتعلق بها.

فالمريد ليخصّصها والقادر ليبرزها، والخالق ليخلقها، والرازق ليرزقها والقاهر ليقهرها، والرحيم ليرحمها، فالأسماء الإلهية من الأزل إلى الأبد. ناظرة إلى حقائق الأشياء لتظهر أحكامها فيها، فبالحركة الإرادية تزحزحت الحقائق الكونية، إلى البروز وبالآثار القادرية، برزت وبالخالقية صارت خلقا، وبالقاهرية صارت مقهورة، وبالراحمية صارت مرحومة الخ.

فأنت ترى ارتباط الأشياء بالأسماء من غير انفكاك أولا وآخرا. على اختلاف معنى الارتباط كما تقدم، فالأشياء في الأزل كان مقرّها حقائق الأسماء، ومقرّ الأسماء الاسم الجامع" الله"، ومقرّ الاسم أي مسماه الذات الأزلية، فالذي كان في الأزل هو الذات والاسم الجامع، وفيه جميع الأسماء، وفي حقائق الأسماء حقائق الأشياء. لكن بحكم البطون والذي في الأبدي أيضا هو الذات والاسم وفيه حقائق الأسماء، وفيها حقائق الأشياء. لكن بحكم الظهور فإذا قلت " الله" فقد ذكرت الذات والأسماء كلّها والأشياء كلها، والكتب كلّها، والأذكار كلّها. فاسم الله بهذا الاعتبار هو الكلّ المنطبق على حقائق القدم والحدوث بالتفصيل السابق.

المقدمة الثالثة: في معنى الشيء

الشيء[2] وحد الأشياء وهو لغة يطلق على كل محسوس ومعقول ومفهوم

(1) راجع هذه المسألة في: ابن الوزير، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص: 284.

(2) (الشَّيْءُ): فِي اللُّغَةِ مَا يُعْلَمُ وَيُخْبَرُ عَنْهُ وَفِي الْحِسَابِ عَدَدٌ مَجْهُولٌ يَصِيرُ فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ جَذْرًا =

ومنطوق، وفي اصطلاح المتكلمين هو الموجود الثابت في خارج الأعيان وعليه فزيد قبل بروزه لخارج الأعيان. أعني حيث كان ثابتا في العلم دون العين لا يسمّى شيئا، لأنّ الأشياء في هذا الاصطلاح هو كلّ ما تحقق وجوده في الخارج، وأمّا في العلم الأزلي فإنها تسمّى حقائق ثابتة في العلم الخ.

وفي التحقيق أي في اصطلاح المحققين فالشيء هو ماله وجود من نفسه غير مستفاد من غيره، لأنّ الموجود بغيره لا يسمّى موجودا حقيقة، نعم هو موجود صورة والمحققون هم الذين ينظرون إلى بواطن الأمور وحقائقها، لا إلى صورّها، ولهذا يشير قول القائل:

مـــن لا وجـــود لذاتـــه مـــن ذاتـــه فوجـــوده لـــولاه عـــين محـــال[1]

وقد تحقق في السّنة وفي القرآن وعند علماء البرهان وأرباب الشهود والعيان، بل عند أهل جميع الأديان أنه لا فاعل في الحقيقة إلاّ الله، ولا حياة لشيء، ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة إلاّ بالله، ولا وجود لشيء بنفسه وإنمّا وجوده بالله الخ. وشيء لا فعل له من نفسه، ولا حياة ولا نطق ولا وجود له من نفسه هو معدوم ومفقود حالة وجوده صورة، فإن صورته من أثر اسمه المصور ومخلوقيته من أثر اسمه الخالق.

وهكذا إلى جميع ما يتعلق بروحانيته وجسمانيته، فلو انفكت عن العبد أسرار الأسماء الإلهية التي قام بها وجوده وتشكلّت بها صورته، لم يكن شيئٌ

=

وَقَوْلُهُ هَلْ لَك مَعَ هَذَا مِنْ شَيْءٍ فِي (ج ن)، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّرْفِ "لَا بَأْسَ فِيمَا إذَا افْتَرَقْتُمَا وَلَيْس بَيْنَكُمَا شَيْءٌ" أَيْ بَيْنَك وَبَيْنَ صَاحِبِك شَيْءٌ مِنْ الْعَمَلِ الْوَاجِبِ بِحُكْمِ عَقْدِ الصَّرْفِ مِنْ قَبْضِ الْبَدَلَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا. برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ، المغرب في ترتيب المعرب، ج3، ص: 214.

(1) يقول أبي مدين التلمساني:

فالكـــــلُّ دونَ إنْ حَققـــــتَهُ عَـدم علـى التفـصيلِ والإجمـالِ
مَــن لاَ وجُــودَ لذاتــهِ مِــنْ ذاتِــه فوجُــودُهُ لــولاهُ عــينُ مُحَــالِ

أحمد بن عجيبة، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ج1، ص: 153.

مذكورا كما كان قبل في عالم العلم غيبا. وخذ مثالا تقريبيا من بعض الوجوه لا من جميعها ولله المثل الأعلى بالثلج والماء وذاك أن الثلجة قبل بروزها للعيان، كانت معنى مستكنة في غيب الماء، ونريد بالماء أسرار الأسماء الإلهية كما تقدم، فإذا دعتها دواعي الظهور وظهرت ثلجة مشكلة منفصلة عن الماء صورة أطلق عليها، وأنها شيء منفصل عن الماء كما هو العيان، وهي كذلك شيء لكن بالماء لا بنفسها، ولمّا كانت شيئيتها بغيرها لم تكن في الحقيقةِ شيئان وإنمّا في الصورة فقط.

وأمّا في اللّغة فهي شيء بكونها محسوسة، وفي اصطلاح المتكلمين شيء أيضا لتحققها في الخارج وعند المحققين لا شيء لعدم قيامها بنفسها، ودليلهم أنك لو فصلتها عن الماء لم تبق لها شيئة، فالمحققون يرون الثلجة حين تشكلها بلون الثلجة، ولا يحجبهم تقييدها بالصورة عن الإطلاق الحقيقي ولا يحجبهم شفعية الماء بثلجيته عن وحدته الحقيقية، فتقول:ما ثمّ إلاّ ماء ولا شيء معه قبل ظهور الثلجة، وبعد ظهورها وإن كان مشهد الكمّل فوق مشهد المحققين.

فإن مشهد المحققين نصف مقام ومشهد الكمّل مقام كامل، لأنهم مع المحققين في تحقيقهم ومع عامة المحجوبين في مشهدهم لا يحجبهم مشهد عن مشهدٍ، وليس عرضنا ذكر مشهدهم فإذا فهمت ما ذكر من التبيان والمثال فهمت لا محالة قوله ﷺ:" كان الله ولا شيء معه"[1] لأن الأشياء قبل وجودها الخارجي كانت معدومة في نفسها لا وجود لها إلاّ في علمه جلّ جلاله، وبعد وجودها العيني هي أيضا موجودة به، لا بنفسها أيّ في نفسها عدم وبه تعالى وجوده جلّ وعلا أزلا وأبدا وجودا ذاتيا حقيقيا، ولا شيء معه لأنه ما من شيء يرى صورة أو يسمع أو يعقل، إلاّ وهو معدوم في نفسه والمعدوم لا تصّح منه المعيّة مع الموجود.

فإنّ المعية معناها المصاحبة، وهي تكون بين شيئين وجوديين، إمّا بين موجود ومعدوم فهي معية مجازية ونحن نتكلم على الحقيقة التي جاءتنا بها الشريعة

---

(1) أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، باب سورة البقرة، ج1، ص: 68.

لا الحقيقة العمياء الخارجة عن الشريعة، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] ولفظة هالك اسم فاعل لا يتقيد بالمضارع ولا بالماضي ولا بالحال، والهالك هو المعدوم في نفسه وقوله: "إِلَّا وَجْهَهُ" لك أن تقول إلاّ وجوده جلّ جلاله الذي قام به كل موجود، ولك أن تقول أسماؤه وصفاته التي قامت بأسرارها الأشياء. فالأشياء في نفسها عدم وبه موجودة، والمعدوم في نفسه لا يكون مصاحبا للموجود بنفسه. فالحقّ وحده قبل وجود الأشياء وبعد وجودها، وربمّا يقول القائل: " إن الله جلّ جلاله خاطب الأشياء في أزله وأبده، وهو أصدق القائلين بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.[2]

فالجواب أنّ الأشياء لمّا كانت معدومات في نفسها معلومات له، صحّ أن يكون هو معها معية علم وتدبير من حال إلى حال ومن طور إلى طور، إلى غاية ما أراده منها لظهور أحكامِهِ وأسمائه وصفاته، فهو معها في العلم بعلمه وفي التخصيص، فإرادته وفي عالم الظهور بقدرته، وفي بعض الأحوال برحمته وفي أخرى بقهريته، وهي لم تكن معه لأنها في نفسها لا وجود لها ولا علم حتّى تكون لها الوجود المستفاد ولولا المعية الإلهية مع الأشياء،لم يصّح لها إظهار كمعية الماء مع الثلجة فافهم على التنزيه اللائق.

تقريب وتدريب للعاشق اللبيب

إن أردت فافهم معناك ورقي علياك وخروجك عن قيد مبناك وخلاصك من أسر دعواك، فقل ما قال عالم البرهان لا تأثير بشيء من الكائنات في أثرها، ومن الأشياء ذاتك، فاحكم لها بأنها لا أثر لها من نفسها في حركة ولا إرادة ولا علم ولا سمع أو بصر ولا نطق.

فتجد بذوقك السليم وعلمك المستقيم قدرة فعاّلة ساريا فعلها في جميع أجزائك، فكانت في اليد بطشا، وفي الأذن والعين سمعا وبصرا وفي الرجل سعيا وفي القلب همّة وإرادة الخ. ثم انظر إلى روحك بنظر العلم الصّحيح، فتجدها شيئا

(1) سورة القصص، الآية: 88.

(2) سورة الحديد، الآية: 4.

لا تأثير له في أثرها، ما ثمّ إلاّ تلك القدرة الفعّالة، سرى أثرها فيها بحسب ما تحمل قابليتها من العلم والكشف والنورانية والتطّور والتوجّه والهمّة العالية إلى آخر ما هو من أوصاف الروحانية فيتحقق لك ذاتك الترابية، لا أثر لها في أثر ما وكذلك روحانيتك لا أثر لها في أثر ما.

وعليه فما في جبّة روحانيتك وجسمانيتك، إلاّ ذلك السرّ الفعّال ولولاه لم تكن شيئا مذكورا، وإذا نظرت في نفسك هذه النظرة فقد عرفتها، وإذا عرفتها فانظر جميع الأشياء من عرشها إلى فرشها بما نظرت به إلى نفسك، فيتحصل لك أنّ السرّ القائم بك هو القائم بها، فتقول بلسان حالك ومشهدك ما في جبّة الكون بأسره، إلاّ ذلك السرّ الفعال الفياض من عنصر القدرة عند علماء البرهان، أو تقول الفياض من عنصر اسم الجلالة الله والمعنى واحد، ولمّا حكم على الحلاج ﷺ[1]، هذا المشهد وتغلب بقهريته وسطوته على لطيفة عقله، التي هي زمام اللسان وسائر الأركان، فانقهر العقل وزال حكمه، وقال بلسان المشهد ما في الجبّة إلاّ الله على التقرير السابق، وهذه القولة لو قالها الإنسان مع بقاء عقله، تحكم الشريعة عليه إلاّ إذا كان على بيّنة من ربّه من تفصيل وتبيين يتنزّه اعتقاده به، فإذا خرج عن حكم عقله بسبب ما تجلى عليه، فإنه معذور، كما قال القائل:" وكل تكليف بشرط العقل". وقال الغوث التلمسانى ﷺ ورزقنا رضاه:

فلا تلم السّكران في حال سكره فقد وقع التكليف في سكرنا عنا[2]

فإذا عرفت نفسك والأشياء كلها بهذه المعرفة المقررة، فقد عرفت ربك بأنه فرد واحد في أزليته وأبديته، ولاشيء معه". ولنرجع إلى معنى الحديث فأقول وعلى الله أتوكل قوله عليه الصلاة والسلام:" كان الله ولا شيء معه"[3] أيّ الله

(1) أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج من أرض فارس من بلد يقال له بيضاء، هو إمام من أئمة الصوفية، وإليه ينتسب الحلاجية. وهو القائل (أنا الحق وما في الجبة سوى الله). الآلوسي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، تقديم: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، ط1981، ص: 4.

(2) أحمد الصاوي، بلغة السالك لأقرب المسالك، تح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1995، ج4، ص: 453.

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ط 1379هـ، ج =

موجود أزلا وأبدا، ولاشيء معه في أزليته وأبديته، على إن كان تامة، أمّا على كونها ماضوية فتقول:" كان الله قبل وجود الأشياء، ولم يكن شيء معه وهو الآن، أيّ بعد وجودها على ما عليه، كان من كونه لاشيء معه وإن كان لها وجود صوري ظاهر.

فهي في حدّ نفسها معدومة لأنّ الله وصف كل شيء بأنه هالك قبلا وبعدا، وإذا كان كذلك فالحق لم يزل وحده ولاشيء معه، ولا اعتبارا بظاهر التخطيط بل بباطن التحقيق وبوجه آخر، فتقول: الذي كان في الأزل هو الله، وهو مجموع الذات والأسماء ومقتضياتها، وهي الأشياء لكن بحكم البطون. والذي كان في الأبد أيضا هو الله وهو مجموع الذات والأسماء ومقتضياتها، لكن بحكم الظهور فالأزل عالم البطون وليس فيه إلاّ الله ومقتضياته، والأبد عالم الظهور وليس فيه إلاّ الله ومقتضياته.

فما في عالم البطون والظهور إلاّ هذا الاسم ومقتضياته، ولا فرق بين الأزل والأبد إلاّ بالبطونية والظهورية، فإنّ عالم البطون وعالم الظهور كمرآتين متقابلتين يوجد في كل منهما ما يوجد في الآخر، لكن في أحد المرآتين بحكم البطون وفي الأخرى بحكم الظهور". وتقول:" بوجه آخر الوجود وجودان وجود واجب وهو الحقّ جلّ جلاله ووجود جائز وهو لما سوى الله. فالوجود الواجب لاحظ فيه للمخلوق أبدأ وينحل الكلام على هذا إلى قولك:" الله موجود في الوجود الواجب ولاشيء معه في هذا الوجود الواجب لا في عالم في الأزل ولا في عالم الأبد"، أيّ على كون كان تامة وعلى كونها ماضوية فتقول:" كان الله قبل خلق الأشياء في وجوده الواجب ولاشيء معه في ذلك الوجود الوجوبي، وهو الآن بعد خلق الأشياء على ما عليه كان في وجوده الوجوبي ولاشيء معه. لأنّ الأشياء وإن وجدت فهي في مرتبة الوجود المجازي، لا تلحق الوجود الوجوبي أبدا.

واعلم أنّ الوجود المجازي وتقول الإضافي منزلته من الوجود الوجوبي منزلة الشعاع الفيّاض من عنصر النور الشمسي على الدائرة الكونية، فالنور الحقيقي هو قرص الشمس والنور الإضافي هو الضوء المنتشر منه، وهو المكنى عنه بالأثر،

-

6، ص: 289.

كما تقول الأشياء أثر الأسماء والأثر لا انفكاك له عن المؤثر، فزيد أثر الأسماء وفعله أثر الأسماء أيضا، والله خلقكم وما تعملون، فإذا نظرت بعين العقل وجدت الضوء المنتشر من قرص الشمس شيئا زائدا على قرص الشمس قائما بها.

ولا قيام له بنفسه، وإذا نظرت إليه بعين الكشف والتحقيق رأيت الضوء المنتشر من القرص عين نور القرص، لكن له قوة القبض والانتشار، وكذلك أثر الأسماء وهي الأشياء وأحوالها إذا نظرتها بعين التفصيل، رأيت الأثر عين المؤثر وإذا رأيت بعين الجمع وجدت الأثر ليس بشيء زائد على المؤثر كالقيام، هو فعل القائم وصفة من صفاته، لكنه ليس بشيء زائد على زيد القائم فافهم.

وإن تحيّرت فارجع إلى قوله جلّ وعلا في الأثر القدسي:" فإذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره"[1] وفي رواية "فإذا أحببته كنته". بالمعنى وصاحب هذه المرتبة يرى الأمواج عين البحر والبحر عين الأمواج، فيقول:" البحر موجود ولاشيء معه، مع أنّ البحر لا بد له من أمواج، لكنها ليست بزائدة عليه. يريد أن البحر كناية عن الماء وتموجاته، فمجموع الماء والموج هو البحر فافهم وهذا مما يختص بإدراكه رجال اصطفاهم الحق لحضرته واختطفهم عنهم وأدخلهم حريم حضرته، فكانوا بأبصارهم يرون حقا وخلقا وببصائر أسرارهم لا يرون إلاّ حقا متجليا في مجالي أسمائه وصفاته، ولا غير كما قال قائلهم:

مذ عرفت الإله لم أر غير ... وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا ... فأنا اليوم واصل مجموع

وهذا القدر الذي تكلمت فيه معك هو بلسان الخاصة على قانون العقل النوراني والفكر الرباني، وفوق ذلك مما لا تحمله العقول من علوم خاصة الخاصة على قانون الإدراك العياني بالبصر الروحاني الموافق للنور الإيماني والشرع المحمدي الرباني، ولا يُدرَك إلاّ بالمشافهة عند صحة القابلية وإعطاء شروط الوفاء أو يدرك بالنفث الروحاني في قلب سماوي وسرّ صمداني.

---

(1) محمد علي الشوكاني، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، تح: محمد صبحي حسن الحلاق، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، اليمن، ط1990. ص: 47.

قد ترقت عن كل وصف ومعنى وتعالت بأوج كنز الأماني
وتدلت بصولة الحسن عنا إذ تبدت بصورة ومعاني
فاختفينا عند الظهور وغبنا في ضياها من فرط قهر العياني
عدنا ماء في بحر لما ذنبا عندما اشرقت بكل مكان
أين للكون من مكان وأينا ذهب الكلّ في تيار التداني
لولا نور الرسول بالحان عنا خبرا يتلى في دروس الزمان
لما طاف بكأسه المحي عنا فانتعشنا بلطف روح يماني
كم سقانا من طيبة فسكرنا وأحيانا بنظرة الإحسان
وحبانا بإذنه فشكرنا ودعونا بحكمة وبيان
أجابت أقوام لها القرب منّا يوم عهد بالعالم الروحاني
نحن حزب الجمال لا خوف عنا بضمان من سيد الأكوان
شمل الكلّ منا خلا وإبنا بعطاء من ساحة الامتنان
لنا فضل الكريم ثوب علينا هكذا قيل للفقير العاني
في زمان الشباب منه سمعنا فكتمنا لفرصة الإبان
لديه الكريمتين بايعنا وأخذنا عهودها للأمان

ورضي الله عن مشايخنا الكرام ورزقنا رضاهم التام محمد بن سليمان سلمه الله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله آمين. سنة 1341هـ أوائل ذي الحجة تأليفا.[1]

(1) وأعاد نسخها عبد القادر المدعو أبي شراك.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلَّ الله على الحبيب المحبوب

دستور يا مولانا قدور، دستور يا مولانا رسول الله

عن إذن ولدنا شيخنا أبي المواهب سيدنا محمد ابن الغوث الأكبر مولانا قدور ابن سليمان رضي الله عنهما، ورزقنا في الدارين رضاهما آمين. إلى حبيبنا في الله ورسوله ﷺ ولي الله تعالى المقدم سيدي محمد القلعي وصنوه سيدي الحاج بالقاسم وإمام الزاوية سيدي بالقاسم، وجميع فقراء وهران، أيدكم الله وحفظكم، وبكل خير منحكم، ومن كل فتنة وبلية أنقذكم وسلام السلام يعمّ منكم، كل صغير وكبير، وذكر وأنثى منسجما على الجميع بفيوضات الأنوار المحمدية التي تنتعش بها القلوب والقوالب، بالأقوال والأفعال والأحوال المرضية المثمرة بعلوم القرب من الحضرتين الذي لا يبقى معه شبهة ولا بين ولا اثنينية، ولا أين لإحاطة جمال السعي بكل عين آمين.

هذا وإن أحبابكم سادات بوصفر وبعض فقراء وهران الذين من جملتهم المحبّ الصّادق سيدي قادة موسى، قدموا إلينا في روح وريحان وروح همّة، وإيقان سقاة، هداة مجلاة للقلوب والقوالب، كما قيل: بلى شموس لهم في الكون أنوار

تذييل:

كأنكم في عيون الناس أقمار

رضى الكريم عنهم في كل أحواله	نعم الكرام لهم في السكر أسرار
طويت أرواحهم بحبّ محبوبهم	فهم به في الورى سقاة أمطار

وبلغونا أولئك الكرام سلامكم ونابوا في الزيارة عن جميعكم، ولكم إن شاء الله مثل أجرهم وسرهم ونورهم، لأنّ المرء مع من أحب، ولا شكّ أنكم كنتم معهم ومعنا بقلوبكم، والعبرة بحضور القلوب، لكن عند التعذر وإلاّ فالجمع أولى، واعلم بأنّ الرضى يخصّ من حضر، والسلام من جميعنا على جميعكم كلّ واحد

بخصوصه لكونكم صرتم كلكم خواصا، بالإضافة المحمدية، فجزا الله الحضرة القدورية عن الجميع خيرا يناسب قدرها ومقدارها ففي ذلك المحضر الكريم، وبلّغوا سلامنا بالخصوص سيدي الحبيب البخاري، وسيدي الحبيب بن عبد المالك، وسيدي أحمد بن أحسن، وجميع من له قلب حسن ولا حسن إلاّ بمحبّة الله وأهل الله، وتعظيم الجميع والتسليم قلبا وقالبا، وعيدكم مبارك معاد عليكم بنفحات الكريم، وتوالي النوال العظيم في كل حين آمين.

وعظّم الله أجر الجميع في البركة الولي الصالح سيدي الشيخ رحمه الله وقدّس روحه وسرّه بالرأي التام من ذلك الجمال والجوار، بحضرة النبي المختار، حذو مشايخه الكبار ﷺ وعنهم ورزقنا رضى الجميع، وعليكم السلام من خديمكم على الدّوام **محمد بن سليمان** وصلى الله على الحبيب المحبوب.

وأمّا ما وقع من النفحات في هذا العيد فيخبركم به الأحباب في الذي حضروا له، وكان جاء قبلهم وفد أولاد ساعد في رجال كبار، وعدد كبير ومدد غزير وعيدّوا بالضريح القدوري، زادهم الله وزادكم أنوارا وحياة وعزيمة آمين. وفيما قرب إن شاء الله يأت وفد أولاد خلوف وما ولاهم من الأعراش، رزقنا الله وإياكم بركة الجميع والسلام ختام.[1]

(1) نسخت مباشرة من خط صاحبها، وكانت إعادة النسخة يوم الاثنين 29 جمادى الثاني عام 1417هـ الموافق ل 11 نوفمبر سنة 1996 مسيحية والسلام. وأعاد نسخها عبد القادر المدعو أبي شراك.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلِّ الله على الحبيب المحبوب

دستور يا مولانا قدور، دستور يا مولانا رسول الله

عن إذن وولدننا شيخنا أبي المواهب سيدنا محمد ابن الغوث الأكبر مولانا قدور ابن سليمان رضي الله عنهما، ورزقنا في الدارين رضاهما آمين. إلى أحبابنا في الله ورسوله ﷺ فقراء وهران حفظكم الله من نوائب الزمان، وجعلكم من أهل المشاهدة والعيان، وسلام الله السلام على كل فرد فرد منكم طائفا على القلوب والقوالب، بكأسات[1] الجمال وفيوض النوال، ودفع كل محنة وجلال، حتّى تكونوا حسًّا، ومعنى على أحسن حال وأكمل منوال وأحسن الأحوال، هو أن تكونوا في جميع أقوالكم وأفعالكم على سنن الشريعة المحمدية، وفي جميع أحوالكم وتوجهاتكم على مقتضى الطريقة الصّافية، من إخلاص الكلية لله بالتوّجه المستمر إليه، وفي محاضرتكم ومشاهدتكم ومحادثتكم على منوال شهود السرّ اللاهوتي المكنون بالقالب الناسوتي، وهو الحضرة الآدمية الجامعة لمفترقات الوجود من عرشه إلا فرشه، حتى تكونوا في جميع أحوالكم وأحيانكم ومخاطباتكم ومجالساتكم من السرّ للسرّ، مع السرّ في السرّ. فتكونون من رجالهم في الكون بأجسامهم، وهم مع الله بالقلوب والأرواح والأسرار.

ولهذا تصدرت المشايخ رضي الله عنهم يدعون الناس ويحرصون، وعلى هذا أقاموا في الزوايا ودخلوا الخلوات، وساحوا عن الأهل والعشائر والأولاد والبنات. هذا وقد أتينا أخ الجميع، بل ولد الجميع المحبّ النوراني سيدي قدور بن علو، وبلغنا سلامكم وأثنى عليكم وجمع لكم خمورا من اللدن القدوري المحمدي. وها هو آتيكم بحلّة الزيارة مكسوا بأنوارها، مصبوغا بأسرارها له ولكل واحد منكم مثله. كما

(1) لعلّ الأصل هو: بكؤوس

ورد عن النبي ﷺ أنه قال:" مَنْ عَانَقَ حَاجًا أَوْ مُعْتَمِرًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ"[1]. [ورقة:2]

وهكذا من عانق زائرا والسلام على كلكم من جميع الأحبّة، وكونوا إخواننا على عكوف الهمّة بالحضرة العلية لشهود سرّها في كلّ شيء، حتّى لا تكونوا من الغافلين، وأيضا حطّوا جميع حوائجكم ومقاصدكم بالباب المحمدي، بتشخيص صورته وملاحظة سريان أنواره في جميع الموجودات الغيبية والشاهدية. وإنه ﷺ الوسيلة العظمى الواسطة الكبرى والبرزخية الأولى بين الحقّ والخلق، في كل مدد ونور وسرّ وعطاء حسيّ أو معنوي، إذ شفاعته الأولى كان الوجود، وظهر من الغيب لعالم الشهود، ثمّ شفاعته الثانية آمن من آمن، ثمّ شفاعته الثالثة عمل من عمل، ثمّ شفاعته الرابعة كان من كان، من ثمّ تعددت مراتب كلّ مرتبة من مراتب الشفاعة على عدد التفاريع الكونية.

فإنّ كل مرتبة فيها من الألوف التي لا نهاية لها، وبقيت شفاعات مع الأنفاس، بها ينجو من ينجو من ربقات النفس والشيطان، وشفاعات عند الاحتضار، وفي القبر والبرزخ، ثم الشفاعة الكبرى المشهودة للعام والخاص هي مدخرة لأهل الكبائر يوم القيامة، ثمّ في النار بعد خوض الطباق، ثمّ شفاعات خفيات لما وراء ما ذكر.

فلمّا كان هو ﷺ المفتاح لكل خير حساً ومعنىً، دنيا وأخرى، وجبت التعلق به والانحياش الكلي إليه، والاستغراق في محبّته ومحبّة آله، وورثته وأتباعه، لأنّ محبّة حبيب الحبيب واجبة، إلاّ أنه لا بد من تعليم آداب المحبّة والتعلق والمجالسة والمحاضرة على يد رجالها، وهذا الأمر يقوم ظاهر القدوة، حقيقة أو ظاهرها مجازا وهو أحبّته. وأمّا همّته الباطنة فإنها الرفرف الطيار بالقلوب والأسرار، والمغناطيس الجذاب لمحاضر الاقتراب، في حضرة الله وحضرة رسوله ﷺ.

وزيدوا أخواننا [ورقة:3]فيما أنتم عليه من الجدّ والعمارة، وتكسب جهدكم من الأخلاق المحمدية التي هي الآداب الظاهرة من الصّمت واللين وعد الخوض

---

(1) ابن الملقن، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، تح: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2004، ج9، ص: 75.

في القيل والقال وغض الطرف عن عثرات بعضكم بعضا، وستر مساوئ بعضكم بعضا، ونصحية بعضكم بعضا، وتحريض بعضكم بعضا على ما يقربكم من الله، وتنفير بعضكم بعضا ممّا يبعد عن الله.

فالحكمة والموعظة الحسنة وإخفاء النصيحة، وجامع الآداب الباطنة، هو التعظيم والاحترام لجناب بعضكم بعضا. وأن يشاهد الفقير أخاه مظهراً سرّ قدوته ونبّيه ﷺ، وأن يوقرّ الصغير الكبير، ويرحم الكبير الصغير، ولا يزال الفقراء والمؤمنون بخير ما داموا على هذه الخلق، والله يوفقنا وإياكم لما يحبّه ويرضاه. آمين. وسلمّوا منا على الشيخ القاضي وسيدي الحبيب بن عبد المالك وجميع الأحبّة وإننا جميعا بخير وعافية في النفس والأهل والأحبّة والذرية والزاوية وعمّارها، ولا تنسونا من رسائلكم وعليكم السلام. من خديمكم على الدوام محمد بن سليمان، وصلى الله على الحبيب المحبوب صلاة نرجو بها المدام وسرّ الانفطام. آمين.[1]

---

(1) نسخت مباشرة من خط صاحبها العارف بالله سيدي محمد بن سليمان الندرومي تلميذ سيدي قدور المستغانمي بتاريخ يوم الأحد 03 ملرس1996. وأعاد نسخها عبد القادر المدعو أبي شراك.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العلامة الجليل الشيخ ابن قارة[1] مصطفى عبد القادر مفتي مستغانم ﷺ:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه، وبعد: فقد ورد عليّ سؤال من حضرة الفقيه الوجيه الأجل والأخ في الله الصالح الأمثل سيدي بن عودة بن إسماعيل إمام مسجد زاوية شيخنا سيدنا ابن عبد الله قدّس سرّه بغليزان، مضمونه بالاختصار السؤال عن قضية بعث الشيخ سيدنا محمد الموسوم ﷺ تلميذه سيدي قدور بن سليمان إلى العلامة سيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران رحمه الله مقدم الطريقة التجانية، ليأخذ عنه ورد الطريقة التجانية عن إذن نبوي فأخذه عنه وأتى إلى شيخه المذكور ولقّنه له شيخه سيدنا محمد الموسوم ﷺ، وقال له "خذها عني الآن سلوكا لا تبركا حسبما ذكره سيدي محمد بن سليمان قدّس سرّه، هل ذلك واقع مسموع عنكم أم لا؟

فالجواب نعم هو واقع مسموع عندنا على لسان الشيخ سيدي قدور رحمه الله وﷺ، وما ذكره في القضية من توقف سيدي عليّ أولا الخ. فذلك مراعاة منه للشرط المعهود عند الأصحاب من الانسلاخ، ولمّا أمعن النظر وظهر له صحّة الأمر، وإضافته للنبيّ ﷺ مع علوّ السند وثقة الناقل أجابه لمطلوبه ورأى بعضه بعضا كما هو مقرر في محلّه.

وما ذكر من معاتبة العلامة سيدي العربي بن السّايح له على ذلك. فذلك وقوف منه أيضا مع المعهود في ذلك عند الأصحاب ولو فصلت له القضية أيضا، مع المعهود في ذلك عند الأصحاب ولو فصلت له القضية وأحاط بأحوالها علما، وعلم مكانة الشيخ محمد الموسوم ﷺ من مقام المعرفة بالله والوصلة بسيدنا

---

(1) مصطفى بن قارة(1279 - 1376هـ/1862 - 1956م): وتكتب أحيانا هكذا " قارة" و" قارى" و" قارا" غير أن الرسم الأول هو الصحيح، وهي الكتابة التي يكتبها الشيخ بها جميع رسائله. وقد سبق التعريف به، انظر ص: 4.

رسول الله ﷺ، لأجاب لذلك والتمس له مخرجا كما فعل سيدي علي.

هذا هو الظن به، لأنه رجل من أهل العلم والمعرفة والإنصاف، كما يشهد لذلك كلامه في مؤلفه، رحمه الله ورضي عنه. فقد أجاب هو "وأول كلام بعض الأصحاب الذي وقع عليه اعتراض ممن لم يحط بمدركه علما، والشيخ سيدي محمد الموسوم ﷺ، ممن كانت له الوصلة التّامة برسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وكان يقول:" لو غاب عني رسول الله ﷺ ساعة متّ في الحين" نحو ما قال الشيخ المرسي ﷺ أجمعين.

وقد أدرك من مقامات الولاية أعلاها، وهي القطبانية العظمى التي بايعه عليها أهل السموات والأرض، كما صرّح ﷺ بذلك في قصيدته العينية بقوله:

طـويت شـفعي فـي وتـري والوجـود لـي بايـع

وقد حضر هذه المبايعة وبيّن كيفيتها تلميذه ووارث سرّه الشيخ سيدي قدور قدّس سرّه، قال ﷺ:" كانت روحي تذهب إلى حضرة شيخي سيدي محمد الموسوم ﷺ، وتأتيني منه بلطائف المعارف وجسدي في بيتي بمستغانم، وذلك قبل اجتماعي به بشبحي بسنة، فلمّا دخل رتبة القطبانية وبويع عليها حضرت روحي ذلك المشهد، فرأيت الشيخ ﷺ على شيء مرتفع على متن القدرة ماداً يديه للمبايعة والأرواح تتنزل عليه من أعلى وتتصاعد إليه من أسفل، حتّى تمّ الأمر فكنت ممن حضر ذلك المشهد وبايعه فيه، فلمّا تمّت سنة ذهبت إليه واجتمعت به، وكان ممّا قال لي:" قد بشرني الحقّ بك البارحة وقيل لي قد وقع في شبكتك طائر لم يقع في شبكة أحد من الأولياء قبلك" أو كلاما لمعناه.

ثمّ وقفت بعد ذلك على كلام الشيخ الأكبر سيدي ابن عربي ﷺ في صفة المبايعة بنحو ما ذكر عن شيخنا الموسوم ﷺ، ونصّه" قد جرت السنّة الإلهية في القطب إذا ولي المقام، أن يقوم في مجلس من مجالس القرب والتمكين، وينصبّ له فيه تخت عظيم لو نظر الخلق إلى بهائه لطاشت عقولهم فيقعد عليه ويقف بين يديه الإمامان، ويمدّ يديه للمبايعة، وتؤمر الأرواح الملكية والجنّ والبشر الروحاني، بمبايعة واحدٍ بعد واحد، ولا يبايعه إلاّ الأرواح المطّهرة المقربة، ومن جملة

المبايعين له النباتات".[1] نقله الشيخ العلامة سيدي العربي بن السّايح في شرحه بغية المستفيد على منية المريد. وقوله:" تَخْت[2] هو بفتح التاء المثناة وإسكان الخاء المعجمة، قال في القاموس هو وعاء توضع فيه الثياب ونحوها".[3] فيشبّه أنّ يكون مثل الصندوق له باطن، توضع فيه الثياب وله سطح بسيط، بحيث يمكن الجلوس عليه والله تعالى أعلم.

فقد بان من ذلك صحّة وقوع القضية المسؤول عنها مع ذكر شيء ممّا اقتضاه الحال من الكلام عليها، كما نومئ على بعض فوائدها العرفانية ومنحها الربانية منها زيادة التنويه بالطريقة التجانية وصاحبها ﷺ، حيث أمر الشيخ الموسوم ﷺ بالاندراج فيها والاقتباس من أنوارها والانتساب إلى صاحبها مع جلالة الشيخ الموسوم وحصوله على المرتبة العليا من مراتب الولاية التي بايعه فيها الوجود بأسره كما تقدم، ومنها الاعتناء النبوي بالشيخ الموسوم قدّس سرّه وطلب الزيادة له والتوسّع في ميادين المعارف وأن يضمّ إليه ما عند غيره حتّى يكون أمة واحدة.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4] وممّا يناسب ذكره هنا ما حكاه لي الشيخ سيدي قدور ﷺ في شأن العارف الكبير والقطب الشهير سيدي محمد السنوسي صاحب الجبل الأخضر ﷺ، " أنه جمع من العلوم وما لم يجتمع لغيره في وقته وسبب ذلك كانت له الوصلة التّامة المستدامة برسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وكان إذا قربت وفاة عالم وعنده فن من فنون العلوم الشرعية التي لم تكن عند الشيخ المذكور أخبره بقرب وفاته، وأمره أن يذهب إليه ويأخذ ما عنده قبل موته".

فانظر يا أخي إلى اعتنائه صلى الله عليه وآله وسلم بأمته وحفظ شريعته

---

(1) محمد الموسوم، رسائل الشيخ محمد الموسوم، مخطوط خزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، إمام مسجد الشريفية وهران. الجزائر.

(2) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار صادر، بيروت، ص: 190.

(3) الشيخ العربي بن السّايح، شرحه بغية المستفيد على منية المريد، مخطوط خاص، خزانة أبي عبد الله شراك، إمام مسجد الشريفية وهران. الجزائر، ورقة: 12.

(4) سورة طه، ص: 114.

ومسايرته لهم واتصاله بهم في جميع أطوارهم وأحوالهم جزاه الله عنا أفضل ما جزى نبينا عن أمته وأحيانا وأماتنا وبعثنا على ملته وحشرنا في زمرته آمين يا ربّ العالمين.

ومنها جواز اجتماع طريقين فأكثر لرجل واحد رغبة في الخير وتوسّعه لدائرة الفضل الإلهي، والله ذو الفضل العظيم. فإنّ كل طريق تمدّ أصحابها نجاحها وتخلع عليهم من حللها وتفيض عليهم من عنصرها الفياض من العنصر الأعظم عنصر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومجد وعظم.

وفي خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر في ترجمة الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد أبي الفيض المعروف بابن قضيب البان يتصل نسبه بسيدي أبي عبد الله بن الحسين قضيب البان الموصلي الولي المشهور" أنّ شيخ الإسلام سيدي يحي بن زكريا ﷺ بايعه على الطرق الثلاثة النقشبندية والقادرية والخلوتية، ثمّ ردّه إلى النقشبندية، وأمره بالاشتغال بالذكر القلبي".

وقد صرّح شيخنا سيدي قدور قدّس سرّه بجمعه بين الطريقين بقوله في قصيدته الميمية:

جمعت سرّ الإذنين عن سيد الثقلين
أذنت في الطريقين تجاني وموسومي

وما أحسن ما قيل:

النحل لمّا جنى من كل فاكهة حوى لنا جوهرين الشمع والعسلا
فالشّمع نور مضيء يستضاء به والعسل يبرئ الأسقام والعللا

هذا ما يسرّه الله تعالى في جواب المسألة سائلا من الله التوفيق والعفو والعافية، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. وبه أخوكم ومحبّكم في الله ابن قارة مصطفى عبد القادر مفتي مستغانم، كان الله له ولأحبته بالعفو والعافية وحسن الخواتم. 8 جمادى الثانية 1362هـ موافقا 12 جوان 1943م.[1]

(1) نقله بيده الفانية أبو عبد الله شراك بن الحاج بتاريخ 12 شعبان 1420هـ الموافق 20 نوفمبر 1999م.

رسالة من الفقيه الحاج أحمد سكيرج رحمه الله لمفتي مدينة مستغانم الجزائرية السيد عبد القادر مصطفى بن قارة[1]

الحمد لله وحده

حفظ الله بمنه مجادة الفاضل الأمجد، الكوكب الأسعد، مفتي الحضرة المستغانمية، الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وتحياته وزكواته عن مدد مولانا رسول الله ﷺ، وبعد فقد حلّ سيدي رقيمكم الكريم، فقرأته والعين تدمع دمعة سرور وفرح.

غلب السرور علي حتى أنني من فرط ما قد سرني أبكاني أذكرني سويعة أنس جاد الزمان بها بالاجتماع بكم، فجعلته فوق رأسي تنويها بقدر كاتبه، وسجدت لله شكرا على ما منحني من صدق إخائكم ومحبتكم، فتلك نعمة علي أقدر قدرها بالاعتبار، وإن كنت لا أقدر قدرها ولو أطلت في شكرها في الإقبال والإدبار.

أمّا وحقك أيها الأخ في الله ما نسيت تلك اللويلة التي لم يسمح لي الزمان بمثلها معكم، فكانت عندي ليلة مباركة، والواسطية فيها هو الحبيب الحبيب دام حفظه، فلقد عرفني بكم وبالبدور الثلاثة الحالين حلول الشمس في الشرف لدينا، أبي المفاخر الكريتلي[2] وأبي المواهب ابن

---

(1) قد سبق التعريف به.

(2) العارف بالله محمد الحرّاق الكريتلي، التركي أصلا، المستغانمي الشاذلي مشرباً وطريقة، توفي سنة 1922م. وقد ذكره: " فهو المفتوح عليه في عصره والملحوظ بعين الاحترام في عصره، ونال في دنياه أوفر نصيب، وفي آخره يرجى له أرفع مقام بصدق محبّته في النبيّ الحبيب عليه السلام، ألا وهو أبو الفتوحات العارف بالله سيدي محمد الحراق بن كريتلي". أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، الرحلة الحبيبية في ذكر الطائفة الرضوانية، مطبوع طبعة حجرية، المغرب. د. ت.ط، ص: 38. انظر: عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها عبر العصور تاريخيا وثقافيا وفنيا، المطبعة العلاوية، =

باهي[1] والحاج بن عيسى[2]، فأنتم أيها السادات محلّ الفضل وعدن الخير، دمتم في هناء تام، وعليكم مني أتم السلام، وإني اشكر حضرة الشيخ المفتوح عليه بما منح من حسن التعبير في الأقران، سيدي محمد بن قدور بن سليمان، حيث كتب لكم معلما بتوليتي خطة القضاء[3]. والله يلطف بنا فيما جرى به القضاء، فكان هذا السيد هو المحرك للطيفة الودّ القلبي.

=

مستغانم. ط1996، ص:59.

(1) قاضي مستغانم العلامة الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد بن باهي، وهو من خاصة المقدمين في الطريقة التجانية، كان حيا في أوائل القرن. وقد قال في حقه أحمد بن الحاج العياشي سكيرج أبياتا منها:

ويا أيها القاضي محمد الرضى ابن	باهي الذي قد نال كل المكارم
لقد كنت مشتاقا لرؤيتك التي	بها نلت في الدارين كلّ الغنائم

أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، الرحلة الحبيبية في ذكر اللطائف الوهرانية، ص: 39. انظر: عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها، ص: 95.

(2) الحاج محمد بن عيسى: من أهل الرسوخ والعرفان، شاذلي الطريقة له محبة تامة في سائر الأولياء، مكث زمنا طويلا بزاوية الشيخ ابن تكوك إلى بداية القرن (1913م)، وهو الذي كتب مقدمة " إيقاظ الوسنان" للشيخ محمد بن علي السنوسي. حيث يظهر علمه الشامل بأسرار اللغة العربية وإطلاعه بالفقه. وقد حلاه ابن أحمد بن الحاج العياشي سكيرج بأبيات منها: ويقول ما شهدت في زمني أمرا مثل ابن قارة وابن عيسى السامي

أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، الرحلة الحبيبية في ذكر اللطائف الوهرانية، ص: 40. انظر: عبد القادر بن عيسى المستغانمي، مستغانم وأحوازها، ص: 97.

(3) يقول أحمد بن الحاج العياشي سكيرج العياشي: " ثم انتقلت من النظارة إلى خطة القضاء بمدينة وجدة، فقضيت ثلاثة أعوام في تلك المدينة حتّى مللت القضاء بها، حيث لم أجد بها معينا على تأييد الحقّ، مع برودة الهمم، وتكاسل الناس عن طلب العلم، وتقاعد جلهم عن العمل، فاستعفيت من هذه الخطة الحضرة الشريفة بواسطة وزير العدلية أبي شعيب الدكالي، وقدمت له قصيدة منها:

إنّ القضاء قضى عليّ بوجدة	يا ليت وجدة أو أنا لم توجد
قد ضاع علمي إن أطلت إقامتي	من بينهم فتلاف ذا التلف الردي

أحمد أحمد بن الحاج العياشي سكيرج العياشي، حديقة أنسي بالتعرف بنفسي، تح: محمد الراضي كنون، ص: 38.

لقد كان كتب إليّ بأنكم كنتم أخبرتموه بحلولنا بمستغانم زمن زيارتي لها، وأنه من ذلك الوقت وهو متشوق للاجتماع بنا، ولقد أجبته عن كتابه إلي بجواب سمّيته:" **عقد المرجان الموجه إلى سيدي محمد بن سليمان**"[1]، وأحلته فيه على جوابي لرسالته التي وجّهها لسيدي الأخضر الجبلي التجاني بندرومة، وسميته تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح فيها طول الزمان، ولا يصّح أخذها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان.

ولقد تكلمت في هذا الجواب بلسان الطريق من غير أن نأتي بأدنى ما يمس بهضم جانب هذا السيد الفاضل، إلاّ أنني نصحته غاية بأن يكتفي بما عنده من الإذن في خاصة نفسه، ويلقن غير الطريقة التجانية لمن طلبها منه، أمّا الطريقة التجانية وإن حصل له الإذن فليكتف بها في خاصة نفسه حتّى لا يتعرّض أحد للاعتراض عليه فيما قام به من الدّعاء إلى الله، وقد بينت الجواب على أساس متين، ولا يخفى عليك أيها الأخ: زماننا ما هو ومن هم أهله، والتظاهر بمثل ما تظاهر به سيدي محمد بن سليمان يؤدي إلى سرعة الاعتراض عليه والنكير من القاصرين، وليت شعري كيف حال من يجتمع بالنبي ﷺ في هذا الوقت ويصرّح به، والأجانب تسمع هذا وتعده من قلة عقل المسلمين.

فالأولى هو كتم مثل هذا الأمر، والذي اعتقده في هذا السيد الفاضل أنه رجل من أصحاب الدلال والجمال، الذين ذاقوا ذوق الرجال. وأعطي لسان التعبير، ولكن رغم انبساطه في هذا البساط لم ينظر إلى مزية غيره من أهل الغيرة الربانية أوالنفسانية، ولقد شممت منه رائحة حبّ الاستيلاء على القلوب بعباراته المعسولة الممزوجة بسحر الوعد وعظيم الوعيد، وما أظن علماء الظاهر في وقتنا هذا يلتفتون لمثل هذا الأمر، بل يتهمون من تظاهر به ولو بلغ ما بلغ في الرشد والإرشاد، وعلت رتبته فوق غيره من العباد.

ولقد منّ الله عليّ أيها الأخ بما لو ذكرته للغير لكذبني في الحين، بما لا أذكره خشية تعجيل العقوبة على يدي للغير، ولم أصدق نفسي في الأمر حتّى تحقق

---

(1) قد ذكرناه آنفا.

فيمن نظرته ممن أخبرته واستكتمته فلم يكتم، والذي أصرح به لك أيها الأخ أنه من الألطاف الإلهية في اشتغالي بالخدمة المخزنية نعمة من المولى، حيث حجبتني عن الدعوى، وإلا كنت في أول القائمين بما قام به سيدي محمد بن سليمان.

وقد حصل لي التهديد بالتصريح بما صرح به فلم أقبل، وحفظني الله من هذا الداء العضال، الذي من تحكم فيه يرى لنفسه المزية والخصوصية على غيره. وأنشدتك أيها الأخ كيف تفهم من حال من يتنازل كثيرا عن مرتبته بما يثير فيه من حبّ الظهور، تبعا لهوى نفساني، فلا وربك لا يليق إلا رفع علم الخصوصية، ويصرّح على رؤوس الأشهاد بأنه أولى منه بهذا الأمر دفعا لما يتوهم، وبيانا لما هو أعظم وأفخم، لذلك تعين عليّ أن أبيّن لك أنّ سيدي "محمد بن سليمان" ذكر لي في كتابه أنك قلت له: لي ليت سكيرج لو اجتمع بك، فهذا الكلام لو قلته له كان من حقه أن ينزل في الجملة ويقول: "ليتني لو اجتمعت بسكيرج، فهذا هو الحال المناسب للتواضع، ولكن مقام الدلال الذي حلّ به فيما اعتقد لا يرى معه خصوصية لغيره".

ولقد زدت استعجابا من قولكم أيها الأخ في وصف هذا السيد بأنه عارف وقته، فهل في الحقيقة أنّ هذا السيد ليس في الوقت عارف مثله، فو الله إنا لنعلم ونعرف من يجتمع بالنبي ﷺ، ولله لطيفة ربانية يرى بها الحضرة لمن شاء، ولا يدعي المعرفة، ووقتنا هذا فيه عارفون مستترون تحت سوء الظن، ولمراتبهم غيرة على من نسب الخصوصية لغيرهم وهي لهم.

فكن عند الظّن بك معطيا للمراتب حقها، وأنت بنفسك أهل رتبة لا تسمح لك ولا لغيرك أن يحوم حولها من ليس منها، أو يريد الاستيلاء عليها، فالله يجازيك خيرا على حسن ظنك بأهل المزية، ويكافيك على ما تعتقده في هذا السيد، ولكن نحبك أن تعتقد فينا أننا من عبيد الحضرة فيه لله، وقد تكلمت معك في هذا الأمر على وجه السر لتخبر سيدي "محمد بن سليمان" أنني من المحبين فيه لله، وقد كفاني الله عن كلّ أمر يحاول، أن يعلمني به، فإني تجاني محض مصدق لأهل الله معتقد فيهم، يكاشفني الله بمحض الفضل عن المحقّ من المبطل منهم، ومع ذلك ما عليّ إلاّ في أخوين في الله، وغض الطرف إن رأيت ما يحرك خيطا معلقا في

الهوى بهوى، ونحن على العهد نرعى الذمام، وعلى المحبّة والسلام. أحمد سكيرج تراب نعل الأولياء.[1]

(1) كان الفراغ من نسخها يوم: 3ربيع الثاني 1338هـ

ختمية الأنوار المحمدية النبهانية

مختصر المواهب اللدنية القسطلانية

للعبد الفقير سيدي عبد القادر بن قارة مصطفى

مفتي مستغانم – رحمه الله –



وصلِّ الله على سيدنا محمد

لك الحمد ربي كل حين يجدد ... كما أنت أهله فليس له حد

صلاة وتسليما على خير من دعا ... لتوحيدك الأنسى الرسول محمد

وآله والصّحب الكرام ومن غدا ... بملته الغرا يدين ويشهد

وبعد فهذي روضة قد تشعشعت ... بنور مواهب أذاعها أحمد

وقد زادها الصوغ اليوسفي لطافة ... ففاقت عقود الدر حين ينضد

وأشرقت النوار منها على الورى ... وفاح عليهم من أطيابها ند

لما قد حوت من سيرة قد تضمنت ... لأحوال خير الرسل من حين يوجد

عليك بها فاشرب كؤوس عتيقها ... ففيها حياة للقلوب تأبد

فإن شئت فاصطبح وإن شئت فاغتبق ... يوافيك في الحالين منها عوائد

ففي الذكر لاسم الحبّ إحضار ذاته ... وفي ذاته الغرا مناك وأزيد

ودونك نزرا من جناها الذي حوت ... يكون لما فيها كرمز يساعد

فأول ما الإله أبدى تنزلا ... لحضرة خلق نوره الموقد

وأودع فيه كلّ معنى أراده ... ليظهر عنه حيث شاء ويوجد

وأصله لكون كلّ حقيقة ... كمثل نواة النخل للطلع ينضد

وتوجه تاج النبوءة أولا ... وآدم بين الروح والشبح يرصد

وزاحم وساهم من غدا لها وافدا ... فقد نصبت للوافدين موائد

وتابع ودافع كل عذل ممانع ... ولازم حماها تعل شأنا وتسعد

وسامر بها المحبوب واغنم رياضه ... وروح فوائدا من جواه يوقد

وقدر حضوره وخيل نعوته ... تنل منه وصلا واستئناسا يودد

وتزدد له حبا ولهجا بذكره ... تودّ إذا انقضى حديث يعاود

وتجري لك الأمداد منه تفضلا ... فتنشط للتقوى وحالك يحمد

فكان الذي قد كان منه بروحه ... وكل زمان من سمّاه له سعد

ولما تكاملت عصورتنا سقت ... وأضحى بها حقّ الغيوب ينفد

بدا للوجود منه طالع سعده ... بشبح وروح لامعا يتوقد

فتمّ به للكون أعذب مشرب ... وثمّ له صحو وتمّ له مجد

وكم آية بدت بليلة وضعه ... ومنها لشهود الحور إذ هو يولد

وضاءت له الأنوار من كل جانب ... وجاءت له الوحوش بالبشر تافد

وشق له صدر وأخرج مضغة ... وأودع سرا شأنه يتماجد

وشبّ بأثواب المكارم رافلا ... وآياته في كلّ طور تجدد

إلى آت تكاملت نواه مهدت ... لحمل الذي يراد منه له نجد

فجاء رسول الوحي سرّ السره ... وألقى له قولا ثقيلا له جد

وذاع من أعلام النبوءة خافق ... وبأنّ له ما كان في الغيب يغمد

فقام بأعباء النبوءة حازما ... وساعده عزّ ونصر وسؤدد

وبلغ قومه الرسالة ناصحا ... على حين كلهم مريب وجاحد

بشيرا نذيرا داعيا لسعادة ... سراجا منيرا نوره يتزايد

وللكفر صولة وفي الأمر شدة ... وكلهم عات للأصنام عابد

فكابد منهم جفوه وجهالة ... وغضّ وأغضى للهداية يرصد

وجاهدهم في الله حق جهاده ... بقول وفعل شوكة الكفر يخضد

وكان له بالرعب نصر بلا عنا ... وبالملأ الأعلى جنود تجند

حتى صار دين الحقّ يعلو لديهم ... وبان له بكل ناحية يند

وأضحت وفود الشّرك نجمها آفلا ... والإسلام بيد وكلّ يوم له وفد

وأشرقت الآفاق من نور هديه ... ومن فيضه المديد لكل مورد

وقد خفقت في الكون أعلام عزّه ... وذاع له صيت وفاح له ند

وزال سحاب الوهم عن شمس حقه ... سرات الحيّ شوقا له تعدو

وكــم جاحــد أقــرّ مــن بعــد نكــره ... وصــار لــه عــونا لحــضرته يحــدو
وكـم جـادت الـراح الـرحية عـن ضـما ... بمــاء زلال فاضــت مــنه مــوارد
وبالكــفّ مــنه جهــرة ســبّح الحــصا ... وصــار لــه عــونا لحــضرته يحــدو
وشــكوى البعيــر للــضنا غيــر مــرة ... بمــاء زلال فاضــت مــنه مــوارد
وبالكــفّ مــنه جهــرة ســبّح الحــصا ... وناولــه صــحبا فعــاد ولــن يعــدو
وشــكوى البعيــر للــضنا غيــر مــرة ... وكـم آية من قبل جاءت ومن بعد
ولمــا تكاملــت مواســم بعــثه ... وتــمّ الــذي أراده مــنه مــوجد
دعــاه إلــيه تحفــة وكــرامة ... فلــبّاه شــوقا طائعــا يــتودد
وجـاء رسـول المـوت يـستأذن اللقـا ... ولـم يستأذن من قبل شخصا ولا بعد
ومــا حــاد إلا مــن تمــردّ واعــتدى ... ونــدي مــن بعــد فأضــحى يــباعد
لقــد حــقّ صــدقه لــديهم وكــيف لا ... وبالمعجــزات صــدقه يــتأبد
فقــد حــنّ جــذع للفــراق تأســفا ... يــردد صــوتا كالعــشار ويغــرد
حتّـى ضـمّه لـصدره صـفوة الـورى ... كمــا ضــمّت الأمّ الولــيد فيــركد
وجـاءت لـه الأشـجار تمشي إجابـة ... بــساق بديــع مــا دنــاه زبــرجد
وكلّمــه ضــبي الفــلا يــستغيثه ... فخلّــصه فــراح يعــدو ويــشهد
لأنــه حــيٌّ فــي ثــراه مــسرح ... إلـى حيث شاء صحّ فيه شواهد
ومــن عــادة الكــرام أن يــتفقدوا ... أصــاغرهم والمكــرمات عــوائد
وتعــرض أعمــال العــباد فمــا يــرى ... لــشرّ فمــستعفٌ وخيــر فــيحمد
وأورث أهــل العلــم بعــد وراثــة ... يقــوم بهــا كــلّ لــشرعته يحــدو
فمــنهم أهــل القــول يــبدون قــوله ... بحكــم ووصــف للــذي يتعــبّد
ومــنهم أهــل الفعــل قامــوا بنــسكه ... لمــن رام للمقــال يرقــى ويــصعد
وأقـرأه الـسلام مـن حـضرة المولـى ... ولاطــف بالخطــاب وهــو يــسيد
وخيــره فاخــتار للــرفق الأعلــى ... وقـال أمضى بالمأمور أني مساعد
فكـان الـذي قـد كـان مـن أمـر ربـه ... فحلــت بالمــسلمين مــنه نكائــد
وهـام الـذي قـد هـام فـي تـيه شـجوه ... ومــنهم مخــرس ومــنهم مقعــد
وقــصّته شــهيرة قــد تــوارت ... إذا ذكــرت كــادت قلــوب تغــدّد
وراح ومـا امـتحن عـن القـوم وصـله ... يــروح ويغــدو بيــنهم يــتعهد
فكــلّ لــه إرث بــه نــال مــشربا ... علـى حـدّه المحـدود لـيس يعـدو

جـراه الإلـه العـرش عـنا بخيـر مـا ... يجـازي نبـيا ناصـحا يـتودد
فـيا ربّ هـا العبـيد يـرجوا بجاهـه ... مـنالا لكـلّ مـا يـروم ويقـصد
نجـاه وعفـوا عـن ذنـوب تـراكمت ... ووصـلا بـه وجمـع شـمل يـؤبّد
فبفـضلك وافـر وجاهـه واسـع ... فحاشـا تـرد للنـزيل بـه يـد
كـصيامه وصـلاً وفـضلا وذكـره ... وقـيامه بلـيله يـتهجد
ومـنهم أهـل الحـال يكـسون حلـة ... بمـا لهـم مـن سـرّ باطـنه يـبدو
كـزهد تـوكّل يقـين مـع الرضـى ... وحضرة قدس في المجالي تشاهد
وكشف عن الغيوب من نوره الأسنى ... واشـيا تجـل أن تـسطرها يـد
حـوتها بـه لـه صـدور أولـي النهـى ... وعـنهم رجـال عنعـنوا وتعـادوا
وذلـك عـندما تكامـل مـنهم ... مـتابعة فـي الـسرّ والجهـر تقـصد
وأكـرم عـصابة لدرسـه لازمـوا ... بهـم طـاب مجلـس ويعمـر مـسجد
وكـن لهـم العفـو والحلـم والرضـى ... وتيـسير كـلّ الأمـور والعيـش يـرغد
وأحـسن خـتاما للجمـيع وبـشرى ... بمقعـد صـدق فـي الجـنان يمهـد
وجـاز اللهـمّ ربّ مـن كـان منـشئا ... لهـذي الـرياض القـسطلاني أحمـد
ومـن صـاغ الاختـصار مقـربا ... كـريم الـسّجايا نبهنـيا مـؤيد
ومـن شـرح الـصّدور مـنا بـشرحه ... صـفى الطّـوايا زرقنـيا محمـد
ومـن نظّـم الأبـيات يقفـو لإثـرهم ... عبـيد القـادر يـضاف ويـسند
وأشـياخ كـل والأصـول جمـيعهم ... ومـن لهـم حـقٌّ علينـا مـؤكّد
وكـلّ أئمّـة الـشريعة مـن لهـم ... بهـدى رسـول الله صـحت مـساند
علـيه صـلاة الله فـي كـلّ لحظـة ... وآلـه والـصّحب الهـداة المراشـد
تـدوم وتتـرى كلّمـا قـال منـشد ... لـك الحمـد ربـي كـلّ حـين يجـدد

انتهت

قد تمت[1] المنظومة المسمّاة" ختمية الأنوار المحمدية النبهانية، مختصر المواهب اللدنية القسطلانية" للعبيد الفقير سيدي عبد القادر بن قارة مصطفى مفتي

(1) وكان الفراغ من نسخها في يوم الأربعاء 28 شهر ذي الحجة عام 1414هـ بعد صلاة العصر الموافق ل ــ جوان عام 1994م.

مستغانم رحمه الله واسكنه فسيح جنانه. تمت عل يد ناسخها لنفسه ولمن شاء الله من بعده عبد ربه، الحقير الذليل الراجي عفو ربه مولاه الجليل أبو عبد الله الملقب شراك.

متن قرة الأعيان في آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلِّ الله على سيدنا محمد

لفريد عصره ونسيج وحده علامة زمانه وقطب أوانه مولانا الأستاذ الإمام سيدي عبد القادر بن قارة مصطفى مفتي ديار مستغانم نوّر الله ضريحه.

يقول عبد القادر بن مصطفى ... الراجي من ربه للقلب صفى

الحمد لله الذي كرمنا ... وبالقرآن فضلا منه خصنا

ثم الصلاة والسلام النامي ... على محمد خير الأنام

وآله الطّهر الحما الأمين ... وصحبه الزهر نجوم الدين

وبعد فاعلم أن فضل القرآن ... أجل ما به تقر الأعيان

وخير ما يعنى به ويدخر ... وما ينافس به ويفتخر

لأنّ كلامه البديع ... فشأنه معظّم رفيع

فاعرف له حقّه واغنم فضله ... واجن ثماره وواصل حبله

فهو الجليس والأنيس المنتقى ... وهو الشفيع المرتضى يوم اللقا

وهو الشّفاء والهدى والنور ... بنوره تنشرح الصّدور

كما تنوّر له القبور ... حيث أضا الأسحار منه نور

وآل الله له فقدره به ... من شرف ليس يرى لغيره

فعظّموا وألزموا ولتحذروا ... آذاهم فالله عليهم أغيروا

والدة توّجي بتاج ... يرجو على الشّمس بالابتهاج

ما ظنكم بالنجل في الجزاء ... فقد فاز بالسؤدد والعلاء

فاتله بالليل وبالنهار ... تجل به مطالع الأنوار

وكن أديبا واعرف من تناجي ... وأنت بين خائف وراجي

مستحضر الذي به تكلما ... ومن عليه بالإنزال أنعما

أكرم خلقه عليه مطلقا ... محمد الهاشمي المنتقى

فــالله مقــبل علــيه بالخطــاب ... فكـيف يغفـل عـن ذلـك الجـناب
ثمـر كـلّ شـيء يجـزى بـالأدب ... فـاعن بـه ترقـى معالـي الـرّتب
وأحـضر القلـب وكـن فـريدا ... وألـق سـمعك وكـن شـهيدا
فكـن إذا مـع الكـرام البـررة ... كمـا روى الـثقاة عـنه خبـره
تقـرأ مـا شـئت وأنـت ترقـى ... فحـيث مـا انـتهت كـان المبقـى
فـي جـنّة النعـيم نعـم المـأوى ... بكـل مـا تلّـذه وتهـوى
فـي ذاك يـا أخـي فـنافس واجـتهد ... أن تجتنـي بـذاك عيـشا قـد رغـد
غـضا طـريا دائمـا لا يـنقطع ... ببكـرة وعـشي لا يمتـنع

فصل

في حكم أمور تعرض للقارئ حال قراءته

وإن لـم يقـرأ نـاقض عـرض ... سـكت حتّـى ينقـضي ثـمّ نهـض
مجـددا لطهـره كمـا بـدا ... حـسبما هـو بفقـه عهـدا
كـذا يكـفّ حالـة الـنّعاس ... حتـى يـزول خـوف الالتـباس
وإن تـثاوت فـسدّ فـاك ... واسـكت حتّـى يـزول عـنك ذاك
بـباطن اليمنـى وظاهـر اليـسرى ... والـوجه لا يخفـى لمـن تحـرّى
وإن مـررت تالـيا بقـوم ... فـسلمن ثـمّ عـدن وسـمّ
وإن علـيك سـلّموا فـردّا ... بأحـسن أو مـثله مـردّا
وإن تلـوت آيـة الـصّلاة ... علـى النبـيّ صـلّ عـن تـباب
وإن تلـوت آيـة التنـزيه ... نـزّه بقـول لائـق وجـيه
واحـذروا أمـورا لا تلـيق بـالأدب ... كـضاحك وملفـت وملـتعب
والـبس مـع الخشوع حلّـة الـوقار ... ومـن حـيائك دثـارا وشـعار
وعظّـم مـا اسـتطعت مـن شـعائر ... فـذاك مـن تقـوى القلـوب نائـر
هـذا تمـام مـا بـه عنـيت ... مـؤملا قـبول مـا قـصدت
وأنّ بـه يـنفع نفعـا دائمـا ... بجـاه مـن للرسـل كـان خاتمـا
نحـوت فـيه مـا نحـى الـنواوي ... ذلـك الـذي لكـل فـضل حـاوي

مقتطفا من ذاك ذا مستوعبا   لكن متابعا له مقاربا

مع زيادة تزيد نفعا   وحذف ما علم فقها وضعا

ما تهجمت حتّى استخرت   وببشارة رؤيا استنست

وقدّر نفسك جليسا تسمع   والوحي ينزل وأنت تخشع

وأنك المأمور والمنهي   وبالذي تسمعه المعني

مخيلا بحالة النزول   مستمدا من حضرة الرسول

تجد لذلك حالة سنية   ولذة روحية شهية

فما يسرّك بها حمير النعم   وزينة الدنيا إليها كالعدم

وإن بذاك الحيّ هبّت نسمه   وواجهت بالفضل منه مغنمه

وغشيت أنواره السرائر   وابتهجت بحسنها الظواهر

فاشكر وواصل واغتنم وأجملا   إذ ليس في طوفك أنت تفصلا

واثبت ونزّه وأحفظ الحدود   واذكر وما تتلو إلى شهودا

واعلم أخي بأنّ ذي الحالات   طورا تغبّن وطورا تأتي

إلاّ ذوي الرسوخ الثابتين   دوما على الحضرة عاكفين

فإنهم فازوا بسرّ الاتصال   بكل حال لا يسومهم فضال

وليس فرقهم بحاجب لهم   راجع مناقبهم تعرف قدرهم

فصل

في التلاوة في المصحف الكريم

وانظر بمصحف في كل يوم   حسب ما أمكن دون حتم

لأنه رسالة إلينا   بما به نؤمر أو نهينا

وحوق للعبيد أن تراجع   رسالة السيد كي تتبعا

فما به أمر من أعمال   فبادرن له بالامتثال

وما نهى عنه تكن مجتنبا   واحذر إذا جعلت أن تعاقبا

وماله أرشدا من أخلاق   فارغب وكن له من السُبّاق

فإنه خلق خير الخلق   في بحره يسبح أهل السّبق

هذا الذي كان عليه من سلف ... فنعم مقتدى به لمن خلف

فكلّ خير في إتباع من سلف ... وكلّ شرّ من ابتداع من خلف

وأجره مضاعف كما ورد ... وصحّة البصر منه تستفد

وخفّة العذاب عمّن ولدا ... وإن يكونا كافرين وردا

فلها من مزية وكرما ... شكرا لمن جاد به وأنعما

فصل
في صفة التلاوة المشروعة وآدابها

واتل مرتلا له ترتيلا ... كما أتى الأمر به تنزيلا

وهو تجويدك للحروف ... معرفة لموضع الوقوف

كذا أتى عن علي مكرم ... باب العلوم بحرها المتمطم

وكن مدبرا له معتبرا ... تبن لك المعان منه نيرا

وراعي في مدلوها الضمائر ... تبدو لك المعاني كالمنابر

وذاك أصل في الحضور يعتمد ... ولبيان القصد منها يستند

واتلوه بالتحزين لا التلحين ... إلاّ مع التبيين والتمكين

وأبكي تأسفا على التقصير ... وخوف ذلك اليوم القمطرير

علّك توفى شرّه وتلقى ... مسّرة ونضرة ورفقا

وإن مررت بعذاب فعذا ... أو رحمة فسله وارغب ولذا

واتل كما شئت كذكر الرّب ... قائما أو قاعدا أو لجنب

كذاك حال المشي حيث سلما ... من مشغل أو مؤثم فلتعلما

واختر من البقاع ما قد طهرا ... وفي ديوان الفضل منها سطّرا

كمسجد ومكتب وخلوه ... ممّا به يبدو لقلب جلوة

ودم عليه بحلول وارتحال ... تفز من الله بحبّ ووصال

فإن جمعت ذا الخصال نسقا ... تلوته حقّ التلاوة حقا

فإن منحت مع هذا بالعمل ... فأنت ماهر به ممن وصل

علّك توفى شرّه وتلقى مسرّة ونضرة ورفقا
وإن مررت بعذاب فعذا ب أو رحمة فسله وارغب ولذا
مستمدا من حضرة الرسول وحزبه المشايخ الفحول
وذاك عندما جمعت قلبي على تلاوة كلام رب
محبّة ورغبة وشوقا وقد علا الشيب وحان الملقا
ووهن العظم وعمّ الفشل وضعفت قوتي عن نصب العمل
قل للذي قد ناهز التسعين معذرة مقبولة يقينا
مختلسا لذاك من همّ الزمان كرشفة الصادي ولقطة العجلان
وذاك عند الله أفضل القرب كما أتى عن خير من له اقترب
مقدما له على الأوراد لأنه أجمع للمراد
مذكر بسابق الوداد وخير زاد يرجى للمعاد
وذا الذي مال إليه الحاتمي في آخر الأمر فشابه تغنم
من غير أن أخلّ بالأذكار ما قد عهدته عن الأخيار
فإنها من أوكد المطلوب وهي بذا في رتبة الوجوب
فصرت أقف أثر السادات تطلبا لأشرف الحالات
لأنهم أيدوا بالإقرار فكشفوا عن خفايا الأسرار
وعصموا بذاك عن غيّ الخطا ومنحوا بالفضل خالص العطا
حتّى جمعت من مرام نزرا لكن رباً شيئا وجلّ قدرا
هذا تمام ما به عنيت مؤمنا قبول ما قصدت
سميته بقرة الأعيان في آداب تلاوة القرآن
أقول قول ناظم اللوامع في مقرئ الحبر الإمام نافع
نظمته محتسبا لله غير مفاخر ولا مباهي
وقول نظم المرشد المعين تشبها بهما في الختمين
ذا القدر نظما لا يفي بالغاية وفي الذي ذكرته كفاية
وقول أحمد الرضى الدردير ذاك الولي العارف الشهير

فـــي نظمـــه الخـــريدة البهـــية   أعنـــي بهـــا العقـــيدة الـــسّنية
وقـــل بـــذلّ ربـــي لا تقطعنـــي   عـــنك بقاطـــع ولا تحرمنـــي
مـن سـرك الأبهـى المـزيل للعمـى   واخـــتم بخيـــر يـــا رحـــيم الـــرحما
أرجـــو بهـــم عـــناية وفـــضلا   فمـــن ورائهـــم ســـحبت ذيـــلا
ثـــمّ الـــصّلاة والـــسلام الـــدائم   علـــى نبـــيّ دأبـــه المكـــارم
كـــلّ الخلائـــق بـــه قـــد رحمـــوا   وســـيد لرســـله وخـــاتم
محمـــــد والآل والأصـــــحاب   والتابعـــين الـــسادة الأمجـــاد
مـــا تلـــي القـــرآن فـــي الدياجـــي   وابـــتهج القلـــب بمـــن يناجـــي
وحـــنّ شـــائق إلـــى الأســـحار   كمـــا تحـــنّ الطيـــر للأوكـــار
ومـا تجفـى الجـنوب عـن مـضاجع   يدعـــوه وهـــو خائـــف وطامـــع
وقـــرة الأعـــيان بالمطلـــوب   واجـــتمع المحـــبّ بالمحـــبوب
اللهـــم يـــا عظـــيم المـــنّه   هـــب لكاتـــبه الجـــنّه
بجـــاه أهـــل الـــسنّه   فإنـــك ذو فـــضل ورحمـــه[1]

انتهت

وجدت قصيدة للشيخ فارس المنقول والمعقول سيدي محمد بن التكوك يمدح فيها المؤلف وهي:

ونظـــم كـــريّ الـــزلال العـــذاب   وكالزهـــر فـــاح أصـــيلا وطـــاب
أتانـــا مـــن الجهـــبذ بـــن قـــرا   مفـــيد العلـــوم ســـمير الآداب
فأهـــدى لـــتال ومستـــسمع   أدابـــا جديـــر بـــرفع الحجـــاب
أيـــا مـــن تـــسامت لـــه همّـــة   تـــرغبه أبـــدا فـــي الكـــتاب
مـــــرتّل آياتـــــه خاشـــــعا   فديـــتك عـــرّج علـــى ذا الآداب
علـــى نـــسج ذاك البلـــيغ الفـــصيح   كنـــز العلـــوم حلـــيف الـــصواب
علـــيك علـــيك بأغراضـــه   فـــيا حـــبذا مـــورد وشـــراب

(1) نقلت من نسخة بخط الشيخ سيدي بن شهيدة من أحد تلامذة المؤلف رحمه الله.

أُخَـــيِّ تمـــتع بـــه واغتـــنم لتحظـــى بكوثـــره فـــي المـــآب
لمـــــستغـانم معطـــــرة بعـــبد القديـــر الـــسمّي الجـــناب
وتـــشدّو وتـــرقص مطـــربة ســـقاها جمالـــه مـــاء الـــشباب
لعمـــري يحـــقّ يحـــق لهـــا تباهـــي بـــذاك وليـــست تعـــاب
ســـلام علـــى حبـــرنا بـــن قـــرا يعطّـــر نـــاد لـــه ورحـــاب
ودمـــت بـــدوم ثـــنا منـــشد ونظـــم كـــريِّ الـــزلال العـــذاب

ورد الشيخ أبي عبد الله البطيوي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إليك ألجأ وعليك أتوكلّ وإياك نعبد وإياك نستعين وبك نعتصم ومن فضلك نستمد وبعد:

فيقول العبد الفقير إلى مولاه الغني به عمّا سواه الراجي هدايته سبحانه وتعالى في حياته ومغفرته، جلّ وعلا في عقباه أبو عبد الله بن عبد القادر بن محمد الجيلاني بن الموهوب البوعبدلي أصلح الله منه ما ظهر وما بطن وغفر ذنوبه وستر في الدارين عيوبه وسقاه ممّا سقى منه أحبابه المعطوفين على ضمير أشرف متكلمي وأصدق مبلغ في قوله تعالى:" قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن تبعني بجاهه صلى الله عليه وسلم وبجاه الذين أحبوه تعالى، فاتبعوا المصطفى صلى الله عليه وسلم فأحبّهم الله آمين.

هذا إذن خير وسبب فتح وتيسير لأخينا في الله ومن هو بمنزلة ابننا سيدي محمد بن أحمد بن الحاج عمرو البطيوي، وفقه الله لما فيه رضاه تعالى وأعانه على برّه وتقواه آمين.

أذنت له متوكلا على الله بما أذن لنا به ساداتنا أهل الله ومشائخنا الكرام الداعون إلى الله بأوضح دليل على أقوم سبيل من الطريقة الصوفية النبوية الشاذلية العدوية المؤسسة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنّة التي أوتيها صلى الله عليه وسلم مع الكتاب كما قال عليه الصلاة والسلام:" أوتيت الكتاب ومثله معه وعمل

---

(1) هو الشيخ أبي عبد الله بن عبد القادر البوعبدلي ولد سنة 1867م بنواحي بني خلاّد بندرومة (تلمسان)، يرجع أصل أسرته إلى الجدّ الأكبر أبي عبد الله المغوفل دفين بطحاء شلف. نشأ في بيئة ورعة تقية، معروفة بالزهد والصلاح، جاعلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدأ إسلاميا صريحا ترتكز عليه. توفي الشيخ يوم 16 صفر1372هـ الموافق لـ 05 نوفمبر 1952م.

السلف الصالح المنيبين إلى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين. القائل:" هو عليه الصلاة والسلام فيهم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وهذه الثلاثة أيّ الكتاب والسنّة وعمل سلف صالح الأمة هي قواعد الشريعة النبوية، التي هي شرط في النجاة من الخلود في النار، وغضب الملك القادر الجبار، وفي السعادة والفوز بالحسنى وزيادة ونيل رضى الله عزّ وجلّ الذي من ناله لا يضلّ ولا يشقى، ولا يظمأ ولا يضحى.

فالشريعة إذن بمثابة سفينة سيدنا نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، من ركبها نجا ومن حاد عنها واستعصم بغيرها أدركه الغرق في الدنيا والشقاوة الأبدية المحفوفة باليأس والعياذ بالله في الآخرة. وعليه السنة النبوية طريقتنا والشريعة المحمدية سبيلنا فكلّ ما أمر به الشرع الصحيح فأحبابنا مأمورون به كجميع المسلمين، وكلّ ما نهى عنه الشرع فأحبابنا منهيون عنه كجميع المسلمين، كل ما وافق الشريعة النبوية فهو من وظائف طريقتنا قولا كان أو فعلا، وكلّ ما خالف الشريعة فهو ليس من طريقتنا في شيء وأحبابنا منهيون عنه. ومن خالف وأتى شيئا من ذلك فإننا بريئون من عمله، ذلك لا منه هو بل نرجو لأنفسنا وله التوبة والرجوع إلى الله واسع العفو والمغفرة.

فأنت يا ولدي سيدي محمد بن أحمد مأذون بأن تأذن كل من أراد الدخول في طريقتنا، طريقة الذاكرين وأنت تلقنهم وردنا الذي نلقنه نحن لأحبابنا أول دخولهم الطريق، كما تلقنته أنت مني، وقد لقننيه ساداتنا المشايخ أهل الله المعروفون من أهل التحقيق مع إذنهم المطلق لنا، فأذن لمن رام الدخول أن يذكر ما سيأتي وهو:

أعوذ بالله

من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إنّ الله غفور رحيم." مرة واحدة".

استغفر الله استغفر الله استغفر الله

" مائة مرة"

إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الدين آمنوا صلوا عليه وسلمّوا تسليما" مرة واحدة"

اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما" مائة مرة"

" فاعلم أنه"

لا إله إلاّ الله

لا إله إلاّ الله

لا إله إلاّ الله

" مائة مرة"

فهذه السّبحات بعد صلاة الصّبح ومثلها ثلاث سبحات بعد صلاة المغرب أو قبل الغروب بعد العصر، ثمّ بعد هذه الثلاث أن يذكر:

الله الله الله.

من غير عدد محدود ولا وقت مخصوص، بل كل زمان وعلى كلّ حال بقدر الطاقة والإمكان، وليكن الذكر مضبوطا في اللسان، فينطق به كما هو بالشدّ والمدّ وعرفه بأنه ينبغي له الحضور ما استطاع، ثمّ بعد هذا الذكر المتقدم فليقرأ ما يقرؤه أحبابنا من المسبعات العشر وما معها كما هو مكتوب في غير هذا الكراس، وذلك بعد أن يحفظه بحسب الإمكان ولو بطول الزمان ولا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها، وينبغي للمريد أن يعوّد نفسه على مداومة الطهارة الشرعية وصلاة النوافل ما استطاع، كالرواتب التي هي أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها أي قبل صلاة، وبعد صلاته ثمّ أربع قبل صلاة العصر ثم ست بعد صلاة المغرب ثمّ بعد صلاة العشاء ما استطاع ولو ركعتين وكذا قبل الفجر، وست ركعات أو ثماني وقت الضحى.

هذا كلّه لأهل الفراغ أو العاملين عملا خفيفا، مع ذلك فليأت كلّ واحد من ذلك بما استطاع ولا حرج، ولو كان فارغا فصلاة ركعتين في الضحى مثلا خير من عدم الصلاة بالكلية. أهل الأعمال الشاقة فليحافظوا على الصلاة المفروضة فقط، ومن قوي على زيادة شيء من النفل فيا بشراه، والواجب على أحبابنا وعلى كلّ

مسلم أن يعتقد أنّ كل المؤمنين إخوة،فلا يقول هذا أخي لأنه معي في الطريق وهذا ليس أخي فإنه من تلامذة سيدي فلان، بل كلّ مسلم فهو أخونا ومنّا وإلينا، ولو لم يدخل طريقا من طرق الذاكرين وكل من أمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر فهو شيخنا وسيدنا واجبة علينا طاعته في ذلك. ولولم يكن من أهل طريقتنا الخصوصية إذ هو مؤمن آمر بما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم. اللهم صلي على سيدنا محمد وآله وأصحابه وأمته أجمعين آمين.

قصيدة الشيخ أبي عبد الله البطيوي

لــو رأيــتم حــسن مــن قــد هويــنا ... لارتــضيتم فــي الهــوى مــا ارتــضينا

لارتــضيتم فــي الهــوى كــل هــون ... وارتأيـــتم دونـــه الـــصعب هيـــنا

واحتملـــتم كـــل عـــبء وكانـــت ... جفـــوة الآلام لطفـــا وليـــنا

وابتغــى الراقــي ذرى العــزّ أن لــو ... كــان للمحـــبوب عـــبدا وقيـــنا

فالـــذي هـــواه لـــولاه مـــا كـــنا ... نــرى الحــسن الــذي قــد رأيــنا

والـــذي نهـــواه لـــولاه مـــا كـــنا ... نـــرى مـــا الـــذي أوراق عيـــنا

مـــا نـــرى لـــولاه شمـــسا ولا بـــد ... را ولا الفـــردوس كـــنّا ارتجيـــنا

فهـــو ينـــبوع الجمـــالات لـــولا ... ه لمـــا لاقـــيت فـــي الكـــون زيـــنا

كـلّ مـا فـي الكـون مـن أمـي حـسن ... لـــيس إلاّ مـــن بهـــا مـــن هويـــنا

والـــذي فـــي الكـــون مـــن نيـــرات ... لـــيس إلاّ مـــن ســـناه اجتليـــنا

أو عبيـــر أرّج الكـــون طيـــبا ... لــيس إلاّ مــن شــذى مــن عنيــنا

لا تنسى فـي الحـسن والجـاه يـوما ... بالـــذي نهـــواه ذاتـــا وعيـــنا

جلّ ذو العرش اصطفى الرّسل لكن ... مـــن هويـــنا صـــفوة المـــصطفينا

وارتـــضاهم للبـــرايا هـــداة ... وهـــو خيـــر الـــصّفوة المرتـــضينا

جـــلّ مـــن بالمـــصطفى قـــد هـــدانا ... إذ فلـــولا المـــصطفى مـــا اهديـــنا

رسالة الأمير عبد القادر إلى فقراء وهران

الحمد لله وحده

ذو الأخلاق الجميلة الأوصاف الفاضل الأديب محبّنا السيد الحاج البشير بن أحمد بن حوّا عليكم سلام الله الأتمّ ورضائه الشامل الأعمّ والرحمة والبركة تعمكم في حالتي السكون والحركة وبعد السؤال عنكم، فإننا في أحسن حال نسأل الله تعالى دوام نعمه العامّة علينا.

هذا وإنّ مكتوبكم وصلنا وأننا ما ننساكم من الدعاء الصالح بحسن العاقبة والتوفيق والستر الجميل دنيا وأخرى، وأن يوفقكم لما فيه رضاه ويجعلكم ممن سبقت له السعادة لمنّه وكرمه بجاه أهل محبّته ومودته ودمتم والسلام.[1]

في 18 محرم 1294هـ

عبد القادر بن محي الدين

---

(1) نسخت مباشرة من خطّ الأمير عبد القادر الجزائري، وكانت إعادة النسخ يوم الاثنين 29 جمادى الثانية 1418هـ الموافق ل 11 نوفمبر 1996م بخط يد الشيخ أبي عبد الله شراك.

أهم العلماء المنتسبين للحضرة السليمانية (التجانية) من خلال مقتطفات من الرحلة الحبيبية في ذكر اللطائف الوهرانية

ولما استقر بنا النزول بعد الوصول تشوق لملاقاتنا خاصة المحبين من أهل مستغانم وزاد تشوقنا للاجتماع بهم وحث علينا في القدوم إلى هذه البلدة حضرت السيد المفتي بوهران وفق ما أشرنا إليه حتى حصل لنا ضعف ما عندهم لما سمعناه عنهم من رسوخ قدمهم في المعرفة وبلوغهم للمقامات العرفانية حتى فاضت عليهما الفتوحات الربانية وأكد ذلك لي سيدنا الحبيب بشرح أحوالهم وهم من خاصة أحبائه الذين يخشى إنكار خاطرهم من جهته إذا لم نساعده على الذهاب معه إليهم فبادرت إلى امتثال أمره بالمسارعة إلى ملاقاة هؤلاء الأفاضل في البلدة المذكورة.

الرحلة إلى مستغانم

فشددنا الرحلة إليها في رفقة سيدنا الحبيب يوم الإثنين ثاني وعشرين جمادي الثانية الجاري وقد اقتطع سيدنا الحبيب ورقة الركوب بالشمندوفير[1] ذهابا وإيابا من عنده بعد أن ضرب التّلغراف في ساعة الركوب بحضرة الأفاضل الأماجد مجادة القاضي وحضرة المفتي وسعادة الحرّاق وسيادة الحاج ابن عيسى وسأذكر طرفا من ترجمتهم بحول الله حسبما استحضرت تقييده من الأوراق التي غار عليها الزمان فأدخلها في خبر كان ويا للأسف على ضياع ما قيدناه فيها من الفوائد التي هي من الفرائد المنظمة تنظيم القلائد مما اقتطفناه حالة المذاكرة من أفنان الفنون والتقطناه من أسرار المعرفة التي هي أنفس من الجوهر المكنون وإنما هي من السر المخزون.

---

(1) يقصد بها القطار بالفرنسية: Chemin de Fer

بحنا بها فرءاها الدهر فاشية فغار منها لذا في الكون ضيعها

فركبنا مشينة الكبّانية المسمّاة "فرنكو" على الساعة الخامسة ونصف ولم أكن ركبت في بابور البر[1] من قبل هذا اليوم فجلسنا في المرتبة الرفيعة منه وصرت أنظر إلى هذا الاختراع العجيب والصنع الغريب مما يدل على باهر قدرة المولى في إلهام المخلوق إلى استنباط مثل هذا المركوب الذي يشمله عموم ما لا يعلمه الخلق كما قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون من جنس المركوبات وغيره من المخترعات ولازال المخترعون يزيدون في اكتشاف ما هو أعجب من ذلك والله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء فإن مثل هذا الاختراع يشمله أيضا الآية الثانية لأنه من الزيادة في الخلق وكذلك غيره من سائر الاكتشافات والمخترعات وقد كنا نسمع بالشمندوفير ونحن بمغربنا ونتعجب ما عنه يبلغنا من عمله للأثقال وسرعة سيره على بسيط الأرض من قطر إلى قطر وما رأيته من قبل لكونه ليس بقطرنا.[الورقة 61]

في هذا الإبان مع أنه طال الزمان أو قصر لا بد من مد سكة بالمغرب لما فيه من تقريب البعيد وتواصل الأقطار بعضها ببعض والناس من دأبهم الترقي والبحث عن الوسائل الموصلة إليه أما هيكل هذا البابور المسمى الشمندوفير ويقال له المشينة فهو بيوت منفصلة على نواعير من حديد أمام كل بيت مخاليب تجعل في خرص في البيت الذي يراد إلصاقه به وقد تتعدد البيوت هذا متصل بهذا وهذا متصل بهذا وفي الأمام ماكينة جره وقد تتأخر ماكينة أخرى والنواعير موضوعة على سكة حديد ممدودة على وجه الأرض من المحل الذي هي به إلى المحل المقصود وامتدادها بحسب انبساط الأرض على وتيرة واحدة حتى إنه إذا صادف جبلا عاليا فإنه يجعل في مغارة يدخل منها للجهة الأخرى كل ذلك بصنعة خصوصية يقاسون شدتها في وضع سكته ويحمدون نفعها بعد العمل وفي بيوته مواضع أعدت للجلوس وعن اليمين واليسار باب مفتوح ينظر منه الطريق والأراضي المار عليها وذلك من أحسن المناظر التي تسلي الخاطر إلا أنه يكتب من أعلى الباب تنبيه على أن لا يمد الشخص رأسه أو يده ونحوها إلى الخارج من إحدى هذه الأبواب وقد

(1) يقصد بها القطار.

يضرب عليها قضيب حديد أو صفر عرضا منعا من مد شيء إلى الخارج ليلا يصاب الماد بضرر وعطب مما يصادفه من خارج فهذا بعض ما يتعلق بوصفه في الجملة.

وصــفته ولــساني لا يطاوعنــي   على مجيء بوصف كامل الوصف

ثمّ إنّ المشينة صوتت إعلاما بأنها أرادت السير ثم تحركت بنا وتأخرت قليلا ثم أطلقت العنان وشرعت في المسير على الساعة السادسة إلا ربع صباحا وهو وقت سيرها غالبا كل يوم إلى هذه المدينة المذكورة ولما قربنا من المحطة ويقال لها أيضا الفيلاج[1] وهو محل العسة واستراحة الراكبين والمحل الذي يقصده من يريد الركوب إلى المحل الذي تمر عليه المشينة صوتت إعلاما بالوصول إليه وهكذا تعلم بكل محطة وصلت إليها وبين المحطة والمحطة نحو عشر دقائق وتقف نحو ربع ساعة إلى دقيقة زمانية بحسب الأغراض المتوقفة لها على قوانين مرعية عندهم وبين وهران ومستغانم ستة عشر محطة في خلال أربع سوايع فمن المحطات ما هو عن اليسار ومنها ما هو عن اليمين وعلى جدار كل محطة علقت "مجانة ساعتية" وبجوارها لوح من جر يرسم به عدد الشمندوفيرات المارة والمحطات المذكورة هي الفيلاج المسمى سان ريمي ثم سيدي الشحمي[الورقة 62] ثم حاسي بونيف والحاسي عندهم هو البير ثم حاسي عامر ثم فيلاج افلوريس ثم فيلاج سان اكلو ويعرف بكديل[2] وفي هذا الفيلاج وقفت لأطل على هذه المحطة غافلا عن التنبيه في إخراج الرأس ونحوه إلى الخارج فإذا بالقضيب الممدود عرضا صادفني فقلت:

ضــربت لتنبـيه فــلا تــك غــافلا   لــيلا تــصاب بعـد ذلـك بالخطـب

ونــبهت يــا هــذا فكــن متنــبها   ولا بـأس للتنبيه بالـضرب بالقـضب

وقد مررنا في الطريق على ضاية[3] المرسلي وتعرف عندهم بالصبخة وهي ضايتان إحداهما تجاور الأخرى ومنهما يؤخذ الملح لبلدة وهران وما جاورها ثم فيلاج روتان كلبار وهما فيلاجان متقابلان وهنا رأيت الآلة التي تفرق بين السكتين

---

(1) تعريبا للكلمة الفرنسية village وتعني القرية الصغيرة.

(2) تعرف بقديل وهي دائرة تابعة لولاية وهران.

(3) الضاية: بمعنى ناحية أو مكان بلهجة سكان المنطقة

عند التقاء بابورين منصوبة عن اليمين يمتد منها سلك إلى ملتقى السكة ووقفنا هنيئة فإذا بشمندوفير آخر وصل من أمامنا أخبرت أنه وصل من بشار وقد فتح السكة المكلف بها ووقف أحد المستخدمين هناك وبيده ثوب أحمر يشير به إلى المشينة إلى سلوك السكة التي عن اليمين فسلكتها وسارت على الطريق التي جئنا منها وسرنا أماما ثم سانت اليوني وعند مواصلة السير منه تراءى لنا البحر مع مدن مرسى أرزيو وهي مرسى على طرف البحر بها سكان كثيرون وقربها دشور[1] ثم فيلاج دامازم وهذا الفيلاج أحسن فيلاج قبله لكونه مظللا وهو مفرق السكك أيضا.

ثم فيلاج سانلوي وهو قرب مدينة بطيوة وقد رأيناها عن بعد ذات مباني وظهرت لنا منها صومعة لإحدى مساجدها وقد أخبرت أن جلّ سكانها من الطائفة الدرقاوية لا يميلون إلى سواها ثم فيلاج بروبول وبعد أن تجاوزناه رأينا واديا عن اليسار مصبه بالبحر بقربنا ويسمى عندهم بواد المقطع ثم محطة المقطع وبها يقع تبديل المشينة فتحولنا من هذه المشينة إلى مشينة أخرى ووجدناها هناك ذاهبة لمستغانم ثم استودعتنا المشينة التي كنا راكبين بها وسارت قاصدة للصحراء لمحل يعرف عندهم باريكو[2] وأقمنا هناك نحو ربع ساعة ثم سارت إلى أن مرت على قنطرة وادي المقطع وهي قنطرة من حديد قطعوا واحدة وبقي الوادي عن اليمين وطريق سكة الحديد التي مرت معها تلك المشينة قبالتنا صارت معوجة وعن اليسار بناءات للحواتة[3] الذين يصطادون حوت الوادي ورأينا بطريقنا مباني على طرف البحر عن بعد أخبرنا أنها لعسة الطربندو وهو الشيء الممنوع إدخاله[الورقة 63] للأيالة وإخراجه منها إلا بقوانين وعن اليسار قبة مشيدة أخبرنا أنها ضريح لأحد الأولياء وبتلك الطريق التي تذهب بها الكروسات[4] لمستغانم وهي طريق مقومة بيضاء واسعة.

ثم ممرنا على محطة لعسة السكة ولم تقف بها المشينة ثم أعلمت بالوصول

---

(1) جمع دشرة: بمعنى القرية الصغيرة التي تسكن سفوح الجبال ومرتفعاتها

(2) مدينة جزائرية كان اسمها هكذا إبان الاستعمار الفرنسي وهي تعرف اليوم باسم "المحمدية".

(3) الممتهنين مهنة صيد الأسماك والحيتان.

(4) وهي كلمة اسبانية تعني السيارة بالمفهوم الحالي.

إلى المحطة المسماة نويسي لاستيدية وهما فيلاجان ومررنا على السكة وجنانات الدالية عن ذات اليمين وذات الشمال على تنظيم بديع في غرسها ونسق واحد وامتدت على مد البصر أماما وخلفا ويمينا ويسارا مما تتنزه فيه العيون ويكسب باخضراره انشراحا للنفوس وبقرب انتهائها معصرة الريكال في فضاء متسع مملوء بأطنان من العود لملئها بالخمر المعصّر فيها ثم محطة ريقولي وبها أيضا ملتقى السكك وقد زادت هذه المحطة حسنا على غيرها بكونها محتفة بالدوالي والأشجار عن اليمين واليسار مما يسبي بخضرته ثم وصلنا للمحطة المسماة مزغران وبها ضريح الولي الصالح سي بلقاسم المتقدم الذكر ولم يبق بعد هذه المحطة إلا الوصول لمستغانم.

فصرنا نتهيأ لملاقاة من ينتظرنا بها من الأحباب وسارت المشينة مسرعة وشقت جبلا منحوتا وهبنا على كدية والأرض المنخفضة عن يسارنا مع جنانات بلدة مستغانم والبحر ووصلنا للبلدة المذكورة في الساعة التاسعة ونصف فوجدنا هنا ينتظر قدومنا حضرة الأفاضل الثلاثة جناب المحترم القاضي وأفندم الحرّاق وحضرة السيد الحاج محمد بن عيسى، أما حضرة المفتي فقد ضرب وعدا مع هؤلاء السادة للملاقاة معنا بمحل النزول وقد يلقانا جميعهم بالقبول وأقبلوا علينا بكل سرور كأنهم ينتظرون أعز أحبابهم إليهم وقد أنشدتهم عند الملاقاة قولي:

ألا أيها السادات جئنا نزوركم	ومثلكم في الناس حقت زيارته
أتيناكم كي ما نرى نور وجوهكم	وللزائرين النور منكم إنارته

ثمّ ركبنا على عربة من أبهج العربات وأحسنها لمحل السيد الحرّاق ولما استقرّ بنا المجلس قلت:

دخلنا البيت بالستر وقد احتفا	وزاد بكم يا سادتي في ألبها لطفا
مقامكم عندي مقام غدا يرى	مقاما لإبراهيم من حله يكفى

وبمحلّه تلاقينا مع حضرة المفتي المذكور فجلسنا على بساط المسرة والكل مبالغ في الاحتفال وكمال المبرة تارة يؤون لي حق التهنئة بالقدوم والدعاء بالرجوع للوطن سالما غانما بين الخصوص والعموم وتارة يتوجهون بأتمّ إجلال لحضرة[الورقة 64]

سيدنا الحبيب ويهنئونه بالوصول لحضرتهم سالما وازداد فرحهم بقدومه لما لهم عندهم فيه من المحبة الصادقة والوداد الحقيقي ومثلهم من يعرف قدره ومثله من يعرف قدرهم فقابلهم بما قابلوه به وهنأهم بقدومي لطرفهم كما هنئوه بقدومي لحضرته.

وكنت من بينهم ملحوظ مرتبة مكرما وبعين العز محترما

فأقاموا بحسن مودتي وتكرمتي فأعجب لعبد له سادته خدما

ثم تعاطينا بعد الانبساط في ذلك البساط كؤوس المودّة وكل واحد منّا انشرح صورة وباح بما عنده فتجاذبنا أطراف الحديث وملنا بعد فتح أبواب المذاكرة إلى الدخول لكنوز الأسرار فالتقطنا من دُرر المعرفة ما انجلت به عنّا الأغيار ودخلنا روضة اللّطائف فاختطفنا من أفنان فنونها بدائع الأنوار وفي هذه الحالة تحقّق عندي ما كنت أسمعه من شفوف مرتبة هؤلاء السّادة وبلوغهم في المعرفة لمرتبة الخصوصّية وحمدتُ الله على وجود مثلهم في هذه البلدة لما رأيته منهم فما أبهرني وترقى قدرهم عندي فوق ما عنهم بلغتي:

هم السراة إذا السادات قد ذكروا وللسراة على السادات سلطان

فاقوا سواهم بما نالوه من رتب من دونها في علو القدر كيوان

وقد قضينا جل النهار في ذلك المقام ندير من خمر المعرفة ما هو ألطف من كؤوس المدام ثم ركبنا بجماعتنا إحدى العربات وذهبنا للتمشيّ في جنانات تلك البلدة التي هي من أبهج المنازه وانعطف بنا القيم بها إلى جنان السيد الحرّاق المذكور فدخلناه بسلام آمنين فرأيته جنانا قد انبسط على وجه البسيطة أي انبساط واتسع اتساعا لا ترى أطرافه من كثرة الاتساع مع ما دار به للاحتفاظ وسرنا على الأقدام بين أشجاره اليانعة نقتطف من ثمارها وأزهارها ونتذاكر في المعارف وأسرارها وصرت أنظر هل هذه يقظة أو منام بما شاهدته في هذا اليوم من خوارق العادة من محاضرة هؤلاء السادة في كل مقام ثم قصدنا محل سيادة القاضي فلم يقصر في الاحتفال زيادة على ذلك الاحترام والإجلال.

ثم رجعنا لدار السيد الحراق وبالغ في الإكرام وفوائد الأنعام إظهار الكمال السرور بانشراح النفوس والصدور وخضنا من بحور المذاكرة بحجا متلاطمة حتى

كدنا أن نغرق في نيارها لولا اقتدارهم على المشابحة والمعاومة وقد كنا ننبه أن نترجم لكل واحد منهم على الخصوص. [الورقة 65]

وإن كنت لم أستحضر جميع ما خضنا فيه حالة المذاكرة لضياع ما قيّدناه في تلك الأوراق ولكن نذكر بعض ذلك على سبيل الإجمال فنقول أما حضرة القاضي فهو علامة قطره ووحيد عصره المتضلع من العلوم الشرعية بما وقف به على الأصول والفروع بتحقيق وتدقيق في كل مقام ألا وهو الفاضل الأمجد الكوكب الأسعد الراقي لأعلى المراقي حتى صارت به العلياء تباهي الشيخ القاضي أبو عبد الله سيدي محمد بن باهي وهو من خاصة المقدمين في الطريقة التجانية وقد حدثني أنه كان أولا على الطريقة الدرقاوية حتى دعته الحضرة التجانية بسائق العناية إليها فتلقاها بما لها من شروط وما بها من الأسرار منوط، وقد تعاطى خطة القضاء مرارا فكان في صور وتيارت وهو الآن القاضي بمستغانم وكنت مشتاقا إلى الاجتماع به ورؤيته قبل الوصول إلى هذه البلدة وقلت فيه ليلة مبيتنا عنده:

لكـل بـلاد مفخـر بمكـارم ... وأنـت لديـنا مفخـر المـستغانم
فـيا أيهـا القاضـي الأجـل ومـن لـه ... فـضائل شـاعت بـين كـل العـوالم
تباهـي بـك العلـياء فخـرا وسـؤددا ... وفـضلك معـروف لـدا كـل عـالم
طبعت على خلق كريم وسدت في ... زمانـك بـين الـناس يـابن الأكـارم
فأصـبحت فـي أوج الـسعادة سـيدا ... تضيء بك الظلماء بكشف المظالم
ويـا أيهـا القاضـي محمـد الرضـى ... ابن باهي الذي قد نال كل المكارم
لقـد كـنت مـشتاقا لـرؤيتك التـي ... بهـا نلـتُ فـي الـدارين كـل الغـنائم
فـدم فـي رضـاء الله ملحـوظ جانـب ... محـوطا بحفـظ الله مـن كـل ظـالم

وقد كتبت إليه مرة بعدما قضينا حقّ زيارته شاكرين له في اعتنائه بنا وكرامته:

لابـن باهـي فـي المجـد أعلـى مقـام ... وهـو فـي رفعـة مـدا الدهـر سـامي
فـيه باهـت المعالـي وأضـحت ... بـسناه مـضيئة فـي الظـلام
فهـو بـدر فـي بهجـة وبهـاء ... وهـو جـرد مـا مـثله فـي الأنـام
أن أقـل قطـب عـصره قلـت حقـا ... للـذي نالـه بكـل احتـرام
قـد تحلـى بكـل وصـف جمـيل ... وتخلـى عـن كـل وصـف وذام

وتجلى على منصة عز   قد تسامت من فوق كل مقام
بعدما راض نفسه بتقاه   قد تصدى لنيل أقصى المرام
فحوى رتبة به تتباهى   في المعالي على قمر الدوام
رتبته نالها بما نال من علم   وفضل حتى غدا في الأمام
فاستحق العلم فوق سواه   بعلوم ومكرمات جسام
إنه في العلوم بحر خضم   قد حلا ورده لراو وظام
وهو في السر كعبة حجها   الطلاب من بين سائر الأعلام
قصدوه من كل فج عميق   فحباهم مناهم بالتمام
يابن باهي الذي أبهي به   أهل المباهاة في لقاء الكرام
أنت والله في سويداء قلبي   حاضر في ترحلي ومقامي
لست أنسى سويعة لي بها قد   جاد وهي بقربك المتسامي
نلت فيها الوداد منك وما   أحلى وداد في الله دون اتهام
فجزاه الإله عنا بدنيا   وبأخرى بنبل كل مرام
سائلا منه أن يكون له في   كل حال نعم المجير المحامي
فيرى ما يسره في حياة   ثم يلقى السرور يوم القيام
سائلا منه أن يطيل بقاه   سالما غانما بحسن الختام

وقد بتنا عنده ليلة مبيتنا في هذه البلدة فكانت ليلة زاهرة باهرة في نعمة باطنة وظاهرة وانبسطنا معه في خلوتنا أي انبساط في ذلك البساط وأظهر لنا من أسراره الخصوصية ما تحققنا به من أن له الوراثة الحقيقة في مقامات اليقين والخصيصة الكبرى في طريقتنا التجانية المحمدية ولهذا السيد الفاضل همة عالية لا ترضى بسفاسف الأمور فقد رأيته مهتما بما ينفعه في العاجل والآجل وكان لسان حاله قائل:

وقائلة لم عرتك الهموم   وأمرك ممتثل في الأمم
فقلت ذريني على حالتي   فإن الهموم بقدر الهمم

قد خلع معنا العذار في خلوته ولله ما أبهى مباسطة رفيع القدر لمن يحضر

بحضرته وبعد طلوع النهار خرجت مع سيدنا الحبيب من محله بقصد التفسّح بهذه البلدة فرأيناها بلدة متسعة الطرق وأشجارها صاعدة للأفق وهكذا غالب زقاق هذه البلدة ثم قصدنا المسجد الكبير فوجدناه مغلق الباب وبقربه المستراح مفتوح[الورقة67]وعن يمين الداخل إليه ورقة لاصقة بجداره مكتوبة بالخط العربي والعجمي بما محصلِه يجب على من دخل هنا أن يغلق بعد فراغه من حاجته محلّ الماء وإلاّ فيلام على ذلك ويمنع من الدخول مرة أخرى ثم مررنا على الطريق التي بها الوادي المعروف عندهم بوادي عين الصفراء يأتي من الصحراء يشق هذه البلدة عليه قنطرة حديد عالية مع اتساعه وانخفاض مسيله إلا أنه قليل الماء في هذا الإبان وقبالته البرج المعروف ببرج المحال يسمى بذلك لكون المنحلة هي التي بنته وفي طريقنا هذه تلاقينا مع حضرة القاضي المذكور قاصدا محكمته وهي بقرب المسجد المذكور فرجعنا معه إليها فوجدناها مشتملة على ثلاثة بيوت أحدها معد للنساء به فرجة تقابل محل جلوس القاضي زمنه تخاطبه المرأة وخصمها من خارج وعن يساره بيت العدول معد لاستراحتهم وقبالة الباب بيت لاستراحة القاضي وبه جلسنا معه سويعة زمانية أما محَل المحكمة فقد اشتمل على خمسة مواضع مهيأة للجلوس وسطها للقاضي وعن يمينه وشماله باشا عدل وثلاثة عدول وفي هذه المحكمة قلت:

ومحكمـــة بـــابن باهـــي تباهـــي ... ولـيس لهـا فـي الـبها مـن مـضاهي
ولـــم لا وقـــد حلهـــا حاكمـــا ... بحـــق يـــؤيد حكـــم الإلـــه
لـــه رتـــبة فـــي العلـــى ارتفعـــت ... ومـــا فـــضله فـــي العـــلا متناهـــي
رعـــاه الإلـــه وبـــين الـــورى ... وقـــاه بحفـــظ جمـــيع الدواهـــي

وقد رأيته يجنح للخمول ولا يحبّ التّظاهر بما هو غير معتاد من الأمور حتى لا يقع للعامّة وغيرهم تشويش في الاعتقاد يزن الناس بكلامهم وجميع أحوالهم إذا تكلم أفصح عن خبايا الضمائر بما له من الفراسة النورانية وإذا سكت يجول بفكره في الغوص عن الحقائق العرفانية غير أنه لا يخوض مع الخائضين فيما يفهم سامعه منه غير المراد من الحقائق التوحيدية من أسرار الألوهية والحقيقة المحمدية زاد الله في معناه آمين.

وأما حضرة المفتي فهو الخائض في بحر المعارف المستخرج منها يواقيت اللطائف ودرر الطرائف العلامة الذي نال من العلم ما يحيي القلب والنفس ويوصل العبد إلى حضرة القدس أبو السعادة الشيخ سيدي **عبد القادر ابن مصطفى بن قارا مفتي** مستغانم هذا السيد الفاضل له مشرب خاص في المعرفة بين الخواص قد ارتوى من الحقائق بما أزال عنه أستار النفس وانكشف له عن غواني[الورقة68] المقاني الحجاب المسدول عليها في بساط الأنس وقد جلنا بعد جولة في الميدان الذي يحول فيه فتقدم للأمام ورجعت القهقري وكادت سفينتي أن تغرق في نيار الذي خاض فيه عندما جرى وقد كنت أجاريه في المذاكرة بما فتح الله به من مطالعة كلام القوم فرأيته ينحو منحى الجيلي والحاتمي ومن ضاهاهما في الخوض في الحقائق والسلوك من أوسع الطرائق وأضيق المضايق وسألني عن المعاني التي يستخرجها أهل الذوق من الحروف وما في ضمن ارتباط بعضها ببعض من الأسرار والحقائق والرقائق والدقائق هل لذلك أصل وقواعد يرجع إليها فيما هنالك فأجبته بأن لذلك أصولا قد انبنت عليها أركان المعرفة يتوصل إلى درك ما في طيّ الكلام بمعرفتها وبقدر المتكلّم بذلك الكلام تعظم المعارف المندرجة تحت الحروف المتناسبة في الترتيب فليس الحرف القرآني كالحرف نفسه في الحديث القدسي أو مثله في كلام الرسول أو ما في هذا مثل كلام الصحابي فمن دونه وهكذا فما يقال لا تنتظر الرمي.

ولكن أنظر إلى ما قال هو في غير هذا المقام عند من يحقق اصطلاح القوم في هذه المناسبات وإن كان ذو الفتى يميز بين القول ويعرف منشأه بما اكتساه رحلة المتكلم به والأصل في ذلك هو اللغة السريانية وقد تكلّم على مبادئ معانيها صاحب الإبريز عندما تعرض للكلام على حديث ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت فلما حاذانا وراء جماعتنا أناخ راحلته ثم مشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أوضعت راحلتي من مسافة تسع فسيرتها إليك ستا أسهرت ليلي وانظأت نهاري وانضيت راحلتي لأسألك عن مسألتين أسهرتاني فقال له من أنت قال زيد الخير قال بل أنت زيد الخير سر فرب معضلة سئلت عنها قال جئت لأسألك عن علامة فيمن

يريد وعلامة فيمن لا يريد قال بخ بخ كيف أصبحت يا زيد؟ قال أصبحت أحبّ الخير وأهله وأحبّ أن يعمل به وإذا فاتني جئت إليه وإذا عملتُ عملا قل أو كثر أيقنت بثوابه قال هي هي بعينها يا زيد ولو أرادك للأخرى لهيأك لها ثم لا يبالي في أي واد هلكت فقال حسبي حسبي فارتحل ولم يلبث هـ. حدّثنا به من لفظه ونقلناه هنا من خطِّه وأنشدنا مما يعزى للقطب الجيلاني قدس سره قوله: [الورقة69]

إذا نظــرت عينــي وجــوه أحبتــي … فـتلك صـلاتي فـي ليالـي الـرغائب
وجـوه إذا مـا أسـفرت عـن لـثامها … أضاءت لـه الأكـوان مـن كـل جانـب
حرمت الرضى إن لـم أكن باذلا دمي … أزاحـم شـجعان الوغـى بالمـناكب
ومـن لـم يـوف الحـب مـا يـستحقه … فـذلك الـذي لـم يـأت قـط بـواجب

وأطلعني على كرّاسة من شرحه لأرجوزة القاضي الحضرة التلمسانية أبدع فيه وأجاد ووفى فيه بما يشفي الفؤاد وآتى فيه بالعجب العجاب وكشف فيه عن مخدرات المعارف الحجاب وأطلعني أيضا على تأليف لطيف في جواز دفع الزكاة لآل البيت وطلب منّي تسميته فسمّيته بإحياء القلب الميت بجواز دفع الزكاة لآل البيت وقد أودع فيه ما يشهد له بالإطلاع التّام في علم الفروع طبق ما حصلّه من علم الأصول نفعه الله بسعيه المحمود وبلغه في الدّارين كل مقصود آمين. ومما كاتبته به بعد موادعته والسفر عن حضرته هذه الأبيات مصدرا لها بنسيب من باب التحرير ونصها:

لمـــن أصـــبحت مـــشتاقا كئيـــبا … فأكثـــرت الـــتواجد والنحيـــبا
كأنـــك لا تبالـــي بـــي التـــصابي … حـــسبت فتـــى مـــصابا أو مـــصيبا
فمالـــك بعـــد صـــبر صـــرت صـــبا … ولا تخـــشى الـــشماتة والـــرقيبا
لعلـــك قـــد ذكـــرت زمـــان أنـــس … مـــضى لـــك حـــين لاقـــيت الحبيـــبا
وكـــنت بمـــستغانم بـــين نـــاس … شموســـهم أراهـــا لـــي تغيـــبا
وبيـــنهم فتـــى بالحـــق أضـــحى … لكـــل الـــسائلين بـــه مجيـــبا
مفتـــي بالـــصواب ولـــيس يخـــشى … مـــدا الأيـــام فـــي حـــي معيـــبا
فيفـــصح بالـــصواب لمـــن أتـــاه … ومـــا مكافـــئ البعـــيد ولا القـــريبا
فيأبـــى قتـــرا المفـــدى طـــبت نفـــسا … ونفـــس عـــداك حقـــا لـــي تطيـــبا

جمعت مـن المـزايا فـي البـرايا فنونا   أمـــــرها أضـــــحى عجيـــــبا
فلــم يلحــق مقامــك فــي صــعود   ســواك ومــن تلــك فلــي يخيــبا
فتمــــنحه هـــبات وافـــدات   مــن العلــم الــذي يــشفي المعيــبا
فتكـــشف غمـــه بالـــسر حتـــى   غــدوت لــدى الأنــام تفــي تحيــبا
طيــبا مــن عــيوب الــنفس تــشفي   مــن الكــرب الــذي يغنــي اللبيــبا
فــتمدى للهــدى مــن ضــل عــنها   متـــى تدعـــوه وأفلهـــا مجيـــبا
فدم في حفظ ربك في أمان ولازالت   وقـــدرك لا يـــزال يـــرى مهيـــبا
غــــصون عــــداك تعــــرى   وغــصنك لا يــزال يــرى رطيــبا
ولازالـــت تـــزف إلـــيك منـــي   تحـــيات تعـــم الكـــون طيـــبا

رسالة سكيرج إلى علماء وهران

ووجهته على يد سيدنا ومولانا الحبيب بن عبد المالك مع رسائل أخرى للأحبّة معه ومعها رسالة لحضرته صدرتها بهذه الأبيات:

لك الفضل يا بن الأكرمين الأفاضل — على كل حال بين أهل الفضائل
أمولاي يا بن عبد مالك الرضى — ومن هو مولى الصدرين المحافل
رفعت لنا المقدارين ذوي العلا — وقد كان مقداري بأسفل سافل
ولكن أهل الفضل من ينتمي لهم — يفوز بما قد رامه من فضائل
وأنت الذي فينا علوت على العلا — وأكرمتني حتى سموت مطاولي
علوت على أهل العلا بتواضع — فأصبحت مولى الصدر عند الأفاضل
لك الشكر في ما حييت وإن أمت — فشكرك مني شائع في الأمائل
فلا زلت في حفظ الإله متوجا — بتاج قبول في جميع المحافل

[الورقة70]وأما السيد الحرّاق فهو المفتوح عليه في عصره والملحوظ بعين الاحترام في مصره ونال في دنياه أوفر نصيب وفي أخراه يرجى له أرفع مقام بصدق محبته في النبّي الحبيب عليه السلام ألا وهو أبو الفتوحات العارف بالله سيدي الحراق الكريتلي، التركي أصلا المستغانمي موطنا الشاذلي مشربا المحمدي مطلبا ومذهبا هذا السيد من أفراد الوقت الذين بخل الزمان بوجوده مثله قد آته الله من لدنه علما وحكمة، وفتح عليه بالفتح اللدني بمحبته في عين الرحمة صلى الله عليه وسلم فإنه فان في محبته مستغرق الأوقات في مدحه والصلاة عليه وقد ألّف في ذلك مؤلفات في مجلدات ما بين مختصر ومطوّل مما يدّل على أنّ المقام الذي وصله غير مكتوب باجتهاد في عمل وإنمّا ذلك محض موهبة من المولى الذي خلق فهدى وأتى في هذه المؤلفات من صيغ الصلوات على النّبي صلى الله عليه وسلم ما يحار فيه الفكر وإنمّا هي فيوضات وهبية ونفحات قدسية كان مظهرها على يده إكراما له وكرامة له بصدق محبته للبضعة المحمدية عليها السلام مع أنه أمير لم يتعاط علما من العلوم الرسمية غير أنه إذا تكلم شفى الغليل وأتى من

المعارف بما هو أدل دليل على رسوخ قدمه في مقام المعرفة فتراه يخوض في بحر الحقائق ويرمي بالدرر لمن يحضره من الخلائق ويغوص في لججها فيخرج منها وهو سليم الاعتقاد وذاته قد امتلأت بأنوارها وكيف لا يكون[الورقة71] بهذه المثابة وصورة النبي صلى الله عليه وسلم مرارا متعددة واقتبس من فيضه الأحمدي نورا مبينا حدثني أنه كان أصيب وهو صغير السن بما لا يقدر معه على القيام والقعود فلازم خلوته حتى نال بغيته ورأى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مرارا وألف في تلك المرة بعض تأليفه المذكورة وهذا هو الفتح بعينه وأي فتح أكبر وهذا عند العاقل نسأل الله تعالى أن يمنحنا مما منحه ويزيده من فضله والمولى سبحانه قادر على أن يمن علينا بمشاهدة الرّسول على ما نحن عليه من النقص.

وإذا الكريم أراد يظهر فضله حقا على عبد فليس بعاجز

وكان الآخذ بيده في هذا كلّه هو شيخه العارف بالله الدّال على الله في سّره ونجواه مرّبي المريدين القدوة الكامل الشيخ سيدي الطاهر بن عمار قدّس سرّه.

وكاتبته مع الأفاضل المذكورين برسالة نصّها بعد الحمدلة والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وآله حضرة الإخوان في الله الموفّقين لخدمة مولانا رسول الله ذوي الرُّتَب العالية والمفاخر الغالية رسم الزمان لي بقربهم وسكنوا في قلبي كما سكنت في قلبهم سليم الإدراك والأذواق أبي عبد الله سيدي محمد الحراق والفاضل الأجل القاضي الأمثل سيدي محمد بن باهي والعلامة الدراكة المفتي سيدي عبد القادر بن مصطفى بن قارا والجامع لشتات الفضل والمكرمات سيدي الحاج بن عيسى أعلى الله رتبتكم في الحضرة المحمّدية وأجلسكم على كرّاسي الخلافة الأحمدية وتوجكم بتاج القبول بجاه النّبي الرّسول عليه السّلام.

وبعد سلام يعبي الكون رفه لحضرتكم يهديه في النسيم
أخبركم أني أسير غرامكم وقلبي من بعد الفراق سقيم

لا والذي أضحك وأبكى ما انفك شخصكم من العين مرسوم الصورة وإن كنت لاقيت من جزع الفراق ما لا يحكى وأصبحت نفسي معزولة غير معذورة ولكن نفس عن نفسي ما كابدته كبدي في النوى حضوركم في صميم الفؤاد وصدق مودتكم القلبية هو أعظم ما نوى[الورقة74]

دوموا على عهدكم يا من كلفت بهم كما أدوم عليه أيها الساده
ملكتموني بصدق الود في زمن رأيت فيه الذي ما كنت معتاده
وليس ذلك من عجيب أمركم بل أمركم كله من خارق العاده

غير أني أرجو دوام المحبة في حالتي الحضور والغيبة فقد أسلمت لكم في صدق الإخاء روحي فلتقولوا لها في فدائكم روحي فإني أيها السادة.

رحلت عنكم بجسمي والقلب في لديكم
فلتفعلوا ما أردتم بما غدا في يديكم

والله أسئل أن يكون للجميع بما كان به لأوليائه وأن يجعلني وإياكم من الذين أنعم الله عليهم من أنبيائه وأصفيائه آمين هـ.

رسالة الشيخ بن قارة مصطفى للشيخ سكيرج

وقد أجابني العلامة الفاضل حضرة السيد المفتي المذكور بحسب النيابة عنه نذكرها في هذا المحل حفظا لها من الضياع وإن كانت مشتملة على أطراء المدح البديع الاختراع رجاء أن يحقق الله تلك الأوصاف التي تخيَّلها هذا العارف بحسب ظنه والعارفون إذا وصفوا من لا يستحق لوصف جميل صار له مستحقا وربما صار بعد أن كان باطلا حقا وإني أنقلها هنا باللفظ ليرتاح لها المحب والحبيب ويضيق بها صدر الحسود والرقيب، علما بأن هذا الكتاب سيقع في يد المحسنين والمبغضين جزا الله عنا الأولين وعفا عنا الآخرين.

ونصها بعد الحمدلة والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، جناب العلامة النحرير والعارف الجامع الكبير قدوة الأئمة الأعلام وحامل لواء أهل الشوق والغرام من أخذت محاسنه بالمهج واستنار بطلعته الغراء وابتهج حبنا في الله وفي سيدنا رسول الله وفي أولياء الله فلان بن فلان سكيرج جعلك الله ممن سجد سجود الخصوصية واقترب وأنالك من الحضرتين الكريمتين، نهاية المنهى والإرب وسلام عليكم يرويه عن صميم القلب اللسان ورحمات وبركات تتعطر من شذاها الأكوان، من حضرة من ملكتم منهم في محبة الله الفؤاد وحللتم منهم سواء السواد كأخي الواجد ذي الأذواق المحب الصادق الكريتلي السيد محمد الحراق والناسك القائم على ساق الجد في مرضاة الله الشيخ القاضي سيدي محمد بن باهي ومن غدا أحب أهل الله في صميم فؤاده غريسا حليف ودادكم السيد الحاج محمد بن عيسى وبعد فقد ورد علينا من شريف حضرتكم كتاب كريم بخطاب بديع أرق من النسيم وأشهى من المدامة للنديم ففرحنا به وحياتكم فرح المرض بشفاه ورفعناه إجلالا له ومحبة فوق الرؤوس والجباة[الورقة75]

وقبلناه بالأمان غيرة عليه من الشفاه وحمدنا الله على عافيتكم وإن كنا بفضل الله ممن شملته عنايتكم ولقد أخذتم منا والله بمجامع القلوب وتوالت لفراقكم على النفوس صاف وقلب منيب نرجو الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا بكم في أطيب حال وأقرب زمان حتى نقضي ما فاتنا منكم من تلكم الخيرات الحسان

وأن يكون لنا ولكم بما كان لأوليائه الكرام في السر والإعلان إنه جواد كريم عطوف منان هذا وأخوكم السيد محمد الحراق يستكثر خيركم على ما منحتموه من تلكم المدائح الحسان ونوهتم بقدره من تلك المراقي المزري قدرها بعقود الجمان ولما متعنا نظرنا بروضها الأنيق ودب فينا نسيمها اللطيف الرقيق قلنا متطفلين على لسان وبإشارة ذلك المتيم العشيق:

مــرحبا مــرحبا بهــا مــن مــراق	أذكــرتنا بعهــد يــوم التلاقــي
غــادة أقــبلت علينــا تهــادى	تعلـو مـن حـسنها مـتون الأمـان
جـاءت تـسلي متيما هاجـه الـشوق	وتحيــي قتـيل سـيف الفــراق
تـروي عـن ليلـى فـي الغـرام حديـثا	لقتــيل جمالهـــا الحـــراق
بـنت فكـر الهمـام أحمـد سـكيرج	أي ملــيك أزمـــة العـــشاق
راح مــنا بالــروح والــروح نفـس	تودي شرعا من مغربي أو عراقي
فــودنا بالعطـــف مـــنه علينـــا	والثـناء الجمـيل حلـو المـذاق
قــد رضـينا بـذاك والحـب أرضـى	حــبذا حــبذا فهــاك البواتــي
دام مــنكم للكــون هــدى ونــور	يــا دلـيل الهـدى ونـور الحـراق
ما على الغرب إن خفت منه شمس	وتــوارت زمانــا تحــت الطــباق
فــيه مــنكم شـوارف فهـو شـرف	دائمــا نــوره بكـم فـي إشـراق
قــد ختمــنا بالحــب فـيكم قلــوبا	لـيس تـنفك حتـى يـوم التلاقـي

هذا ويسلم عليكم ولدكم وخديم حضرتكم الوليد رشيد وينشدكم فيما توجتموه به من ذلكم العقد النضير لاهجا بذكركم شاكرا لصنيعكم مفحصا بالثناء عليكم:

أخــلَّاي هنونــي فــنحن ســعيد	ويومـي علـى أمـسي يعلـو ويـزيد
عــناية ربــي لاحظتنــي عــيونها	فصرت لـدى الكـرام أدعي رشيد
وعطفهــم علــيِ حتــى كأننــي	مـن الـروح مـنهم نـشأة وولـيد
لــذاك نــراهم ينحونــي نفائــسا	تفـوق نفـس الـدر وهـو نـضيد
ويهـدوا إلـى مـن بهـاهم ملابـسا	فـنغدو بهـا بـين القـرين فـريد
حفونـي مـن عطياهم مـا لـو عددتـه	بزهـر الـسماء أضحى عـنها يـزيد

جزا الله عني أخا خيرا ما جزا ... سكيرج يدعي أنه لمجيد
إمام همام ذو أياد على الورى ... به ركن دينهم يعلو ويشيد
إذا شبهة بدت ومعضلة أتت ... بنور هداه تنجلي وتبيد
كأن علوم الدين بالكم سطرت ... متى شاء ليست عن هداه تحيد
تواضعه لله في الله حيرني ... به صادقا والله فيه شهيد
عليه من أنوار التجاني حلة ... جمالاتها في كل حين تزيد
عليه رضى الرحمن في كل لحظة ... وأرضاه عنا فالعطاء مديد

هذا وسلم منا على الفاضل الأديب ابن عبد المالك سيدي الحبيب وعلى الأحبة الأخيار والأفاضل الأبرار ساداتنا أولاد القبّاج ودمتم ودام للكون منكم سراج وهاج كما يسلم عليكم محب الجميع السيد عبد الله حشلاف وكتبه مسلما عليكم ومعتذرا إليكم خافضا جناح الذل لديكم سائلا صالح دعائكم عبيد ربه وأسير ذنبه عبد القادر بن قارا مصطفى مفتي مستغانم كان الله له وللأحبة بالخير الباقي الدائم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم بتاريخ 27 جمادى الثانية سنة 1329هـ الموافق 24 جوان سنة 1911م.

وقد ذكرناها برمتها لما فيها من مناسبة الموضوع أما نشرها فهو من المحكم الذي يسمع الأصم ويكاد أن يراه الأعمى ويفصح لأجله الأبكم وأما النظم المشتملة عليه فهو من فوائد المعاني وأساس المباني والسحر الحلال ومحاسنه غطت ما اعترى وزنه من جهة العروض وفي هذا كفاية.

وأما حضرة سيدي الحاج محمد بن عيسى فهو أبو المعارف وبرزخ اللطائف حامل راية المعرفة المتصف من مكارم الأخلاق بأجمل صفة الراوي من عين التوحيد الخاص ما أصبح به في قطره من خاص الخواص سيدي الحاج محمد بن عيسى الشاذلي طريقة المحمدي حقيقة فإنه قد تقلد بقلادة العرفان ورسخت قدمه في مرتبة الإيمان ومقام الإحسان فظهر عليه الفتح بما لا يستوفيه شرح يعتريه عند المذاكرة حال يشهد له بالذوق الذي قل من ناله من فحول الرجال من أهل الكمال ورايته عند الخوض في الحقائق [الورقة77] تحصل له رغبة مع ثبات القلب في توحيد الرب وربما بكى مرارا في الساعة الواحدة من شدة الخشوع والتواضع

والخضوع. فهو رجل أسيف ألوف وقد قضيت العجب من ألفته بنا بمجرد اللقيا فإني عند وداعه لم أجد ما أسلي به خاطره في مسامحتي بالرجوع من حيث أتيت فلم تسمح نفسه بذلك لما اعتراه من الوجد عند الفراق وصارت العيون تفيض بدموع كادت أن تستحيل دما من شدة ما داخل القلوب من الاشتياق:

فلا تسل عن لواعج تؤججها ... يد النوى بيننا والدمع ينهمل

ومما كاتبته به بعد فراقه والقلب مني يتغلب على نيران اشتياقه قولي:

لمن هاج منك الوجد بعد سكونه ... فأصبح منك القلب رهن جنونه

اللوّ في المحبوب قد حرك الهوى ... جواك فأبدى الجفن در مصونه

فنظم من حمر الجمان قلائدا ... تطوقها في وقت فرط شجونه

أم الشوق للأحباب من مستغانم ... يقلب منك اللقب بعد كمونه

نعم إن شوقي في زائدهم ولا ... أرى القلب يسلو عنهم حنونه

فقد سكنوا فيه فلم يك ساكنا ... سواهم به في خفقه وسكونه

فلله من ناس وبينهم امرؤ ... تصرفه في الكون طوع يمينه

هو العارف الحاج بن عيسى محمد ... أجل أمرئ لله قام بدينه

تمسك بالحبل المتين وخاض في ... خضم الهدى حتى ارتوى من معينه

ونال من الأسرار ما إن بعضه ... له الجبل الراسي يدك لدونه

وحل مقاما راقيا في معارج ... مقام سواه دونه بشؤونه

فأعظم به من عارف فاق غيره ... بما ناله من رفعة عن قرينه

فلازال في حفظ رفيع مكانة ... متوج تاج العز فوق جبينه

وهذا السيد مع السادة قبله من أهل هذه البلدة المترجم لهم ممن اجتمع قلبهم على الله وعلى محبة مولانا رسول الله، وارتبطت قلوبهم بحبل التوفيق فيما بينهم أقر الله بنيل الوصول في بساط التواني في حضرة القدس أعينهم وقد أشرنا في ترجمة كل واحد منهم إلى مشربه الخصوصي وإن لم نستوف ما لهم من كمال الفضل فقد اعتذرنا بما أحلنا عليه من ضياع ما كنا قيدناه من المذاكرات والمحاضرات في ملاقاتهم وكانت مدة إقامتي عندهم نهارا وليلة كل واحد منا جر في بساط الأنس بأخيه ذيله وقد استعملت قصيدة ميمية [الورقة78]

قصيدة الشيخ سكيرج للشيخ بن قارة مصطفى

أجبت بها حضرة السيد المفتي وضمنتها مدح المذكورين معه نذكرها في هذا المقام ونصها:

حييت فأحيتني بطيب سلام … حوراء فيها زاد وجد غرامي

من نسل ترك لست أترك حبها … يوما ولا أسلو بطول ملام

متعت لحظي في بديع جمالها … فرأيتها شمسا بدت بظلام

فعجبت من شمس بداج الشعر قد … سترت محياها عن اللوام

ويحار فيها فكر ناظرها إذا … منحت له وصلا ولو بمنام

فيصير ولهانا بها مستهترا … بصفاتها في الناس رهن هيام

إن قال قولا أطرفت لسماعه … من تطرف الفصحا له بالهام

ما قس ما سبحان ما العرب الآلي … الاكبا قل عند وقت كلام

أكبر به من عارف أضحى يرى … في العلم أكبر غارم متسامي

قد غاض في بحر المعارف فكره … فاستخرج الياقوت للأعلام

شهدت له ببلوغ أرفع رتبة … في الفضل أهل الفضل والإعظام

ما للفتى ابن قرا مثيل قد قرأ … علما وحق أبيك طول دوام

هو مصطفى بن مصطفى بن مصطفى … في عصره عن سائر الأقوام

هو مفرد في قطره فقدت له … تعزى المكارم في ذوي الإكرام

ولقد غدا متصدرا في رفعة … في المجد أضحت فوق كل مقام

أما العلوم فلا يقاس بغيره … في قطره أضحى أجل إمام

فإليه يرجع في مسائل أشكلت … عن سائر الأفكار والإفهام

فيحلها بفصاحة ويصوغها … بقوالب الإتقان والإحكام

فلمستغانم مفخر حقا على … كل البلاد به مدا الأعوام

بالله يا ريح الصبا مري على … تلك البقاع وحيها بسلامي

وقل السلام عليك يا مفتي الزما … ن وحافظ الأعراف والأحكام

فسكيرج بك قلبه متواجد … وجدا يزيد على مدا الأيام

مــن يــوم جــاد لــه الــزمان بجمعــه بكــم وعــاد بكــم حلــيف غــرام
لــم يــنس ســاعة أنــسه بلقــائكم يــــوما بــــيقظة ولا بمـــنام
مــازال يــشكركم علــى إحــسانكم فــي الدهــر فــي تــرحاله ومقــام
ويقــول مــا شــاهدت فــي زمنــي امــرءا مثل ابن قارا وابن عيسى السامي
وابــن الكريتلــي العــارف الحــراق مــن ورث العــلا ونــال خيــر مقــام
وهــب الإلــه لــه مــواهب فــتحه فحــوى المنــى بالــوهب والإلهــام
فغــدا يبــين مــن المعــارف مــا تقــا صــر عــن مدراكــه ذوو الإفهــام
والـــناس قامـــوا حـــوله ووراءه متأدبـــين لـــه بحـــسن قـــيام
قــد خــاض فــي لجــج المعــارف فأفتــى مــنها النفــيس ونــال كــل مــرام
يـــستنتج الأســـرار مـــن أذكـــاره وينيـــر بالأنـــوار كـــل ظـــلام
والله يـــشهد أننـــي لمحـــبة حــبا علــى حــب برعــي ذمــام
فلقــد ســبى عقلــي بحــسن مــودة وجمــيل إحــسان مــع الإعظــام
لــم يــألُ جهــدا فــي الــذي يرضــى بــه نفــسي مــن التبجــيل والإكــرام
مــثل ابــن باهــي فــي الــسيادة والتقــى بحــر المعــارف والعلــوم الطامــي
قــد أحكــم الإحكــام وانقــادت لــه صــعب المــسائل عــنده بــزمام
حــاز التــصدر فــي المحافــل والعــلا مــتقدما فــي فــضله لأمــام
لــم لا وقــد فــاق الــسوى بتواضــع ومقامــه بــين البــرية ســام
فــي عــصره لــم يلــق قــاض مــثله فــي الحــق لا يخــشى وقــوع مــلام
لله مــن قــاض يحــل مقامــه متــصرف بالعــدل فــي الحكــام
أمــا الرضــى الحــاج بــن عيــسى ذو العــلا فلقــد غــدا فــي المجــد بــدر تمــام
رقــى العلــى بتواضــع حتــى غــدت لعـــلاه تـــنقاد العلـــى بلجـــام
مــن شــأنه تلقــاه وهــو يجــول بالـــتذكار فـــي الآيـــات والإنعـــام
مـــستغرق الأوقـــات فـــي الذكـــرى وفي الذكر الذي يشفي من الأوهام
يـــشفي مـــن الأوهـــام فـــي التوحـــيد بـــين العارفـــين بـــوارد الإلهـــام
ويــراقب المولــى الــذي أســدى لــه نعمـــاءه فـــي الـــشكر للإنعـــام
هــذا لعمــر أبــيك نهــج ذوي الهــدى والـــدين والإيمـــان والإســـلام

فالله يرعى جمعهم بالحفظ من ريب الزمان وسائر الآلام
ويحفهم بعناية تكفيهم ما قد أهمهم مدا الأيام
ويقر أعينهم بنيل المرتجى دنيا وأخرى في كمال مرام
ويزيد في أسرارهم وعلومهم حتى يرقيهم لختم مقام
وعليهم في أتم تحية وعلى ابن مالك الحبيب سلام

وعند دخول الشيخ سكيرج مدينة تلمسان قائلا: ولم تسمح القريحة بجواب يطابق بديع ذلك الخطاب وقد استدعانا لمنزل صديقه الشريف الأرضي الأديب الغطريق سيدي محمد بن سليمان التلمساني فلم يسمح الوقت باغتنام مسامرته لموانع طرأت لم ينفعنا إلا المسارعة للاعتذار له في المسامحة فقبل المعذرة وذلك شأن الكرام

إن الكريم إذا أبديت معذرة يوما لم تزل لديه معذورا

وخلاصة القول أن الشيخ محمد بن سليمان رجل ورث الأنوار المحمدية كابرا عن كابر، وأصبح قلبه مستهلكا فيها ومستلهما لها. فالأولياء المحمديون يتفاضلون ويتفاوتون في مقاماتهم ورتبهم بحسب نصيبهم من هذا الإرث المحمدي. فهناك الكامل والأكمل.

فكما قيل:"إن الوارث المحمدي المستهلَك قلبه في الأنوار يصبح مشبعا بالقيم الإنسانية الرفيعة، لينقلها بدوره إلى قلوب مريديه والمعتقدين في ولايته الخاصة. فالمريد الذي يفني إرادته في إرادة شيخه يكسر إرادة نفسه التي تعتبر رأس هذه النفس. وبقطع رأسها تموت النفس موتا معنويا، وبموتها يحيا القلب".

أما بدون شيخ مربي حكيم بالغ المقام يكون من يريد أن يخرج عن إرادة نفسه وفعله، كالراعي الذي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.فالنفس لا يمكن لها أن تصدر حكما إلا لصالحها لتكريس هيمنتها وتعزيز قبضتها. لذلك يعد تدخل الشيخ المربي أمرا ضروريا لا مناص منه، فهو طوق النجاة بالنسبة للراعي حول الحمى.

الفهارس العامة

*فهرس الآيات القرآنية

*فهرس الأحاديث النبوية

*فهرس الأعلام

* فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

أطراف الحديث	الصفحة
«المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»	11
«الخير لا ينقطع من أمتي إلى يوم الدين»	21
«طُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدِهِ»	21
«يسرّوا ولا تعسّروا وخاطبوا الناس بقدر ما يطيقون»	27
«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ حتى يأتي أمر الله»	32
«مَنْ دَخَلَ تَحْتَ جَنَاحِكَ فَكَأَنَّمَا دَخَلَ تَحْتَ جَنَاحِ جِبْرِيل ﷺ»	37
«اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»	46
«إِذَا نَهيتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاتْرُكُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ بِالمُسْتَطَاعِ»	61
«إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»	62
«المُجَالَسَةُ مُجَانَسَةٌ وَالمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ»	63
«خاطبوا الناس بقدر عقولهم»	64
«أوصيكم الله في أهل بيتي»	65، 78
«ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبى بكر خليلا»	66
«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»	71
«أدّبني ربي فأحسن تأديبي»	71
«أنزل القرآن دفعة واحدة إلى سماء الدنيا ثم أنزله الحقّ على آيات مقطعة»	72
«لي وقت، لا يسعني فيه غير ربي»	74 - 75
«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»	77

فهرس الأعلام

فهرس الطرق الصوفية

ع

ق

م

ي

فهرس الموضوعات

الفهارس العامة

الفهارس العامة


الحمد لله
حبوس طريقة النجارية

هذا الكتاب

حين تقرأ نص «محمد بن سليمان» تتقاطع عنده النصوص بما يصنف عند البعض بالسنيين والباطنيين فلن يعود لقاعدة من هو قريب من الأصل ومن هو بعيد عنه من معنى، فمقاسات الفقهاء تصير ضيّقة ومجحفة، ثراء نصوص هذه الشخصية يعود إلى شخصية جزائرية كان لها التأثير على «محمد بن سليمان» وعلى كثير من المتصوّفة وهو الشيخ «قدور بن محمد بن سليمان» (١٨٤٣ ـ ١٩٠٤) من مستغانم، من شيوخه محمد الموسوم الذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية والطريقة التيجانية أخذها عن صاحبها أحمد التيجاني، وكانت له زاوية بعين ماضي، هاجر إلى الحجاز، وقد تحدث عنه الحفناوي في كتابه: «تعريف الخلف برجال السلف» وقد أخذ سيرته الذاتية عن عبد القادر بن قارة مصطفى.

والشيخ «محمد بن سليمان» هو امتداد طبيعي لتراث صوفي يعود إلى «أبي مدين الغوث» والثعالبي مروراً بشخصيات تركت تأثيرها المعرفي والديني وصولاً إلى الطرقية التي انتعشت في العهد العثماني وكانت لها قوة التواجد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

وقد كانت أسرته على جانب كبير من العلم والصلاح والتقوى، كابن عمه الصوفي الشهير الشيخ «قدور بن سليمان» وخاله الإمام «قارة مصطفى» مفتي بلدة مستغانم.

حاولنا في وضع عنوان هذا الكتاب الحفاظ على لفظ الدستور الذي كان يحبذ استعماله الشيخ محمد بن سليمان في رأس رسائله، إذ العبارة المعتادة هي «دستور في كذا ـ وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد»، وأصل هذه النصوص منها ما هو منشور في طبعة شعبية قديمة ١٩٢٨ مملوء بالأخطاء دون تعليق وإحالة ومنها ما تسلمناه من بعض الزملاء، وإن قيض الله فرصة سنجمع كل أعماله في مجلد واحد بحول الله، والله من وراء قصد السبيل.

من مقدمة المحقق

